الإمارات
THE EMIRATES

مراود

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

العدد 39 – فبراير 2022، السنة السادسة

ملف العدد

عناصر التراث العربي على قوائم «اليونسكو»

مشاركة نوعية لـ «الشارقة للتراث» في « القاهرة الدولي للكتاب»

«الشارقة للتراث» يبحث التعاون المشترك مع مؤسسات ثقافية وأكاديمية مصرية

«الشارقة للتراث» يناقش مستجدات الدورة الـ 19 لأيام الشارقة التراثية

مراود العدد 39 – فبراير 2022، السنة السادسة
MARAWED Issue, 39, (FBE 2022), The Sixth year

MARAWED

Magazine Concerned With The Cultural Heritage

Issue, 39, (FEB 2022), The Sixth year

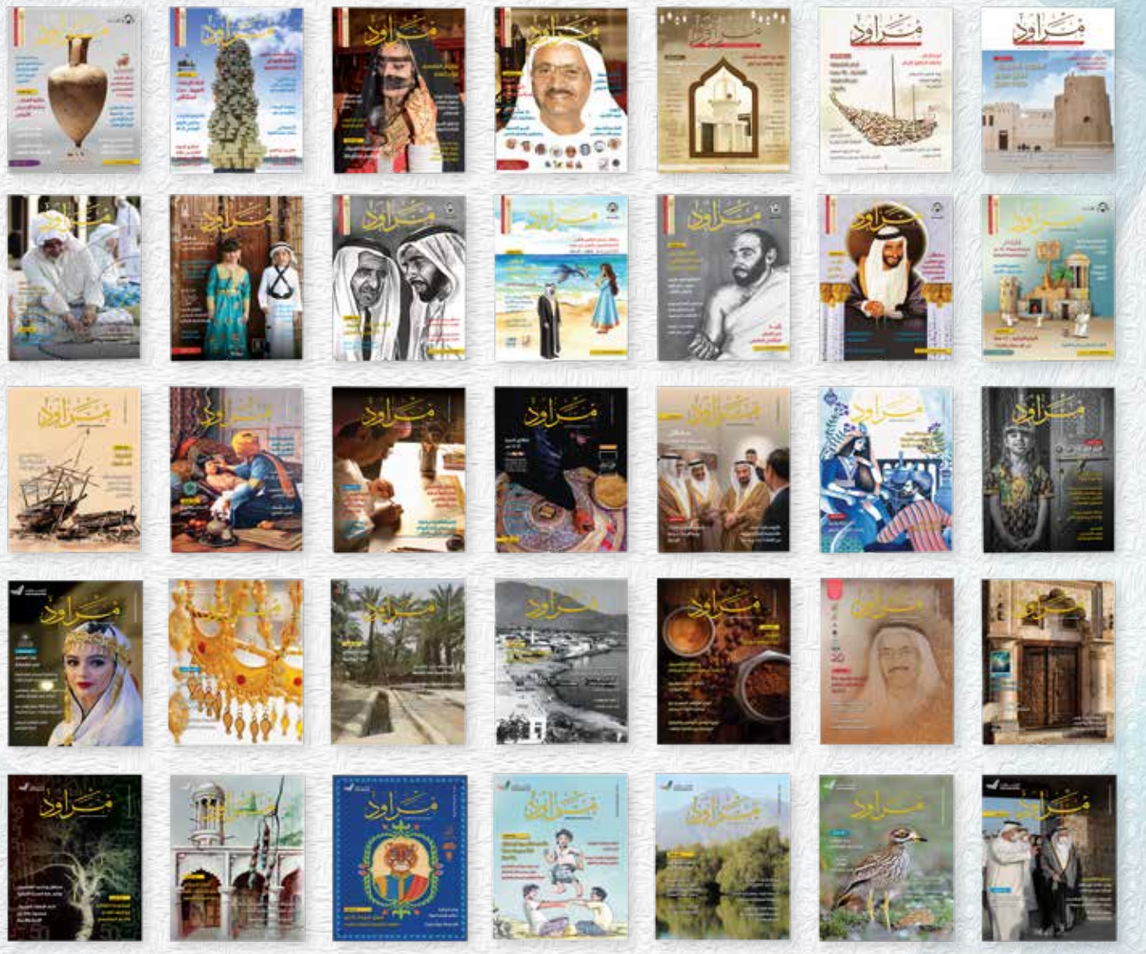

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة
United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization
معهد الشارقة للتراث
Sharjah Institute for Heritage
دائرة المحتوى والنشر
Content and Publishing Department
عام الخمسين
YEAR OF THE FIFTIETH
50
1971 UAE

سياسة النشر

تعنى مجلة «مراود» بالتراث الثقافي الإماراتي بالدرجة الأولى، ثم العربي والعالمي، وتسعى من خلال أبوابها إلى الاضطلاع بتلك الغاية، والتركيز على موضوعات تراثية تتّسم بالجدة والموضوعية والتنوّع والشمول، ومقاربة التراث، بحثاً وتوثيقاً ودراسةً وتدقيقاً، كما تعمل المجلة على تتبّع تجليات التراث الثقافي في الأعمال الإبداعية الإماراتية والعربية من خلال الاحتفاء والتوظيف والاستحضار لمختلف عناصره ورموزه.

وتركّز المجلة على الموضوعات الثقافية والتراثية والإعلامية التي تلامس مختلف جوانب التراث الثقافي من مهن وحرف وألعاب وحكايات وأزياء وزينة وحلي وفنون وموسيقى.. وكل ما يتّصل بفروع التراث الثقافي وعناصره، محلياً وعربياً وعالمياً.

ويشترط في المواد المقدّمة للنشر:

- الجِدّة والأصالة، وألا يكون سبق نشرها أو مقدّمة للنشر لدى مجلات أخرى.
- الموضوعية في الطرح والمصداقية في التناول.
- سلامة اللغة، وسلاسة الأسلوب.
- التوثيق العلمي وعزوُ كل قول إلى قائله.
- ألا تتضمن المواد ما ينافي المبادئ الأخلاقية والمقدسات الدينية أو يخدش الحياء، أو ينافي الذوق العام.
- ترفق مع المواد صور عالية الدقة والجودة.
- يراعى في ترتيب المواد المقدّمة للنشر الجانب الفني والموضوعي وفق رؤية هيئة تحرير المجلة.
- يحق لهيئة التحرير التصرف في صياغة المواد، متى كان ذلك ضرورياً، لتتماشى مع سياسة النشر، ومع الطرح الإعلامي المناسب للقارئ.
- إدارة التحرير غير ملزمة بشرح أسباب رفض نشر المواد ولا إرجاعها.
- المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة، وإنما عن رأي كتّابها.
- تستقبل المواد والمشاركات على بريد المجلة الإلكتروني: marawed@sih.gov.ae

للتواصل مع إدارة التحرير:

0097165014898 - 00971567927270

marawed@sih.gov.ae

مراود

صدر حديثاً

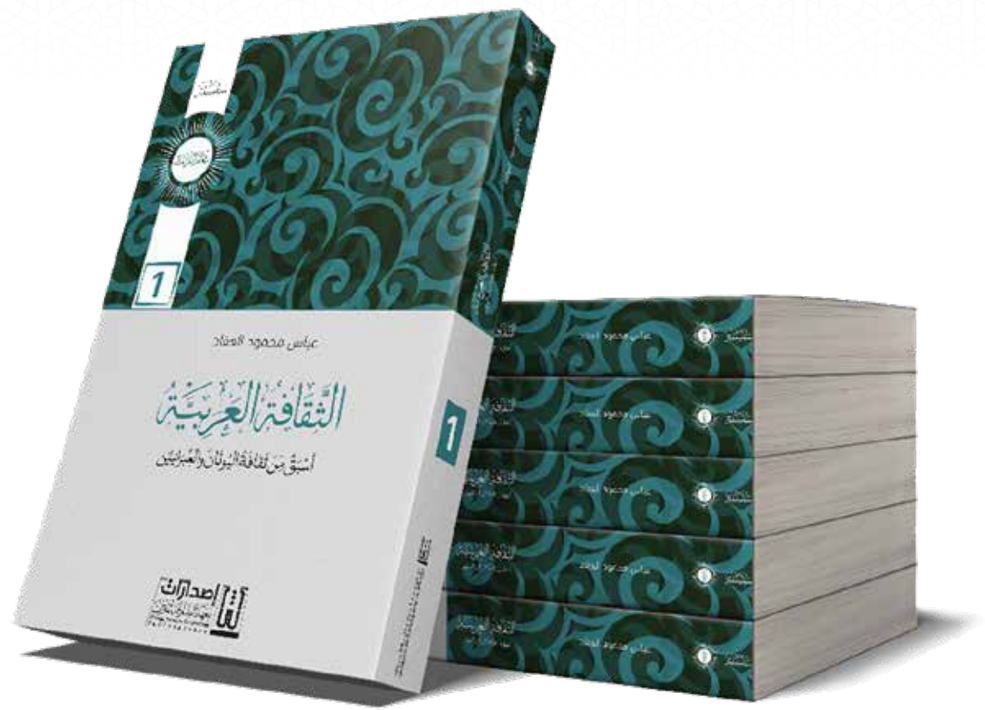

التراث الإماراتي على قوائم «اليونسكو»

د. عبدالعزيز المسلّم
رئيس معهد الشارقة للتراث
رئيس التحرير
az.almusallam@gmail.com

تعدّ تجربة الإمارات في مجال توثيق التراث غير المادي وحفظه، وتسجيله ضمن قائمة «اليونسكو» التمثيلية للتراث الثقافي الإنساني غير المادي رائدة ومهمة، حيث نجحت في تسجيل العديد من عناصر التراث الثقافي، كما قدمت نموذجاً فريداً في التعاون مع الدول الأخرى في ملفات حفظ التراث وتسجيله، وهو ما أهّلها لأن تحتل المركز الأول عالمياً في عدد الملفات الدولية المشتركة، التي تم تسجيلها في قائمة التراث الثقافي غير المادي للبشرية، الذي يحتاج إلى صون عاجل من «اليونسكو»، حيث قامت بتسجيل الصقارة مع أكثر من 18 دولة، ثم السدو والعيالة وفن التغرودة مع سلطنة عمان الشقيقة.

كما تقدمت الإمارات مع المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان وقطر بملفين مشتركين لتسجيل المجالس والقهوة العربية، في حين تعاونت الإمارات وسلطنة عمان في ملف الرزفة، واشتركت في تسجيل ملفات النخلة والخط العربي وغيرهما من العناصر التي تم تسجيلها على قوائم «اليونسكو». كما تم تسجيل مواقع العين الثقافية: الواحات، موقع هيلي الأثري، مدافن حفيت، بدع بنت سعود.

وثمة العديد من العناصر والقوائم المقدّمة، والتي لاتزال على القائمة التمهيدية أو الأولية، ومنها ملف «أيام الشارقة التراثية»، الذي تقدمت به الشارقة ضمن أفضل ممارسات صون التراث الثقافي، لما أسهمت به «الأيام» عبر تاريخها الممتد من جهود رائدة في حفظ التراث والتعريف به وحمايته وصونه، وقد حقّقت الأيام التراثية بذلك سبقاً كبيراً، وإسهاماً متميزاً في مجال أفضل الممارسات، ما جعلها تتصدّر المهرجات التراثية الأكثر تأثيراً.

في العدد الجديد من مجلة «مراود» ارتأينا أن نفرد مساحة لهذا الموضوع المهم، والذي يتسق بالضرورة مع أهداف المعهد واستحقاقاته الأخيرة، ورؤيته الشاملة والمتكاملة للتراث الثقافي الإماراتي والعربي، فالعالمي.

محتويات العدد

ملف العدد

عناصر التراث العربي على قوائم «اليونسكو»

24

أخبار ومتابعات

«الشارقة للتراث» يشارك في معرض القاهرة الدولي للكتاب بأكثر من 350 إصداراً

10

الافتتاحية
د. عبدالعزيز المسلّم
5

ملف العدد
عائشة راشد الحصان الشامسي
26

ملف العدد
م. عزيز رزنارة
30

ملف العدد
أ.د. مصطفى جاد
32

ملف العدد
أ. د. عبدالعزيز صلاح سالم
36

ملف العدد
فاطمة سلطان المزروعي
48

ملف العدد
مريم سلطان المزروعي
52

ملف العدد
فهد علي المعمري
56

ملف العدد
د. فهد حسين
80

ملف العدد
خالد ملكاوي
84

ملف العدد
محمد عبدالله نور الدين
94

موسيقا الشعوب
علي العبدان
98

102 الحيوان في التراث الإنساني
علي أحمد المغني

106 قراءة أدبية
خالد عمر بن ققة

109 قراءات
د. حمادة محمد هجرس

114 فضاءات
حسين الراوي

116 تنبيهات
سعيد يقطين

118 الحكاية الشعبية
د. يوسف النشابة

124 المرأة العربية في سطور وبين عصور

128 المقرّي: مُؤرخ الأندلس وحافظ المغرب

132 أهمية الحوش في البيت الخليجي القديم

136 التناص بين الشعر الملحون والشعر الفصيح

140 النسيج.. عندما يربط بخيوطه الماضي بالحاضر

146 الصَّقر الخشبي

150 الفن الصيني لتنسيق الزهور

154 الحكايات الشعبية اليابانية

158 شرفة
د. منّي بونعامة

مراود

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

رئيس التحرير
د. عبد العزيز المسلم
رئيس معهد الشارقة للتراث

مستشار التحرير
د. ماجد بوشليبي
رئيس جمعية المكتبات والمعلومات

مدير التحرير
د. منّي بونعامة
مدير إدارة المحتوى والنشر

هيئة التحرير
أ. علي العبدان
أ. عتيج القبيسي
أ. عائشة الشامسي
أ. سارة إبراهيم

سكرتير التحرير
أحمد الشناوي

التصميم والإخراج الفني
منير حمود

التدقيق اللغوي
بسام الفحل

التصوير
قسم الإعلام

معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

800TURATH
هاتف: 5092666 6 971+
انستغرام: marawed_sih
الموقع الالكتروني: www.sih.gov.ae

ISBN 978-9948-37-768-9

«الشارقة للتراث»

يشارك في معرض القاهرة الدولي للكتاب

بأكثر من 350 إصداراً

يشارك معهد الشارقة للتراث في فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب، في دورته الـ53، لعام 2022، التي بدأت في 26 يناير، وتستمر حتى 6 فبراير 2022، بجناح يضم إصدارات عدة، تزيد على 350 إصداراً، بالإضافة إلى تنظيم العديد من الفعاليات والأنشطة المتنوعة.

ويترأس وفد المعهد المشارك في المعرض، سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس المعهد، والأستاذ أحمد سالم البيرق، مدير إدارة الاتصال المؤسسي، والأستاذ أحمد الدح، رئيس قسم العلاقات الدولية، والدكتور منّي بونعامة، مدير إدارة المحتوى والنشر، وعصام الدنمي، منسق الشؤون الداخلية بمكتب رئيس المعهد.

بلورة الوعي الثقافي وإثراء المكتبة الإماراتية والعربية

قال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث: «نحرص على المشاركة في معارض الكتاب العربية والعالمية، حيث تأتي ضمن رؤية المعهد الثقافية الشاملة والمتكاملة، والرامية إلى رفد الساحة الثقافية بنتاجات علمية قيّمة، تراعي المعايير العلمية والضوابط الأكاديمية المتعارف عليها في مجال النشر العلمي، والتي تتّسق مع مشروع الشارقة الثقافي، وتتماشى مع توجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، لبناء جسور المعرفة عبر الكتاب، من خلال اختيار عناوين شائقة ذات مضامين ثرية، تسهم في بلورة الوعي الثقافي، وإثراء المكتبة الإماراتية والعربية بالجديد في الثقافة والتراث والتاريخ وغير ذلك».

مشاركة متنوّعة

تتضمن مشاركة معهد الشارقة للتراث تقديم سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم محاضرة علمية، يجول من خلالها في عوالم التراث الإماراتي، مستعرضاً تجربة المعهد وإسهاماته، فيما يضم جناح المعهد في المعرض كتباً وإصدارات متعددة، تجاوزت الـ350 إصداراً، وغطت مجالات عدة، في التراث والثقافة والتاريخ والأنثروبولوجيا وأدب الرحلات وغيرها، ومن بينها أحدث الإصدارات، كما يتم على هامش هذه المشاركة إطلاق برامج توقيعات في جناح المعهد للإصدارات المصرية لنخبة من الكتّاب والباحثين.

عدد من اللقاءات العلمية والثقافية

ويستمر المعهد في تنظيم عدد من اللقاءات العلمية والثقافية مع مجموعة من المؤسسات المصرية، لتعزيز التعاون المشترك في المجالات العلمية والثقافية، وفي صناعة الكتاب والنشر، وتوقيع اتفاقيات الشراكة، منها اتفاقية مع جامعة القاهرة، وأخرى مع جامعة الفيوم، وغيرهما، بالإضافة إلى زيارات علمية إلى مؤسسات تراثية وأرشيفية.

سفيرة الإمارات لدى مصر تزور جناح «الشارقة للتراث»

زارت سعادة مريم خليفة الكعبي، سفيرة دولة الإمارات لدى جمهورية مصر العربية، جناح معهد الشارقة للتراث في معرض القاهرة الدولي للكتاب، بدورته الـ53، وأشادت بالمنتج الثقافي للمعهد، وبدور إمارة الشارقة وجهودها في مختلف المجالات الثقافية والتراثية والمعرفية، حيث يشارك المعهد في المعرض الذي يستمر حتى 6 فبراير المقبل، ويُشكل منصة عالمية، ونافذة لإبراز إسهامات صناعة النشر الإماراتية.

تعزيز المشهد الثقافي على المستويين العربي والعالمي

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث: «سعدنا بزيارة سعادة السفيرة إلى جناح المعهد في معرض القاهرة الدولي للكتاب، وأطلعنا سعادتها على طبيعة المشاركة التي تتضمن فعاليات وأنشطة متنوعة، ونشكر سفارة الدولة على جهودها في تقديم كل التسهيلات التي تثري المشاركات الإماراتية في مختلف المحافل التي تقام في جمهورية مصر العربية الشقيقة».

وأكد سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم أن المعهد بكل ما يملك من إمكانات وعلاقات وخبرات، على استعداد تام للمشاركة مع سفارة الدولة في مصر بكل الأنشطة والفعاليات الثقافية التي تتطلع السفارة إلى تنظيمها وتنفيذها. وأضاف: «ويأتي حرصنا على المشاركة في الفعاليات الثقافية الكبرى على المستويين العربي والعالمي، للإسهام في تعزيز المشهد الثقافي، ترجمةً لتوجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، راعي الثقافة والمعرفة، والتزاماً برؤيته».

وخلال الزيارة، اتفق الطرفان على تزويد مكتبة السفارة في القاهرة بأحدث إصدارات المعهد، لإثراء محتوياتها بالكتب التراثية.

«الشارقة للتراث» يناقش استعداد المؤسسات التراثية للمستقبل

قدّم سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، ندوة بعنوان «تراثنا .. مستقبلنا»، بمشاركة الدكتور أحمد مرسي، أستاذ الأدب الشعبي والفولكلور بجامعة القاهرة، وذلك ضمن البرنامج الفكري الزخم الذي يُقدمه معرض القاهرة الدولي للكتاب الـ53، ويُشارك به المعهد إضافة إلى العديد من الفعاليات والأنشطة المميزة.

محاور سلّطت الضوء على مدى استعداد المؤسسات التراثية العربية للمستقبل

وتضمنت الندوة محاور عدة، سلّطت الضوء على مدى استعداد المؤسسات التراثية العربية للمستقبل، وكذلك تقديم التراث بمختلف عناصره ومكوناته للأجيال الجديدة، بشكل يجعل هذه الأجيال تقبل على التراث وتتقبله.

مصر نقطة انطلاق المشرق العربي والمغرب

أكد سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم أن المعهد أصبح مركزاً دولياً لبناء القدرات في البلدان العربية برعاية «اليونسكو»، وكل هذا تحقق بفضل الدعم المتواصل، والرعاية الدائمة من قبل صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، الذي يتميز بتوجهه العروبي الأصيل، وحرصه على الثقافة والتراث.

وأضاف سعادته: «نحاول، من خلال معهد الشارقة للتراث، إنصاف التراث المعنوي من سيطرة التراث المادي، وكذلك إنصاف التراث المعنوي من المؤثرات السلبية التي تحيط به، وإنعاش الوجدان الشعبي في أن تكون له ديمومة، فالوجدان الشعبي يحب الإيجاب ولا يحب السلب، وهو دائماً في صف القيم الرفيعة».

وأشار المسلّم إلى أن الشهر المقبل سيشهد إقامة دورة تدريبية تحت مظلة معهد الشارقة للتراث، وموضوعها «بناء القدرات.. وإعداد الملفات»، مضيفاً: «نحن نعتبر مصر نقطة انطلاق المشرق العربي والمغرب».

التعاون المشترك في تسجيل التراث الشعبي لكل الدول العربية

من ناحيته، ثمّن الدكتور أحمد مرسي جهود صاحب السمو حاكم الشارقة، الذي أخذ على عاتقه إنشاء معهد الشارقة للتراث، والذي تطور على يد الدكتور عبدالعزيز المسلّم، حتى اعترفت به منظمة اليونسكو، مضيفاً أنه يجب أن نستفيد من الشعلة المتقدة الآن في كل الدول العربية، ونعمل على ربط التراث العربي معاً، والتعاون مع المعهد في تسجيل التراث الشعبي لكل الدول العربية.

وأشار إلى أن التراث الشعبي (الفولكلور) يحتاج إلى اهتمام كبير، معتبراً إياه قضية تندرج تحت قضايا هوية الشعوب، مضيفاً: «قضيتُ أكثر من 50 عاماً من عمري من أجل الحفاظ عليه في مصر، وفي الوطن العربي كله، ولكن الاهتمام دائماً ما ينصب على التراث المادي الملموس، رغم أنه يمكن إصلاحه، ولا يضيع، أما التراث غير المادي فهو سهل الضياع والاندثار».

وتناول الدكتور المسلّم كيفية جعل التراث مادة مقبولة، من خلال الإعلام، وللعرض الإعلامي بشكل جاذب، فالإعلام شريك فاعل وحيوي واستراتيجي، وله دور نثق به ونعول عليه، وأكد أن الجميع معنيون بنقل التراث إلى الأجيال القادمة، والإعلام إحدى أهم الوسائل والأدوات في ترجمة وتحقيق هذه المهمة الكبيرة.

دليل الكنوز البشرية الحيّة

وطرح سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم تساؤلاً مهماً خلال الندوة، هو: لماذا لا يكون هناك دليل للكنوز البشرية العربية الحية، ويتبناه المعهد؟ فهذه الكنوز المقدرة حاضرة وفاعلة وموجودة في كل مكان، في مصر، وفي الإمارات، وموريتانيا، وفي كل مكان في البلدان العربية، بحيث يتضمن الدليل تجديداً وتحديثاً مستمرين، ويوزع على الوطن العربي للفائدة والرجوع إليه، بما يخدم ديمومة حماية التراث ونقله للأجيال واستدامته.

«الشارقة للتراث» يبحث التعاون المشترك مع مؤسسات ثقافية وأكاديمية مصرية

زار وفد من معهد الشارقة للتراث، برئاسة سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس المعهد، كلية الآداب في جامعة القاهرة، وأكاديمية الفنون بالقاهرة، وذلك ضمن نهج المعهد في تعزيز التعاون الأكاديمي في مجال التراث الثقافي مع المؤسسات المعنية حول العالم.

وجاء وفد المعهد بحضور الأستاذ أحمد سالم البيرق، مدير إدارة الاتصال المؤسسي، والأستاذ أحمد الدح، رئيس قسم العلاقات الدولية، وعصام الدنمي، منسق الشؤون الداخلية بمكتب رئيس المعهد.

التوثيق الرقمي للتراث الثقافي

وكان في استقبال الوفد عند زيارته جامعة القاهرة الأستاذ الدكتور شريف كامل شاهين، عميد كلية الآداب، وعدد من أساتذة الكلية. وتطرق الوفدان في اللقاء إلى سبل التعاون المشترك في مجال التوثيق الرقمي للتراث الثقافي، وكذلك في المجال الأكاديمي، بما يخدم الطلبة والباحثين والمهتمين بالتراث في الإمارات ومصر.

تعاون مشترك في مجالات حفظ ودراسة التراث الثقافي

كما زار الوفد المعهد العالي للفنون الشعبية بأكاديمية الفنون، حيث استقبلته الأستاذة الدكتورة غادة جبارة، رئيسة الأكاديمية، والأستاذ الدكتور مصطفى جاد، عميد المعهد العالي للفنون الشعبية. وفي اللقاء اتفق الطرفان على مبادئ بروتوكول تعاون بين المعهد والأكاديمية في مجالات حفظ التراث الثقافي ودراسته، بما في ذلك تبادل الخبرات، خصوصاً فيما يتعلق بالتراث الثقافي غير المادي، والأفلام الوثائقية، والنشر، وفنون الأداء الشعبي.

تبادل الخبرات والتجارب والمعارف

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلم: «باعتبارنا مؤسسة أكاديمية تشتغل في التراث بمختلف عناصره ومكوناته ومجالاته المادية وغير المادية، نحرص على نسج وتأسيس وترسيخ علاقاتنا الأكاديمية مع الجامعات والمؤسسات العريقة، خصوصاً تلك التي نتقاطع معها في موضوعات التراث، وأهمية وضرورة حمايته والحفاظ عليه ونقله للأجيال، من خلال مشاريع وأعمال مشتركة وأنشطة وبرامج، تعزز وترسخ هذا النهج».

وتابع الدكتور المسلم: «قمنا خلال وجودنا في القاهرة بزيارة عدد من المؤسسات المعنية بالتراث والفنون والعمل البحثي والأكاديمي، وتضمنت هذه الزيارات لقاءات وحوارات مع القائمين على تلك المؤسسات، ونقاشات معمقة وتبادل مقترحات وأفكار وخبرات وتجارب من أجل المزيد من العمل والإنتاج، لما فيه مصلحة التراث واستدامته».

وأعرب الدكتور المسلّم عن شكره وتقديره لكل القائمين على هذه المؤسسات العريقة لما بذلوه ويبذلونه من جهود علمية وعملية نوعية، مشيداً بحسن الاستقبال، وعمق النقاشات التي أثمرت نتائج جيدة، ستجد طريقها للترجمة والتنفيذ في القريب العاجل.

أيام الشارقة التراثية

وتضمنت زيارات الوفد لقاء مع طلبة المعهد العالي للفنون الشعبية وأساتذته في حوار مفتوح، تم خلاله عرض نشاطات معهد الشارقة للتراث، ومكانته العالمية المرموقة في مجال التراث المادي وغير المادي، ووجه المعهد دعوة للطلاب من أجل المشاركة في أيام الشارقة التراثية التي ستقام في شهر مارس المقبل.

«الشارقة للتراث» يطلق سلسلة «عالم التراث»

ضمن الخطة الجديدة للنشر وصناعة الكتاب، التي يرعاها معهد الشارقة للتراث، سعياً إلى إغناء المكتبة العربية، وإثرائها بالعديد من العناوين القيّمة، أشرف سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، على إطلاق سلسلة «عالم التراث»، مؤخراً، على هامش معرض القاهرة الدولي للكتاب، في دورته الـ53، لعام 2022، وهي سلسلة مستحدثة يديرها الكاتب والناقد المصري إيهاب الملاح، ضمن مجموعة من السلاسل التراثية التي سيطلقها المعهد تباعاً هذا العام، بهدف إثراء وتنوّع المحتوى التراثي وشموله.

وتحدث سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس المعهد، عن الجهود القيّمة والمهمة التي يضطلع بها معهد الشارقة للتراث، في سبيل إثراء المحتوى التراثي العربي، وبخاصة بعد الاستحقاقات الكبرى التي

أحرزها المعهد، والتي جعلته ينطلق في عوالم شاسعة، وفضاءات أكثر رحابة واتساعاً، حاضناً وراعياً للتراث العربي والخليجي، ومنفتحاً على التراث العالمي والإنساني.

وأكد المسلّم أن هذه السلسلة ذات أهمية كبيرة في إعادة الحياة إلى العديد من العناوين القيّمة في تاريخ الثقافة العربية، وهي واحدة من مجموعة من السلاسل التي سيقوم المعهد بنشرها خلال هذا العام.

وأشار المسلّم إلى أن المعهد عمل بجهود حثيثة على توثيق الشراكة والتعاون المشترك مع مختلف الهيئات والمؤسسات المصرية والعربية، وبخاصة العاملة في مجال النشر وصناعة الكتاب، وذلك سعياً إلى إتاحة إصدارات المعهد لجمهور القراء حيثما كانوا، وتمكينهم من الاستفادة منها، والنهل من معينها الزاخر.

من جانبه، تحدث الكاتب إيهاب الملاح عن أهمية هذه السلسلة، والإضافة النوعية التي ستقدّمها للقرّاء والباحثين، مشيداً بما حققه المعهد في مجال النشر من جهود قيّمة في خدمة التراث والثقافة العربية، كنّا بمسيس الحاجة إليها، مؤكداً أن هذه السلسلة ستكون رقماً مهماً في تاريخ النشر في العالم العربي.

تقوم السلسلة على انتخاب مجموعة من العناوين المهمة للكتب القيّمة لأعلام التراث والثقافة في العالم العربي، بهدف بعثها وإعادة إحيائها ونشرها، وجعلها في متناول القارئ، بعد أن توارت عن الأنظار عقوداً طويلة؛ لذلك كان عددها الأول بعنوان: «الثقافة العربية.. أسبق من ثقافة اليونان والعبرانيين»، لمؤلفه عباس محمود العقاد. وقد جرت مراسم الإطلاق بحضور نخبة من الكتّاب والباحثين والإعلاميين.

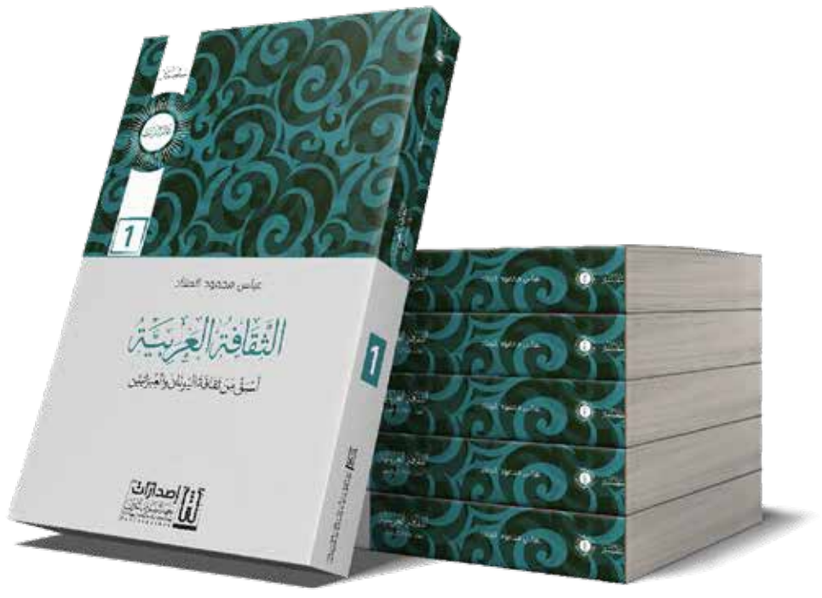

«الشارقة للتراث»

يناقش مستجدات الدورة الـ 19 لأيام الشارقة التراثية

ناقش معهد الشارقة للتراث، خلال الاجتماع التنسيقي الثاني ، مستجدات النسخة الـ19 من «أيام الشارقة التراثية للعام 2022»، التي ينظمها المعهد سنوياً للاحتفاء بالمظاهر التراثية والثقافية من عادات وتقاليد أصيلة متوارثة في المنطقة والعالم، حيث يجمع التراث والثقافة والفن في الحدث الأكبر في إمارة الشارقة.

ترأس الاجتماع سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث رئيس اللجنة العليا لأيام الشارقة التراثية، بحضور كل من أبوبكر الكندي، المنسق العام لأيام الشارقة التراثية، وفاطمة المرزوقي، المديرة التنفيذية رئيسة لجنة الشؤون التنظيمية والإدارية، وأحمد سالم البيرق، رئيس لجنة الاتصال المؤسسي، وعائشة غابش، رئيسة لجنة الفعاليات، وعائشة الحصان الشامسي، رئيسة لجنة التراث العربي، وبدر الشحي، رئيس لجنة البنية التحتية، إلى جانب عدد من الكوادر في المعهد.

وبحث الاجتماع حزمة من القضايا والمقترحات والأفكار الخاصة بالدورة المقبلة، تضمنت خطط اللجان العامة، التي ركّزت على أهمية الإبداع والابتكار لخطط نوعية حيوية وجاذبة، تستفيد من الخطط السابقة، وتبني عليها، وتضيف لها ما يليق بمكانة ومسيرة أيام الشارقة التراثية، والمعارض التي تشكل نقطة جذب مميزة، وعنواناً عريضاً في الأيام والفعاليات المقترح إقامتها، حيث التركيز على التنوع والتميز بما يعكس الرؤية العميقة للأيام، ويسهم في تحقيق الأهداف والشعار اللفظي الخاص بالدورة، الذي يعتبر قيمة مضافة إلى الفعالية العالمية.

«الشارقة للتراث»

يستقبل وفداً بصحبة الدكتور عبدالعزيز النعيمي

استقبل معهد الشارقة للتراث، الشيخ الدكتور عبدالعزيز بن علي بن راشد النعيمي، المستشار البيئي لحكومة عجمان الرئيس التنفيذي لجمعية الإحسان الخيرية، يرافقه وفد من المملكة الأردنية، يضم كلاً من: الدكتور رائد جازي عوض التبيني، مدير عام مؤسسة التعلم العالمية الأمريكية – الأردن، والأستاذ الدكتور محمد وهيب حسين، أستاذ الآثار في الجامعة الهاشمية – كلية الملكة رانيا للسياحة والآثار، والسيد حسين خلف أبونوير، شيخ عشيرة ومدير سابق للتنمية الاجتماعية لإقليم الجنوب، والسيد مازن مسيب الدمانية؛ شيخ عشيرة، والسيد ياسين عطاالله السعيدات، مدير خدمات مركز زوّار البتراء، وكبار الضيوف.

وكان في استقبالهم كلّ من فاطمة المرزوقي، مديرة إدارة المكتب التنفيذي لسعادة رئيس المعهد، وعائشة غابش، مديرة إدارة الفعاليات والأنشطة، والمهندس محمد

خميس، مدير إدارة المتابعة والتنسيق، وجاسم الصواية، منسق العلاقات العامة والتشريفات، وعبدالله راشد، منسق إدارة الفعاليات والأنشطة.

وقام الوفد بجولة في قلب الشارقة القديمة، تعرّف خلالها إلى العديد من المَعالم التراثية والتاريخية، التي شكّلت جزءاً مهماً من الذاكرة المكانية في المنطقة، بما تعكسه من تنوّع وثراء في الطبيعة العمرانية والعمارة، التي تشمل العمارة الدفاعية والمدنية والتجارية وغيرها، ومن جملة المعالم المزورة: ساحة قلب الشارقة، والبيت الغربي، وبيت النابودة، وسوق العرصة، وسوق الشناصية، وسوق صقر.

كما اطلع الوفد على معلومات وافية عن مركز الحِرف الإماراتية، ودوره في المحافظة على التراث الحِرفي في الشارقة، من خلال ما يقدّمه من أنشطة وبرامج وفعاليات، وورش ودورات متخصصة، تضطلع بالهدف المنشود.

ملف العدد

عناصر التراث العربي على قوائم «اليونسكو»

معهد الشارقة للتراث والطريق إلى «اليونسكو»

عائشة راشد الحصان الشامسي
مديرة مركز التراث العربي

إن المتتبع للمشروع الثقافي الذي أرسى قواعده صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم إمارة الشارقة، حفظه الله ورعاه، منذ ما يربو على الأربعين عاماً، يجد أن البرامج والمبادرات الثقافية، التي تم إطلاقها على مدى هذه السنين، قد رسمت ملامح الإمارة الثقافية.

كما أن جزءاً ليس باليسير من هذه المشاريع والمبادرات الثقافية، ارتبطت برامجه بمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، فعلى سبيل المثال لا الحصر، أدرجت إمارة الشارقة ضمن شبكة اليونسكو للمدن المبدعة، بصفتها مدينة الحرف والفنون الشعبية، لاتخاذها من الإبداع أساساً لتطورها، خصوصاً في مجال الفنون والحرف الشعبية، ملتزمة وضع الثقافة في صميم استراتيجيتها الإنمائية، ومنهجيتها التي تدعو إلى تعزيز ارتباط الأجيال الناشئة بتراثها، وما يحويه من مكونات أصيلة، تعكس الهوية الوطنية الإماراتية، وثقافتها، وفنونها الشعبية، عبر مراحل التاريخ المختلفة، وتقديراً لجهودها المبذولة، في سبيل إحياء التراث الثقافي الإماراتي، والارتقاء بالمهن والصناعات المحلية.

كما أضافت إمارة الشارقة ضمن سجلها الحافل بالمنجزات الثقافية، منجزاً آخر، هو إنشاء المركز الدولي لبناء القدرات في مجال التراث الثقافي غير المادي بالدول العربية، الذي اتخذ من معهد الشارقة للتراث مقراً له، إيماناً بالجهود التي تبذلها إمارة الشارقة لحماية التراث الثقافي غير المادي، وتعزيز الوعي به.

إن معهد الشارقة للتراث وعلاقته بمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، ليست وليدة اللحظة، بل كانت على مدى سنوات طويلة، منذ أن كان المعهد عبارة عن إدارة للتراث، في دائرة الثقافة بالشارقة، من خلال المشاركة في الملتقيات، والمؤتمرات الدولية، والورش الإقليمية، التي تنظمها «اليونسكو»، والتي كان جل اهتمامها التراث الثقافي بشقيه المادي وغير المادي، إلى أن أقرت اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي، التي اعتمدها المؤتمر العام لليونسكو في عام 2003م، والتي تهدف إلى حماية عناصر التراث غير المادي، وضمان احترام التراث الثقافي غير المادي للجماعات والمجموعات والأفراد المعنيين. وزيادة الوعي على المستويات المحلية والوطنية والدولية بأهمية التراث الثقافي غير المادي، وضمان التقدير المتبادل له.

وبناءً على ما جاء في هذه الاتفاقية، وموادها الشارحة لمجالات التراث الثقافي غير المادي، فقد قام معهد الشارقة للتراث بالعمل على تطبيق بنودها على أرض الواقع، وذلك من خلال وضع خطط مستقبلية، من أجل

إعداد وتأهيل باحثين، وتمكينهم من إعداد استمارات جرد عناصر للتراث الثقافي المحلي، وذلك بالاستفادة من الفعاليات الكبرى التي ينظمها المعهد على مدار العام، كأيام الشارقة التراثية، وملتقى الشارقة الدولي للراوي، وإتاحة الفرصة لهذه الكوادر للتدرب، والنزول ميدانياً، بهدف الالتقاء بالمجتمع المحلي، والجماعات والمجموعات الممارسة لبعض العناصر، وتسجيل شهاداتها، وخبراتها، وكل ما يخص العناصر المعنية بها. ونتيجة للخبرات التي اكتسبها المعهد، في مجال تدريب وتأهيل باحثين في التراث الثقافي غير المادي، قدمت اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم بالدولة في عام 2017م، مقترحاً لسعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، يتضمن تقديم طلب اعتماد معهد الشارقة للتراث، كمركز من الفئة الثانية تحت رعاية «اليونسكو»، لبناء القدرات في مجال التراث الثقافي غير المادي بالدول العربية، وذلك إيماناً من اللجنة الوطنية بالمكنات، والخبرات التي يمتلكها المعهد في مجال التراث الثقافي وحمايته، وقربه من المجتمعات المحلية التي تمارس عناصر التراث الثقافي، وإتاحته فرص التواصل مع الجماعات والمجموعات والأفراد، بالجمهور، من أجل التعريف بهذه العناصر، المكونة للهوية الوطنية، وممارستها.

وفي عام 2019م، تم الإعلان عن موافقة منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، خلال اجتماعات المؤتمر العام الأربعين، في باريس، على منح معهد الشارقة للتراث، صفة مركز الفئة 2 تحت رعايتها، مقدرة الدور المهم الذي تقوم به دولة الإمارات العربية المتحدة، في الحفاظ على التراث الثقافي، وتثمينه، وتقدير القائمين عليه.

الغرض من إنشاء مركز الفئة 2 تحت رعاية «اليونسكو» بمعهد الشارقة للتراث:

- بناء القدرات، وتأهيل كوادر وطنية، وعربية جديدة من الخبراء، في مجال صون التراث الثقافي غير المادي، بحيث توكل إليهم مسؤولية حمايته في الدول العربية، والتوعية بأهميته خاصة لدى الناشئة، وتثمينه، وحسن ترويجه، وتوظيفه في منظومة التنمية المستدامة. تستند إلى البرنامج الذي وضعته «اليونسكو» للتنفيذ الفعال لاتفاقية عام 2003.
- بناء شبكات بين المجتمعات والأفراد المعنيين لتعزيز نقل التراث الثقافي غير المادي ونشره، وتنظيم الفعاليات والاجتماعات العامة على الصعيدين الإقليمي والدولي، وتعزيز الشبكات الدولية والإقليمية لتبادل المعلومات والمعارف المتعلقة بحماية التراث الثقافي غير المادي.
- صون التراث الثقافي غير المادي، على المستوى الإقليمي، والعمل على اتخاذ التدابير الرامية إلى ضمان استدامته، بما في ذلك تحديد هذا التراث وتوثيقه، وإجراء البحوث بشأنه والمحافظة عليه وحمايته وتعزيزه وإبرازه ونقله؛ أي من خلال تنفيذ بنود اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي الموقعة بباريس في أكتوبر 2003.
- تحقيق رؤية صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، حفظه الله ورعاه، في دعم التراث العربي، والارتقاء بآليات جمعه، وحفظه، ونشره، وإضافة نوعية الى سجل المشاريع الثقافية والتراثية الكبرى التي تندرج في صميم المشروع الثقافي لسموّه، ودعماً لمسيرة التراث في الإمارات والخليج والوطن العربي.
- أهمية أن يكون هذا المركز نواة إشعاع في مجال التراث الثقافي غير المادي للدول العربية في إمارة الشارقة ودولة الإمارات العربية المتحدة، والاستفادة منه في الحوار بين الحضارات وسياسات التنمية في الوطن العربي.

ملف العدد

المعاهد والمراكز فئة 2 تحت رعاية «اليونسكو»

م. عزيز رزنارة*
-رحمه الله-

تقوم «اليونسكو» بتنظيم ورعاية برامج ومشاريع عدة، في المجالات التي تشرف عليها على الصعيد الدولي، ونظراً لتعدد هذه البرامج والمشاريع، وتنوعها بتنوع اختصاصات «اليونسكو» في مجال الثقافة والتربية والعلوم، فإنها أنشأت هيئات ومنظمات مختصة عدة تابعة لها، تشرف على قطاعات محددة ومعينة، وتسهر على تنفيذ ومتابعة البرامج والمشاريع المدرجة في كل قطاع، هذه المؤسسات التابعة مباشرة لـ«اليونسكو» هي التي يطلق عليها الفئة 1.

وقد ارتأت «اليونسكو» منذ سنوات، إدماج بعض المعاهد والمراكز غير التابعة، في عملية الإشراف على تطبيق بعض برامجها، وتحت رعايتها. ويمكن أن تكون هذه المعاهد والمراكز قائمة فعلاً، أو هي قيد الإنشاء. وهكذا أنشأت «اليونسكو» منظومة المعاهد والمراكز فئة 2 تحت رعايتها، والتي تم تحديد استراتيجيتها الشاملة والمتكاملة في القرار 37م/93، الصادر في نوفمبر 2013. ويحدد هذا القرار بالتفصيل النقاط الآتية:

1. الإنشاء والاستعراض الدوري والتقييم
- الإنشاء ومنح الصفة.
- مسؤولية «اليونسكو» القانونية.
- عمليات الاستعراض والتقييم.

2. الأنشطة والعمليات
- النطاق العالمي والإقليمي ودون الإقليمي والأقاليمي.
- الإسهام في برامج «اليونسكو».
- إعداد استراتيجيات على مستوى قطاعات برنامج «اليونسكو» بشأن التشارك مع مراكز ومعاهد الفئة 2 في موضوعات محددة.
- إعداد التقارير عن النتائج.

3. التنسيق وإعداد التقارير
- عملية المسح لمعاهد ومراكز الفئة 2.
- تحديد جهة تنسيق عالمية.

4. الحوكمة والجوانب الإدارية
- الحوكمة.
- التمثيل والحضور المتبادل للاجتماعات المتعلقة بالسياسات.
- استخدام موظفي «اليونسكو».
- تدريب الموظفين وتبادلهم.

5. الجوانب المالية
- الالتزامات المالية.

6. الإسهامات في أنشطة البرنامج

7. إبراز صورة «اليونسكو»
- استخدام اسم «اليونسكو» وشعارها.
- الإسهام في إبراز صورة «اليونسكو» في الميدان.
- تنفيذ خطة عالمية للاتصالات.

8. اعتبارات أخرى
- التمثيل الجغرافي.
- لجان الاستعراض.
- استعراض الاتفاقات القائمة وتطويعها.
- دراسة طلبات الحصول على صفة الفئة
-تقديم التقارير إلى دورات المجلس.
- تغيير الوضع.

وينص القرار أعلاه على أن ترشيح معهد أو مركز ما يكون استناداً إلى اقتراح دولة عضو أو دول أعضاء عدة، مشفوع بدراسة جدوى، يضطلع بها المدير العام الذي يعيّن لجنة خبراء للقيام بهذه الدراسة، والتي بناء عليها يوصي المجلس التنفيذي المؤتمر العام بمنح صفة معهد أو مركز من الفئة 2، يعمل تحت رعاية «اليونسكو».

كما أنه لا يجوز إنشاء المعاهد والمراكز من الفئة 2 إلا بموجب قرار صادر عن المؤتمر العام، ويجب أن ينص مثل هذا القرار بصورة محددة على أن الكيان المعني يعمل تحت رعاية «اليونسكو».

في حالة معهد الشارقة للتراث، فقد كان الاقتراح باعتماده معهداً من الفئة 2 من طرف الجمعية الوطنية الإماراتية لـ«اليونسكو»، وذلك خلال سنة 2017، وتمت مخاطبة المديرة العامة لـ«اليونسكو» رسمياً بهذا الموضوع. وخلال شهر أبريل 2018 أرسلت «اليونسكو» الخبير الدكتور أحمد اسكونتي للقيام بدراسة جدوى حول هذا الاقتراح، تتضمن زيارة إلى معهد الشارقة للتراث؛ للاطلاع بعين المكان على إمكانات المعهد المادية والبشرية؛ للقيام بالمهام المسطرة في برنامج المعاهد والمراكز من الفئة 2 تحت رعاية «اليونسكو».

وبالفعل استقبل خبير «اليونسكو» خلال شهر أبريل من طرف رئيس المعهد، بحضور مديري ورؤساء مختلف الإدارات والأقسام بالمعهد، وقدمت له مختلف الشروحات والبيانات المطلوبة لتعزيز ملف الطلب، كما نظمت للخبير زيارة ميدانية إلى مختلف المكاتب الجهوية للمعهد في إمارة الشارقة: الذيد، ودبا الحصن وخورفكان وكلباء، حيث التقى مديري هذه المكاتب وأطرها، واطلع هناك على سير أعمالها وإمكاناتها المادية والبشرية. وقد مكنت هذه الجولة السيد الخبير من تكوين فكرة شاملة عن مؤهلات المعهد اللوجيستيكية والبشرية للاضطلاع بالمهام التي تقتضيها توصيات «اليونسكو»، فيما يخص المعاهد والمراكز من الفئة 2.

وفي آخر لقاء له مع رئيس المعهد، بعد انتهاء مهمته، اقترح السيد الخبير على رئيس المعهد أن يكون مجال نشاط المعهد كمركز من فئة 2، هو «تقوية القدرات في مجال صون التراث الثقافي غير المادي في الدول العربية»، وذلك نظراً لما لمسه من تجربة وخبرة للمعهد في هذا المجال، ولأن «اليونسكو» تعطي أهمية استثنائية لهذا المجال، كما أن مجموعة الدول العربية ليس لها بعد أي معهد أو مركز من هذه الفئة، وبالتالي فإن معهد الشارقة للتراث سيكون أول مركز من الفئة 2 تحت رعاية «اليونسكو» خاص بالدول العربية. وأوضح الخبير أن هناك مركزين اثنين في دولتين عربيتين، الجزائر والبحرين، لكن الأول يهم الدول الإفريقية، بينما الثاني الدول الآسيوية. وكان اللقاء كذلك فرصة عبّر فيها الخبير عن إعجابه بالمستوى الذي وصله المعهد في مجال حماية وصون التراث الثقافي، مما ترك لديه انطباعاً إيجابياً عن نتيجة الطلب الذي قدم باسم المعهد. وقد تجلى ذلك في التقرير الذي رفعه الخبير إلى المجلس التنفيذي، حيث كانت ملاحظاته كلها إيجابية، وتشيد بالمستوى العالي لإمكانات المعهد، وتوافره على الوسائل والخبرات اللازمة للقيام بدوره كاملاً كمركز من فئة 2، كما أوصى بقبول طلب المعهد.

المجلس التنفيذي لـ«اليونسكو» بعد اطلاعه على تقرير الخبير أوصى في أكتوبر 2019 باعتماد معهد الشارقة للتراث مركزاً من الفئة 2 تحت رعاية «اليونسكو»، وهو ما أعلنه رسمياً بباريس في نوفمبر 2019، أثناء أشغال مؤتمر «اليونسكو» الذي عقد مؤخراً في العاصمة الفرنسية.

ويجب التذكير بأنه بعد اعتماد معهد الشارقة للتراث من طرف «اليونسكو»، قررت هذه الأخيرة تغيير شروط قبول المعاهد والمراكز المتقدمة بطلب اعتمادها من الفئة 2، وذلك باقتصار هذه التسمية فقط على المعاهد والمراكز الموجودة أصلاً، والتي لها سنوات من الخبرة والتجربة في مجال التراث، واستبعدت تلك التي تقدم الطلب، وهي بعد قيد الإنشاء كما كان سابقاً.

* أعدت هذه المادة قبل رحيل الكاتب بمدة وجيزة.

الصون العاجل لتراثنا الثقافي

مطلب عاجل

أشارت اتفاقية «اليونسكو»، التي صدرت عام 2003، إلى ضرورة أن تقوم كل دولة موقّعة على الاتفاقية، بعمل قائمة حصر بالتراث الثقافي غير المادي، الموجود على أراضيها، وذلك وفق تصنيف هذا التراث إلى المجالات الخمسة الرئيسة: التقاليد وأشكال التعبير الشفهي – فنون وتقاليد أداء العروض – الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات – المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون – المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية.

أ.د. مصطفى جاد
عميد المعهد العالي
للفنون الشعبية بالقاهرة

وقد أشرنا في كثير من الدراسات إلى أسبقية المدرسة العربية في تعريف حدود هذا التراث وتصنيفه. غير أننا نريد أن نركز هنا على محور رئيس في اتفاقية «اليونسكو»، وهو وجود ثلاث قوائم رئيسة، الأولى: قائمة الصون العاجل، وتهتم بترشيح الدول لعناصر التراث التي أوشكت على الاندثار أو المهددة، الثانية: قائمة الممارسات الجيدة، وتهتم بترشيح التطبيقات التي قامت بها الدول في صون التراث كنموذج جيد يحتذى به، الثالثة: القائمة التمثيلية، وتهتم بترشيح الدول لعناصر التراث المنتشرة، والتي تحظى بكثير من الصون والاهتمام.

وكان هدف «اليونسكو» في المقام الأول هو العمل جدياً من أجل «صون» هذا التراث، وكان من المأمول أن تتقدم دول العالم بملفات حول عناصر التراث الثقافي غير المادي، الذي يحتاج إلى صون عاجل، غير أن القائمين على الاتفاقية فوجئوا بأن ما يقرب من تسعين في المائة من الملفات المقدمة من دول العالم ارتبطت بالتسجيل على القائمة التمثيلية، وقد ساير العالم العربي هذا الاتجاه. فرغم أننا في أشد الحاجة إلى الالتفاف حول قائمة الصون العاجل، خاصة أن هذه القائمة تتيح دعماً مادياً لحماية هذا العنصر أو ذاك، إلا أن المنطقة العربية لم تضع هذا الأمر موضع الاهتمام، وتسابقت لتقديم ملفات – على أهميتها – فإنها لم تخدم مفهوم الصون، بل سعت إلى الاحتفال بالعناصر المصونة بالفعل، وبالطبع لم نسجل عنصراً واحداً على قائمة الممارسات الجيدة، رغم أننا نملك عشرات التجارب التي يمكننا تقديمها للعالم في هذا الإطار.

وعلى مدى أكثر من خمسة عشر عاماً، لم تسجل المنطقة العربية سوى خمسة ملفات فقط على قائمة الصون العاجل، قدمتها أربع دول فقط، هي: الإمارات – موريتانيا – سوريا – مصر، وكانت البداية في عام 2011، حيث سجلت الإمارات عنصر «السدو» أو «الشملة»، وهو من فنون النسج التقليدية في الإمارات العربية المتحدة، ويعد من أنواع الحياكة التقليدية التي تقوم بها نساء البادية لصناعة الألبسة والفرش والزينة، وستر الحواجز وإكسسوارات الزينة للإبل والخيول وغيرها، حيث الرجال يقومون بجز الماشية من غنم وماعز وبعير، بينما تجتمع النسوة للحياكة. وفي العام نفسه سجلت موريتانيا «سيرة آتّهيدين»، وهي ملحمة البيظان المكوّنة من قصائد تـمَجّد بطولات وإنجازات أمراء

ومحاربي البيظان في موريتانيا، تتألف من نص شعري شعبي يُنشد في مقام الحماسة، ويصف مناقب البطل، يُنشد على مسامع البطل لينزله من عالم التوحش إلى عالم التأنس.

وبعد هذا التاريخ بسبع سنوات، وفي عام 2018، عاودت المنطقة العربية الاهتمام - النسبي - بقائمة الصون العاجل، ومن المصادفة أن يأتي الاهتمام من بلدين مختلفين انتبه كل منهما لفن الدمى، فسجلت مصر عنصر «الأراجوز» الدمى التقليدية المحركة يدوياً أو «مسرح العرائس»، وهو أحد أشكال المسرح الشعبي الذي يعتمد على دمية قفاز، يتم التحكم فيها عن طريق اليد، حيث يستطيع اللاعب أن يحرك رأس الدمية بأصبع السبابة، ويغير من طبيعة صوته باستخدام آله معدنية توضع في الفم، يُطلق عليها «الأمانة». وفي العام نفسه سجلت سوريا «مسرح خيال الظلّ» أو «شخوص الخيال» أو «طيف الخيال» أو «خيال الستار»، وهو من فنون الأداء الشعبي المسرحي، يعتمد على دمى متحركة ذات ألوان متباينة، يتم تحريكها بعصاً وراء ستار مسلط عليه الضوء، مما يجعل ظلها هو الذي يبرز للمشاهدين. ويقوم بتحريك الدمى فنان يعرف باسم «مخايلي» أو «محرك الشخوص».ويعود هذا الفن إلى ابن دنيال الموصلي في العصر العباسي. وفي عام 2020 سجلت مصر عنصراً آخر على قائمة الصون العاجل، هو «النسيج اليدوي في صعيد مصر»، وهو من الحرف الشعبية المرتبطة بالنول اليدوي، ويتطلب العديد من المراحل والتقنيات المهمة لإنتاج منسوجات

مطرزة توارثها الرجال والنساء. ولم تسجل المنطقة العربية عنصراً آخر على قائمة الصون العاجل بعد هذا التاريخ.

وتجدر الإشارة إلى أن المنطقة العربية قد شهدت نشاطاً رائعاً في إعداد الملفات المشتركة، غير أنها ارتبطت أيضاً بالقائمة التمثيلية، وتثمن «اليونسكو» عادة مثل هذه الملفات؛ كونها تحقق مفهوم التعاون الدولي والتواصل بين الثقافات، ونشير هنا إلى أكثر الملفات العربية التي اشترك فيها العدد الأكبر من الدول، وهي ملفات: «البيزرة» أو الصيد بالصقور 2016، و«المعارف والمهارات والتقاليد المرتبطة بالنخلة» 2019، والمعارف والمهارات والممارسات المرتبطة بالخط العربي» 2021. حيث شارك في هذه الملفات أكثر من خمس عشرة دولة في كل ملف، خاصة الملفين الأخيرين الذين شارك فيهما الدول العربية فقط. والملف القادم الذي يتم العمل عليه الآن حول «فنون النقش على المعادن».

وأتصور أننا في حاجة إلى أن تلتف الدول العربية حول قضايا الصون العاجل، وأن تكون مشاريع الأليكسو القادمة مرتبطة بهذا الاتجاه، فلدينا كثير من العناصر التي تحتاج إلى الصون العاجل، ومنها: فنون الحكي، وفنون التطريز، وفنون الطهي، والحلي الشعبي... إلخ، وكما تنبه العالم إلى أننا قادرون على إعداد ملفات مشتركة في أكبر تجمع دولي، لم يسبقه أحد من قبل، فإننا قادرون أيضاً على رصد وصون تراثنا العربي المعرّض للاندثار، من خلال ملفات مشتركة، نسعى إلى تسجيلها على قائمة التراث الثقافي غير المادي، التي تحتاج إلى صون عاجل.

العين - الإمارات العربية المتحدة - (من التراث العالمي) 2011.

معايير وطرق إعداد ملفات الترشيح في قائمة التراث العالمي

يتضمن هذا المقال شرحاً وافياً لإجراءات ترشيح وإدراج الممتلكات الثقافية والطبيعية في قائمة التراث العالمي بـ«اليونسكو»، وتوضيح أفضل السبل في مراحل وطرق إعداد ملف الترشيحات، والتعريف بمعايير التراث العالمي، ومناقشة أفضل طرق كتابة ملفات ترشيح المواقع الثقافية في قائمة التراث العالمي، وتقديم المعلومات والنصائح حول إجراءات عمل لجنة التراث العالمي وأجهزتها الاستشارية، في ضوء المبادئ التوجيهية لتنفيذ اتفاقية التراث العالمي لسنة 1972م، التي تُعد معاهدة دولية أُبرمت بين الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة، بهدف تحديد التراث الثقافي والطبيعي الذي يتسم بقيمة عالمية استثنائية، وحمايته وصونه وعرضه ونقله إلى الأجيال القادمة.

تعد اتفاقية حماية التراث الثقافي

أ.د. عبدالعزيز صلاح سالم

أستاذ ورئيس قسم الآثار الإسلامية بكلية الآثار جامعة القاهرة، وخبير دولي في التراث.

والطبيعي العالمي 1972، والمبادئ التوجيهية لتنفيذها، وثيقتين رئيستين في إعداد ترشيحات الممتلكات الثقافية والطبيعية في قائمة التراث العالمي، حيث تعتبر المبادئ التوجيهية ذات أهمية كبيرة في فهم أدوات عمل لجنة التراث العالمي، وأجهزتها الاستشارية المتخصصة ضمن هذه الاتفاقية، انطلاقاً من أن الهدف الأساسي من الترشيحات هو إبراز مكونات الممتلكات الثقافية والطبيعية المقترحة للإدراج في قائمة التراث العالمي، وبيان السبب الذي يجعل منها قيمة عالمية استثنائية، والتعريف بها، ورصد كيفية الحفاظ على هذه القيمة وحمايتها وصونها وإدارتها.

ويتطلب ترشيح إدراج الممتلكات، سواء كانت ثقافية أو طبيعية أو مزدوجة في قائمة التراث العالمي بـ«اليونسكو»، الخوض في غمار رحلة تستلزم وقتاً وجهداً، وتستغرق عادة عملية إعداد ملفات الترشيح ما لا يقل عن سنتين، وقد تستغرق أحياناً بضع سنوات، ويؤدي الاستعداد الجيد والتنظيم المتقن إلى إعداد الترشيح في الحد الأدنى من الوقت والجهد.

وعلى سبيل المثال، يمكن لعملية إعداد ملفات الترشيح أن تكون أقل تعقيداً، وأن تستغرق وقتاً أقصر، إذا كان الأمر متعلقاً بمَعْلمة أو نصب تذكاري أو موقع ثقافي جرت دراسته مسبقاً بشكل جيد، ويمكن أن تكون العملية على عكس ذلك، إذا ما تعلق الأمر بموقع طبيعي واسع الامتداد، ومتعدد الاستخدامات، أو بمدينة تاريخية، أو منظر طبيعي ثقافي أو مسار ثقافي، ففي هذه الحالات يكثر عدد الأطراف المعنية، ما يؤدي إلى نظام إداري أو خطة إدارية أكثر تعقيداً.

إن اتفاقية التراث العالمي هي مثالٌ مبكّرٌ على المقاربة المبنيّة على القيم، إذ إن تنفيذها ركّز منذ البداية على تحديد القيمة العالمية الاستثنائية، وحماية تلك القيمة

الرباط - المملكة المغربية - (من التراث العالمي) 2012.

بابل ـ العراق (من التراث العالمي) 2019.

التي تشكّل الدلالة التي تجعل للمكان أهمية بالنسبة للبشرية جمعاء. كما أن الهدف من إدارة ممتلكات التراث العالمي إذن، هو ضمان حماية القيمة العالمية الاستثنائية لممتلك تراثي بعينه، أو الحفاظ عليها على المدى الطويل. والأمر الأساسي في هذه المقاربة المبنيّة على القيم هو إعداد «بيان الأهمية»، واستخدامه أساساً في تحديد استراتيجيات الصون والإدارة.

وفي الدورة الخامسة والعشرين لاجتماعات لجنة التراث العالمي (هلسنكي، 2001)، تم استبداله بمصطلح أكثر دقّة هو «بيان القيمة العالمية الاستثنائية». وتم إدراج تعريف «بيان القيمة العالمية الاستثنائية» في «المبادئ التوجيهية»، التي صدرت 2005. ووضعت تعريفاً عملياً لـ«بيان القيمة العالمية الاستثنائية»، ليكون وثيقة مرجعية أساسية للحماية الفعلية للممتلك المعنيّ ولإدارته في المستقبل.

ويجب أن يرقى الممتلك إلى القيمة العالمية الاستثنائية، وأن يستوفي معياراً واحداً على الأقل من المعايير العشرة المعدة لهذا الغرض، وتُفسر القيمة العالمية الاستثنائية، بأنها الدلالة الفائقة التي يتمتع بها هذا التراث من الناحية الثقافية أو الطبيعية، بحيث تتجاوز أهميته الحدود الوطنية، وتصبح أهمية مشتركة للأجيال الحاضرة والمقبلة للبشرية جمعاء، ولكي يعتبر ممتلك ما ذا قيمة عالمية استثنائية، يجب أن يستوفي أيضاً شرطي السلامة أو الأصالة، وأن يتضمن نظاماً ملائماً للحماية والإدارة يكفل صونه.

وتشدد الجهات الاستشارية في «اليونسكو» على ضرورة أن يكون الهدف الرئيس من عملية إعداد ملفات الترشيح والإدراج في التراث العالمي، هو تحقيق القيمة العالمية الاستثنائية في الموقع المراد ترشيحه، ولا ينبغي أن تكون دوافع الترشيح من أجل التنمية الاقتصادية في المقام الأول، وهي نقطة خلافية بالغة الصعوبة، بالإضافة إلى كونها خط التماس بين إبراز القيمة العالمية الاستثنائية في الممتلك، سواء كانت ثقافية أو طبيعية أو يجمع بينهما، وبين رغبة الدولة في التطوير المستمر من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية، وبخاصة في الدول النامية التي تسعى إلى توظيف تراثها الثقافي والطبيعي في تنمية مجتمعاتها. وينبغي لتفادي هذه المعضلة الجمع بين إبراز القيمة العالمية الاستثنائية، وهي القاعدة التي تبنى عليها ترشيحات الإدراج في قائمة التراث العالمي، والسعي نحو اغتنام فرص التنمية الاقتصادية.

ويعتبر الترشيح للإدراج في قائمة التراث العالمي مجرد انطلاقة لرحلة أطول بكثير، تهدف إلى تحسين عمليات صون الممتلكات على جميع المستويات. وإذا حظي الترشيح بالنجاح، وتم الأخذ به، فإن الإدراج في قائمة التراث العالمي يلزم الدولة العضو بـ«اليونسكو» مواصلة الإجراءات الخاصة برعاية الممتلك، لضمان حماية القيمة العالمية الاستثنائية التي يتسم بها، وصونها وإدارتها والحفاظ عليها على الدوام. كما أن إجراءات ترشيح الممتلكات وإدراجها في قائمة التراث العالمي، تقع في صلب اتفاقية التراث العالمي، وهي مسؤوليات أساسية تقع على عاتق الدول الأطراف في الاتفاقية.

ويجب التنبه إلى أن إعداد الخطط أو الوثائق اللازمة وإثبات فعاليتها قبل تقديم الترشيح، قد يستغرقان وقتاً طويلاً، وهو أمر قد يكون له تأثير كبير في الجدول الزمني لعملية الترشيح. وإضافةً إلى ذلك، فإن إعداد الترتيبات الإدارية اللازمة قبل تقديم الترشيح أمر مهم بالنسبة إلى الصون طويل الأجل للممتلك، ومن شأنه أن يعود بالفائدة على أصحاب حقوق الملكية، وجميع الجهات المعنية. كذلك ينبغي استشارة الدول الأطراف التي قدمت حديثاً ملفات ترشيح، أفضت إلى إدراج مواقع معينة في قائمة التراث العالمي، ويجدر التشديد على أن ملفات أو عمليات الترشيح السابقة التي تكللت بالنجاح يجب ألا تُعتمد تلقائياً كنموذج لملف الترشيح المزمع لاستنساخها، فلكل ترشيح، ولكل دولة ظروف خاصة، تفضي إلى عملية ترشيح، ربما لا يمكن أن ينطبق على حالات أخرى.

إن إجراءات ترشيح الممتلكات وإدراجها في قائمة التراث العالمي تقع في صلب اتفاقية التراث العالمي، وهي مسؤوليات أساسية تقع على عاتق الدول الأطراف في الاتفاقية. وتغطي هذه المسؤوليات مجالات رئيسة ثلاثة، هي: إعداد القوائم المؤقتة، وإعداد الترشيحات، وتأمين الإدارة الفعالة للممتلكات المدرجة في القائمة، من أجل

أهرامات الجيزة، مصر، (من التراث العالمي) 1979.

قصبة الجزائر (من التراث العالمي) 1992

حماية قيمتها العالمية الاستثنائية وصونها وإدارتها.

وعـادةً مـا يتطلب إعـداد ترشـيح لقائمة التـراث العالمي اتبـاع نهـج يقوم علـى العمـل الجماعي، وذلك نظـراً إلى تعقيـد المهمة، وتنـوع الجهات المعنية الرئيسـة، والخبرات المطلوبـة وتعددهـا. وعادة مـا يكون من الضـروري تعيين شـخص واحـد لقيـادة المشـروع، قـادر علـى الاضطلاع بمسـؤولية إدارة عمليـة الترشـيح بأكملها، وتسـليم وثيقة الترشـيح النهائية. وقـد يكون من المفيد جـداً للعديد من المواقـع تنظيم عملية الترشـيح علـى مرحلتين على الأقل، بحيـث يبـدأ تنفيذهما بعد مضي فتـرة معينة على إعداد قائمـة مؤقتة.

وتعـدّ وثيقة الترشـيح الأسـاس الـذي تعتمـد عليه لجنة التـراث العالمـي مـن أجل تحديـد مـا إذا كان الموقع يلبي متطلبـات الاتفاقية، وما إذا كان ذا قيمة عالمية اسـتثنائية علـى وجـه الخصـوص. وتعتبـر اللجنـة الموقـع ذا قيمـة عالميـة اسـتثنائية، إذا مـا اسـتوفى واحـداً أو أكثـر مـن معاييـر التـراث العالمـي. ولكـي يُعتبـر موقع مـا ذا قيمة عالميـة اسـتثنائية، يجـب أن يسـتوفي أيضـاً شـرطي السـلامة والأصالـة، وأن ينطوي علـى نظام ملائم للحمايـة والإدارة يكفـل صونـه.

ويوجـد العديد من الطرق المختلفة لإعداد ملفات الترشـيح لـلإدراج في قائمـة التـراث العالمـي، وينعكس بالضرورة في الترشـيحات تنوع الهياكل والثقافـات الإداريـة. فمـن غير المناسـب تقديم وصفـات أو التوصيـة باتباع أسـلوب عمل مفضل في إطـار إعـداد تلك الترشـيحات. ومـع ذلك، ترى الهيئـات الاستشـارية بـ«اليونسـكو»، أن هنـاك عدداً قليـلاً مـن المبادئ الأساسـية التـي ينبغي أن تركـز عليها جميع الترشـيحات الجيدة؛ للتأكد مـن أن المواقع المقترحة هـي الأنسـب، وأن تمثيلهـا ضمن الترشـيحات يجري على أعلى قدر من الفعالية، وأن عملية الترشـيح نفسـها تسـهم في حمايـة التـراث الطبيعـي والثقافي، وفي صونـه وإدارته بشـكل فعّـال. كما يوجـد كثير مـن أوجه التشـابه، وأوجه الاختـلاف الكبيرة، بين إعداد ترشـيحات التـراث الثقافي، وإعداد ترشـيحات التـراث الطبيعي.

وينبغـي أن يكـون ملـف الترشـيح واضحـاً ومتسـقاً مـن حيـث الغرض المرجو منـه، ومن حيـث المعلومات والحجج والاسـتنتاجات التـي يتضمنهـا. وقـد يعتبـر الاسـتعانة بخبير استشـاري لكتابة ملف الترشـيح، هي أسرع وأبسط السـبل لضمـان إدراج الموقـع المقتـرح، ويُعتبـر التسلسـل الزمني لمراحل إعداد ملفات الترشـيح مسـألة مهمة، ومن الضـروري الالتزام بهذا التسلسـل، والتنبه إلـى أن عملية إعداد الملف تسـتلزم تعديلات متكـررة، وتفترض الاتصال بالجهـات المعنيـة، والتعـاون معها على نحـو متواصل.

وقـد اعتمـدت لجنـة التـراث العالمـي نموذجـاً رسـمياً لطلبـات الترشـيح لإدراج مواقع في قائمـة التراث العالمي، ويجـب دائماً اسـتخدام النسـخة الأحدث لهـذا النموذج، عنـد تقديم ملف ترشـيح. وقد أُعد هـذا النموذج لتمكين لجنـة التـراث العالمي من الحصول على معلومات متّسـقة عـن المواقع المرشـحة، تفـي بالمعاييـر المعتمـدة. وترد في النمـوذج الرسـمي «بيانـات إيضاحية» تشـرح مـا ينبغي توفيـره في كل فقرة. وتجدر الإشـارة إلـى أن لجنة التراث العالمـي، لا تنظر إلا في الترشـيحات التي تُعتبر كاملة عند حلـول الموعـد النهائي لتقديم الترشـيحات.

وقـد اعتمد في المبـادئ التوجيهية لتنفيـذ اتفاقية التراث العالمي لحماية التراث الحضاري والطبيعي لسـنة 1972م، عشـرة معاييـر للإدراج في قائمـة التراث العالمـي، وتتعلق المعايير من الأول إلى السـادس بالممتلـكات الثقافية، ومن السـابع إلى العاشـر للتـراث الطبيعي، ويمكـن تلخيصها كالآتي:

ويمثـل المعيـار الأول إحدى روائـع العقل البشـري المبدع، وتتجلـى في المعيار الثانـي التأثيرات المتبادلـة القوية التي جـرت علـى امتـداد فتـرة مـن الزمـن أو داخـل منطقة ثقافيـة معينة مـن العالم، تتعلق بتطور الهندسـة المعمارية أو التكنولوجيـا أو الصـروح الفنيـة أو تخطيـط المـدن أو تصميـم المناظـر الطبيعية.

والمعيـار الثالـث: أن يقـف شـاهداً فريـداً، أو علـى الأقل اسـتثنائياً علـى تقليـد ثقـافي أو حضـارة لاتـزال حية أو حضـارة مندثـرة، والمعيار الرابـع: أن يكون نموذجـاً بارزاً لنمـط من البناء، أو لمجمع معمـاري أو تكنولوجي أو لمنظر طبيعـي يمثل مرحلة أو مراحل مهمة من التاريخ البشـري.

(مدائن صالح)، السعودية، (من التراث العالمي) 2008.

قلعة بهلا ـ سلطنة عمان (من التراث العالمي) 1987.

بعلبك: لبنان، (من التراث العالمي) 1984.

أمـا المعيـار الخامـس: أن يقدم نموذجـاً بارزاً لمسـتوطنة بشـرية تقليدية، أو لأسـلوب تقليدي لاسـتخدام الأراضي أو لاسـتغلال البحـار. ويقتـرن المعيار السـادس على نحو مباشـر أو ملموس بأحـداث أو تقاليد حية، أو بمعتقدات، أو بمصنفـات أدبيـة أو فنيـة ذات أهميـة عالميـة بـارزة. وينطـوي المعيـار السـابع علـى ظواهـر طبيعيـة منقطعة النظيـر، أو يضـم مناطـق ذات جمـال طبيعي اسـتثنائي وأهميـة جماليـة فائقة.

والمعيـار الثامـن: أن يقـدم أمثلـة فريدة لمختلـف مراحل تاريـخ الأرض، والمعيـار التاسـع: أن يقـدم أمثلـة فريـدة للعمليـات الإيكولوجيـة والبيولوجيـة المهمـة المؤثـرة في تطـور النظـم البيئيـة الأرضية. ويشـتمل المعيار العاشـر علـى أهم المواطـن الطبيعية، وأكثرها دلالـة لصون التنوع البيولوجـي في عـين الموقـع، منهـا أرخبيـل سـقطرى في شـمال غـرب المحيط الهندي على مقربـة من خليج عدن.

سوسة ـ تونس ـ (من التراث العالمي) 1988.

الخاتمة:

تشـير الوضعيـة الراهنـة في قائمـة التـراث العالمـي بـ«اليونسـكو» إلـى ضعف تمثيليـة مواقع التـراث الثقافي والطبيعـي بالدول العربية في هذه القائمة الدولية، وهي لا تعكـس قيمة وعراقـة مواقع التراث العربـي، وعلى الرغم مـن أن قائمـة التراث العالمي بـ«اليونسـكو» تشـتمل على: 1154 موقعـاً، ومَعلمـاً عالميـاً، منهـا: 897 موقعـاً ثقافياً، و218 موقعـاً طبيعيـاً، و39 موقعاً مزدوجـاً، بالإضافة إلى 52 موقعـاً مهـدداً بالخطر، و43 موقعاً عابـراً للحدود في 167 دولـة مـن دول العالـم، وفقـاً لأحـدث إحصائيـة في يوليـو 2021م، إلا أن نصيـب المنطقـة العربيـة لا يتجاوز نحـو 88 موقعاً ثقافياً وطبيعياً، موزعة على تسـع عشـرة دولـة عربية، منهـا: 80 موقعاً ثقافيـاً، و5 مواقع طبيعية، و3 مواقـع مزدوجـة، في الوقـت الـذي تذخر فيـه بلداننا العربية بتنـوع وثراء مواقعهـا التراثية، ومآثرهـا الدينية، ومعالمهـا التاريخيـة التي بنيـت على أيدي أمهـر البنائين، وفنانـي أعـرق الحضـارات القديمة منذ آلاف السـنين.

ولـكل هذه الاعتبـارات، وفي إطـار جهود معهد الشـارقة للتـراث المتميـزة لحمايـة التـراث الثقافي العربـي، المادي وغيـر المـادي، حيث اسـتطاع معهد الشـارقة للتـراث أن يتبـوأ مكانة مرموقـة بين المؤسسـات الثقافيـة الإقليمية والدوليـة العاملـة في هـذا المجـال، مـن خـلال تبنـي اسـتراتيجية جديـدة، تهـدف إلـى زيـادة أعـداد مواقـع التـراث الثقافي بالدول العربية علـى قائمة التراث العالمي بـ«اليونسـكو»، من خـلال الفهم الكامل لمعاييـر وإجراءات التسـجيل في قائمـة التـراث العالمي.

المراجع:

- عبدالعزيز صلاح سالم، التراث الثقافي العالمي في الدول العربية، منشورات معهد الشارقة للتراث، الإمارات، 2021م.
- اليونسكو، الاتفاقية الخاصة بحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي، باريس في 23 نوفمبر 1972 مصادق عليها في 25 يوليو 1973.
- اليونسكو، إعداد ترشيحات الإدراج في قائمة التراث العالمي، ط 2، 2011.
- Monitoring World Heritage, World Heritage Paper No. 10, UNESCO, World Heritage Centre, Paris 2004.
- Operational Guidelines for the implementation of the World Heritage Convention 143
- Partnerships for World Heritage Cities: Culture as a Vector for Sustainable Urban Development, World Heritage Paper No. 9, UNESCO, World Heritage Centre, Paris 2004
- Periodic Report and Regional Programme - Arab States – 20002003-, World Heritage Paper No. 11, UNESCO, World Heritage Centre, Paris 2004.

تراث الإمارات

يغني قوائم «اليونسكو»

«من ليس له ماضٍ، لا حاضر له ولا مستقبل»، مقولة شهيرة للمغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، مؤسس دولة الإمارات العربية المتحدة، وصار لها صدى يتردد في جميع مراحل تأسيس دولة الإمارات، ومثلما اهتمت الدولة منذ تأسيسها في عام 1971، ببناء الحاضر ورسم المستقبل، التفتت إلى الماضي، والتراث العريق، وأولته كل التقدير والاهتمام في ظل الاتحاد ومؤسساته ومبادراته ومشروعاته الفكرية.

ونجحت الإمارات، بفضل مؤسساتها ومبادراتها الاتحادية الثرية، في تسجيل مجموعة كبيرة من العناصر التراثية والمواقع التاريخية، والتي تُعدّ من ركائز التراث الوطني الإماراتي، في ، في قائمة التراث غير المادي .

يُعرف التراث الثقافي غير المادي، بأنه التراث الحي للإنسانية، ويضم مُجمل الأشكال التعبيرية والعادات والتقاليد التي ورثها الآباء عن الأجداد، وسيورّثها الأبناء للأحفاد، وهكذا تستمر جيلاً بعد جيل، وتقديراً لهذا الإرث الحي المتوارث، عملت الإمارات على تسجيل العديد من فنونها الشعبية وتقاليدها المغروسة في ثقافة المجتمع، على قائمة اليونسكو للتراث الثقافي غير المادي، باعتبارها تراثاً ثقافياً إنسانياً يخص البشرية، وهي:

«الصقارة، السدو، التغرودة، العيالة، العازي، الرزفة، القهوة العربية، مجلس الضيافة، والنخلة،والأفلاج وسباق الهجن».

وأدرجت هذه العناصر التراثية الأصيلة في «اليونسكو» على فترات متفرقة، خلال السنوات العشر الماضية، فهي مسيرة طويلة في مجال تسجيل مُقومات التراث الإماراتي وإحيائها وتوثيقها واستدامتها، كإرث حضاري وثقافي للأجيال المُقبلة.

الصقارة

أعلنت منظمة اليونسكو في نوفمبر من عام 2010، تسجيل الصقارة كتراث إنساني حي في القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية، بفضل الجهود التي قادتها دولة الإمارات بمؤسساتها الاتحادية المتنوعة، من خلال تنسيقها وتعاونها مع 12 دولة عربية وأجنبية، لإعداد الملف الدولي للصقارة، آنذاك؛ ليشهد الملف من بعد ذلك، انضمام المزيد من الدول، والتي وصل عددها إلى 20 دولة.

السدو

من بين ثمار اتحاد الدولة ومقوماته وإمكاناته، هو نجاح الإمارات في تسجيل «السدو»، وهي مهارات النسيج التقليدية في دولة الإمارات، في قائمة اليونسكو للتراث الثقافي غير المادي للبشرية، والذي يحتاج إلى صون عاجل، وأعلنت اليونسكو هذا التسجيل في نوفمبر من عام 2011، وتهدف الإمارات من هذا، إلى تعزيز استمرارية هذه الحرفة التراثية، إلى جانب تسليط الضوء على التراث المعنوي الإماراتي.

العيّالة

تم تسجيل فن «العيالة» بقائمة اليونسكو للتراث غير المادي، في نوفمبر من عام 2014، ما يسهم في إحياء مختلف فنون الأداء، فهي فنٌ من فنون الأداء الشعبي منذ زمن طويل، في جميع أنحاء دولة الإمارات، وتعتبر من الطقوس الاجتماعية المُهمّة، التي تسهم في تغذية روح الكرامة ومشاعر الفخر.

القهوة العربية والمجالس والرزفة

لم تقتصر ثمار اتحاد الدولة وجهود مؤسساته، على تلك المنجزات، بل تواصلت وتتواصل لتحقيق مزيد من

المنجزات الثقافية العالمية، إذ أقرت اللجنة الحكومية لصون التراث الثقافي غير المادي بمنظمة اليونسكو، في ديسمبر من عام 2015، إدراج 3 ملفات مشتركة، تقدّمت بها الإمارات، بالتعاون مع دول عربية؛ لتسجيل القهوة العربية والمجالس والرزفة في اليونسكو.

العازي

أدرجت اليونسكو فن العازي، في ديسمبر من عام 2017، بقائمة التراث الثقافي غير المادي، الذي يحتاج إلى صون عاجل.

النخلة والأفلاج وسباق الهجن

سجَّلت دولة الإمارات ملف النخلة في القائمة التمثيليّة للتراث الثقافي غير المادي لليونسكو، ديسمبر عام 2019، كما أدرج، في شهر ديسمبر 2020، ملف الأفلاج الوطني المقدم باسم دولة الإمارات، وملف سباق الهجن المشترك بين دولة الإمارات وسلطنة عمان في القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي.

التراث
وحضور الإنسان المستمر

أسهم التراث في تطوير البشرية، ومنح الإنسان القوة والخبرة في الحياة

لا تنحصر كلمة تراث في جانب حياتي واحد، وهي لا تعطي دلالة على حالة مجتمعية محددة، وإنما هي شاملة لمختلف جوانب الحياة التي تمّ التعاطي معها خلال فترة زمنية ماضية؛ لذا ستجد التراث متعدداً، وله أقسام وفروع، كما ستجد أساليب حياة متنوعة، وأنماطاً متباينة، وسمات مختلفة، الملابس والمأكل والمواقع، فضلاً عن العادات والتقاليد وغيرها كثير، جميعها تدخل من ضمن التراث.

فاطمة سلطان المزروعي
رئيس قسم الأرشيف الوطني

تكمن أهمية التراث في حضوره القوي، فلا تجمع بشري من دون وجود موروث وبقايا تركها الآباء والأجداد للأبناء الذين واصلوا التطوير والبناء. فلا غرابة أن يكون التراث رديفاً، وحالة موجودة بشكل مستمر مع الإنسان في كل حقبة زمنية، ولعله من نافلة القول أن التراث أسهم بشكل واضح في تطوير البشرية؛ لأن دراسة المخترعات

القديمة، وكل المبتكرات السالفة، أعطت الإنسان الخبرة اللازمة، والقدرات على التطوير والتحدي.

التراث أنواع متعددة، ولا يتوقف على المكان ولا على الأدوات، بل يتجاوزها إلى البيئة، وهو ما يسمى بالتراث الطبيعي، والذي يتم تعريفة عالمياً بأنه: «المعالم الطبيعية، التشكلات الجيولوجية والفيزوبوغرافية والمواقع الطبيعية، وهو التراث ذو القيمة العالمية البارزة، والمدرج في قائمة اليونسكو للتراث العالمي»، وهذا النوع تحديداً يحافظ على البيئة ومكوناتها، سواء من النباتات أو حتى بعض الحيوانات التي تتعرض للتهديد بالانقراض.

إن أمعنا النظر فسنجد التراث انعكاساً للحياة البشرية بأسرها، ولعل ما يوضح هذا الجانب هو التراث الثقافي، الذي يضم كما هو معروف جميع ما تم نقله من جيل سابق إلى جيل حالي، وهذا يشمل العادات والتقاليد، فضلاً عن الفنون من الموسيقى أو المعتقدات، وعادات المجتمع مثل تقاليد الزواج ونحوها.

حتى اللغة تعتبر نوعاً من أنواع التراث، وهي نوع فاعل في الجسد الاجتماعي، وستجد أن هناك اتفاقيات دولية، تستهدف حماية اللغات من الاندثار، كونها تعتبر تراثاً بشرياً تجب المحافظة عليه.

إن عدنا إلى التراث البيئي والتراث الثقافي، وأخيراً التراث اللغوي، فسنجد أن التقنيات الحديثة والتطور والتكنولوجي أسهمت بقوة في حمايتها، وكانت لها أدوار كبيرة في الترويج لها وصونها من الاندثار أو الضياع. وهذا التداخل بين التطور التكنولوجي مع التراث، يمثل حالة فريدة من الترابط والتناسق بينهما، سنجد أن كثيراً من معالم التراث ومكوناته، تمت صيانتها والكشف عن عمقها بوساطة أجهزة متطورة وحديثة، وسنجد أن وسائل الاتصالات الحديثة على تنوعها

وتعددها أسهمت هي الأخرى في الإبقاء على الموروث، أياً كان نوعه، متوهجاً وحاضراً في الذاكرة البشرية المعاصرة؛ لذا تعدّ الإجابة عن سؤال حول نجاح دخول التكنولوجيا في التراث، متمثلة في الواقع المشاهد الذي نعيشه، حيث نرى أن كثيراً من معالم التراث الثقافي والبيئي واللغوي تزدهر وتنمو وتنتشر بفضل التكنولوجيا الحديثة التي أسهمت بشكل فاعل وواضح في أن يبقى التراث على مختلف أنواعه حاضراً وموجوداً، سواء في ذاكرة الإنسان أو في الذاكرة المكانية.

أشادت المديرة العامة لليونسكو، إيرينا بوكوفا، بأهمية التراث، وقالت: «تنوعنا الثقافي تراث مشترك للبشرية، فهو مصدر لتجدد الأفكار والمجتمعات، يتيح للمرء أن ينفتح على الآخرين، وأن يبتكر أفكاراً جديدة. ويتيح هذا التنوع فرصة ثمينة لتحقيق السلام والتنمية المستدامة». من هنا يتضح لنا حجم العلاقة الوثيقة بين الإمارات واليونسكو، وهي علاقة ممتدة عبر تاريخ حافل من خلال المبادرات والبرامج التي ترعاها الدولة بإشراف المنظمة.

لقد نجحت دولة الإمارات منذ عام 2010، في تسجيل العديد من العناصر في اليونسكو، باعتبارها تراثاً ثقافياً إنسانياً يخص البشرية، وهي: الصقارة، السدو، التغرودة، العيالة، المجلس، القهوة العربية، الرزفة، العازي، النخلة، الأفلاج، سباق الهجن، إضافة إلى الخط العربي، وتسجيل منطقة العين في إمارة أبوظبي كأول موقع إماراتي على قائمة التراث العالمي للبشرية.

أشاد العديد من خبراء التراث في الإمارات، بقرار اليونسكو ضم العين إلى قائمة التراث العالمي للبشرية، معتبرين أن المدينة تستحق بجدارة أن تكون ضمن أبرز مواقع التراث الإنساني في العالم.

كما أكد صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، أن اختيار منظمة اليونسكو لإمارة الشارقة ضمن شبكة المدن المبدعة التابعة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، والتي ضمت هذا العام 66 مدينة جديدة من مختلف بلدان العالم، يأتي نتيجة طبيعية للمنهج الذي تتبعه الإمارة في تعزيز علاقة الأجيال بتراثها، وما يحتويه من حرف ومهارات تعكس هوية الإمارات وثقافتها وفنونها عبر مراحل التاريخ المختلفة، وتقديراً لجهودها في إحياء التراث الإماراتي المحلي والارتقاء بالمهن والصناعات المحلية.

ووقعت دولة الإمارات العربية المتحدة، ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، اتفاقية لإنشاء المركز الدولي لبناء القدرات في مجال التراث الثقافي غير المادي بالدول العربية، في إمارة الشارقة، والذي سيتخذ من معهد الشارقة للتراث مقراً له، بما يسهم في تعزيز الجهود التي تبذلها دولة الإمارات عامة، وإمارة الشارقة خاصة، لحماية التراث الثقافي غير المادي، وتعزيز الوعي.

ولكن، كيف يمكن الحفاظ على ما جمع من التراث سابقاً للإبقاء عليه؟ الحقيقة إننا نستطيع المحافظة على التراث بشكل دائم ومستمر، وهذا ما تفعله التقنيات الحديثة والتطور المهول في مجالات الاتصالات وشبكة المعلومات العالمية (الإنترنت).

نحن نشاهد أن هذه التقنيات تسهم إسهاماً واضحاً في نشر التراث والترويج له والمحافظة عليه، على سبيل المثال الإنترنت؛ ستجدها تحمل الكثير من المواد المكتوبة والصور والفيديوهات، التي موضوعاتها إما شرح للتراث وأقسامه ومدارسه، وإما أن توضح بعض المقتنيات التراثية، وكيفية المحافظة عليها.

هناك جوانب أخرى تسهم التقنيات الحديثة فيها في المحافظة على التراث، ولعل خير مثال في هذا السياق، تلك الوثائق القديمة التي تم توارثها من جيل إلى جيل، والتي تسمى مخطوطات ونحوها، هذه الوثائق القديمة جداً، تتلاشى وتتآكل بسبب مرور الزمن الطويل عليها، والذي يحدث أن هناك عمليات ترميم وصيانة مستمرة لهذه الوثائق المهمة، ما يسهم في إبقائها والمحافظة عليها من التلف، وعمليات الصيانة والترميم تطورت بشكل كبير ودخلت عليها تقنيات حديثة أسهمت في حمايتها من التلف وفقدها.

والحقيقة التي تظهر أنه كلما تطورت البشرية، وكلما حققت المزيد من التطور التكنولوجي، فإن هذا ينعكس على الموروث البشري أياً كان نوعه، فالتقنيات الحديثة عامة، تؤدي خدمات جليلة وكبيرة لهذا الموروث، وتسهم إسهاماً عظيماً في المحافظة عليه وصيانته.

قبل مائة عام أو أكثر، كان يحدث فقد للتراث على الدوام، واندثار كثير من تركات الآباء والأجداد، أما في هذا العصر، فعمليات الحفظ والتدوين والنسخ والطبع والتصوير تطورت، وهو ما يعني وجود كثير من الصور والنسخ، وأيضاً عمليات الصيانة المستمرة.

وفي هذا السياق، فإننا قادرون على المحافظة على الموروث أياً كان نوعه، أو أياً كان موقعه، مادامت البشرية باقية، وليس لسنوات أو عقود.

المغفور له، بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، أكد أهمية التراث، ودعا إلى حمايته في واحدة من المناسبات التراثية التي كان حاضراً فيها: «على الشباب أن يكونوا سياجاً يحمي الوطن، ويحافظ عليه، كما حافظ عليه الآباء والأجداد، وإنني أؤكد على ثقتي بأن أبناء الإمارات سيحافظون على الوطن والتراث وتطويره والحفاظ عليه، وتعميق حرص المواطن على وطنه وعلى أبنائه وممتلكاته».

السدو.. حرفة على قائمة «اليونسكو»

تقوم منظمة اليونسكو برعاية وتنظيم البرامج والمشاريع في مجالات عدة، منها على الصعيد الدولي، ونتيجة لتنوعها وتعددها فإنها أنشأت مؤسسات وهيئات ومنظمات مختصة عدة، تابعة لها مباشرة، تشرف على قطاعات محددة ومعينة، ولأن للتراث أهمية كبرى في حياة الشعوب، ويكون عند الأمم المتحضرة في مقدمة أولوياتها، فكان لدولة الإمارات الدور الأكبر بالاهتمام بالتراث المادي والمعنوي، والتعمق به، وقد دخلت بقوة لإثبات وتوثيق معظم الحرف والصناعات.

مريم سلطان المزروعي
كاتبة – الإمارات

ومن ضمن ما هو موثق على قائمة التراث العالمي: مدينة العين بمواقعها التراثية: مواقع هيلي، وبدع بنت سعود، ومدافن حفيت، وواحة العين، والعيالة، والتغرودة، بينما التراث غير المادي: الرزفة ومجلس الضيافة والعازي والقهوة العربية والسدو والصقارة والنخلة.

وفي 2019 اعتبرت مدينة الشارقة من بين المدن الأولى في العالم، من حيث الاهتمام بالتراث والثقافة، وقد أدرجت من قبل اليونسكو، ضمن شبكة المدن المبدعة من ضمن

66 مدينة جديدة من مختلف بلدان العالم، واستحقت بجدارة الألقاب التي أُعطيت لها، تكريماً لحضورها القوي في المشاهد الثقافية والاجتماعية والعالمية، وقد قال عنها صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم إمارة الشارقة: «إن حرف الشعوب ومهاراتها اليدوية في إنتاج حاجاتها وأدواتها اليومية، كانت وستظل مؤشراً على إنتاجية المجتمع ووحدته وتماسكه، لهذا عندما نقرأ تاريخ الشعوب نتجه لفهم حرفها وصناعاتها ومهارات أبنائها، ورصد مسار تطورها، وكيفية استجابتها لحاجات الناس المتنامية».

وحديثنا اليوم عن حرفة كان لها دور كبير في حياة الأولين القدامى، ولاتزال، فلقد أعلن الشيخ سلطان بن طحنون آل نهيان، رئيس هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، في 2011، نجاح هيئة أبوظبي للثقافة والتراث في تسجيل «السدو» على قائمة اليونسكو للتراث الثقافي غير المادي، وذلك في جزيرة «بالي» الإندونيسية، وهذا لا يكون إلا تتويجاً لجهود فريق وطني مشترك، وتسليط الضوء عليه محلياً وعالمياً، ما يعزز فرص استمرار هذه الحرفة، وضمان استدامتها عبر الأجيال، وتسليط الضوء عليها، هذه الحرفة التي هي بحاجة إلى صون ومحافظة وحماية، ويمكن القول إن التراث الثقافي غير المادي، وفقاً لمنظمة اليونسكو هو التراث الحي للإنسانية، فهو يشمل العادات والتقاليد التي ورثت عن الأجداد وستورث للأحفاد.

إن السدو يعد نوعاً من أنواع الأنسجة البدوية التقليدية التي تميز حياة البدو من غيرهم، هو يستخدم في حياكة الخيام والسجاد ورحال الإبل، ويعد السدو من الحرف الأكثر شهرة، وعنصراً مشتركاً ما بين جميع الإمارات، بل يُعد من أبرز الحرف التي تلعب دوراً بارزاً وأساسياً في الحياة البدوية، والنساء هن من كنّ يسهمن في هذه الحرفة اقتصادياً، كما أن السدو بدأ بالدخول في عالم الموضة محلياً وعالمياً، بكل قوة، بألوانه الزاهية الجميلة المميزة، وهذا الإنجاز لا يأتي لا إشارة لما يحظى به التراث من اهتمام ومتابعة من الحكومة والقيادة العليا وجهود الجهات الحكومية، إن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان كان له دور كبير في المحافظة على التراث الشعبي، وعلى تلاحم المجتمع، وقد شجع على النهوض

به، ففتحت العديد من الجهات والمعاهد على المستوى الدولة: كمعهد الشارقة للتراث، ونادي تراث الإمارات، ومركز الأسر المنتجة، ومركز الصناعات التراثية والحرفية، والتنمية السرية، والاتحاد النسائي، ومجلس إرثي، والغدير... إلخ.

تقول أم مسلم المزروعي: «النساء البدويات عملن في السدو، الذي هو عبارة عن نسج صوف الغنم ووبر الجمل وشعر الماعز، على هيئة تصاميم هندسية، تعكس طبيعة البيئة التي عشن فيها، كنا نتعلم من أمهاتنا الطريقة الصحيحة لسد السدو في مجموعات صغيرة عائلية ومع الجيران، نغني ونعد القصائد، ونتسامر، ويأخذنا الحديث لساعات طويلة، كما أن هذا النسيج كان يستخدم في صناعة الملابس والسجاد والحصر، والمكبة التي هي الأغطية التي توضع على الأطعمة، والمهفات التي هي المراوح اليدوية، وصناعة البيوت ومستلزمات الخيام، طبيعة الحياة هي التي جعلتنا نستفيد منها ومن مواردها؛ حتى نستطيع العيش والتأقلم، هذه الحرفة تناقلناها من جداتنا، ونحاول أن ننقلها لبناتنا، لكن الوقت الحالي مختلف عن وقتنا في الماضي، ولكل جيل زمان ومكان».

وتقول أم محمد المنصوري: «إن الشيخ زايد بن سلطان وحرمه الشيخة فاطمة بنت مبارك، كان لهما دور كبير في المحافظة على المهن والحرف والصناعات اليدوية، وعلى الأخص الحرف المتعلقة بالمرأة، فعندما تم افتتاح مراكز التنمية الأسرية أو الاتحاد النسائي، كانت فرصة لا تعوض، فالتحقنا جميعنا نحن النساء، وبتشجيع من الشيخة فاطمة، التي كانت تأتي بصفة شبه مستمرة إلينا، وتسأل عنا وعن أخبارنا، الشيخة فاطمة كانت ولاتزال حاضنة للتراث، سعت بكل ما لديها للمحافظة عليه، فنحن حالياً نشارك في العديد من المعارض على مستويات مختلفة، ولولا هذه المتابعة لكانت هذه المهن والحرف في معظمها عرضة للانقراض والاندثار».

أم سعيد الفلاحي: «إن السدو من الحرف التقليدية

القديمة التي اعتمدت اعتماداً كلياً على المواد الخام، فقد كنا نصنع بيوت الشعر ونحملها معنا، وكانت تعمر لدينا فترة طويلة لمتانتها وقوتها، إن عملية صناعة السدو تمر بمراحل عدة، وكل مرحلة لها متعة خاصة، وطريقة معينة، فالمرحلة الأولى جزّ الصوف والوبر، بعدها تأتي مرحلة جمع الصوف والوبر وتنظيفه بطرقه وإزالة الشوائب منه، باستخدام النباتات وتلوينه بالحناء أو الكركم والزعفران والنيلة. وما يميز السدو ألوانه المتنوعة التي تكون ما بين الأسود والأبيض والأحمر والبيج والبني، والمرحلة الأخيرة عملية سد السدو، وذلك يكون بخيوط تربط بأربعة أوتاد وأكثر على شكل مستطيل، وهو ما يعرف بالنول، وهو أشبه بالنول، إلا إنه يختلف في التقنية والإنتاج، وتتم عملية التسدي طولاً وعرضاً بوساطة «المدرة» لحياكة القطع، لقد واجهت هذه الحرفة الكثير من التنافس من قبل السلع التقليدية، لكنا نحن النساء لانزال مستمرات فيها للمحافظة عليها، وهذه وصية المؤسس الشيخ زايد بن سلطان، وحرمه الشيخة فاطمة بنت مبارك».

لقد قامت منظمة اليونسكو بدور ريادي في التعريف بثقافات الشعوب وتراثها، بهدف مساعدة الدول على حماية تراثها وصونه وتعزيزه وحمايته من خلال توفير التدابير والإجراءات اللازمة، وهناك فوائد من عملية التوثيق، أبرزها: التعريف بالعنصر الثقافي محلياً وإقليمياً وعالمياً، كما أنه يضع الدولة التي تمتلك هذا العنصر أمام مسؤوليات اجتماعية كثيرة، وليس فقط الاحتفاظ به في الكتب والمتاحف، وكما ذكر المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان: «لابد من الحفاظ على تراثنا، لأنه الأصل والجذور، وعلينا أن نتمسك بأصولنا وجذورنا العميقة».

جهود دولة الإمارات في صون التراث الشعبي

إن التنافسيّة وإثبات الذات حقّ مشروع للجميع، وأن تتبوأ المكانة التي تليق بك، هذا مشروع لك الحق في أن تمتلكه، ولكن قبل البداية في كل شيء، لابد من وضع الأهداف، ومن ثم دعم الرؤى والخطط التي تعمل على نجاح الهدف المرجو، من خلال الفعاليات والأنشطة وغير ذلك من المستلزمات المؤدية في النهاية إلى تحقيق الغاية.

فهد علي المعمري
باحث – الإمارات

إن جهود دولة الإمارات العربية المتحدة في صون التراث الشعبي والحفاظ عليه، وإدراجه على قائمة «اليونسكو» لم يأتِ من فراغ، وإنما جاء بجهد جهيد، وعمل منظم، وأدوارٍ متكاملة بين الجميع، والجميع متشارك في حفظ التراث، لما له من أهميّة كبيرة تمثل حياة وتاريخ الكل والجزء، فالكل هنا هي الدولة، الجزء هنا هم الأفراد،

والدولة والأفراد جميعهم داخلون في مظلة التراث؛ لذا فكل فرد ينتمي إلى تراثه الشعبي بشقّيه المادي وغير المادي.

وسوف أتحدّث عن جهود دولة الإمارات في صون التراث الشعبي على قائمة «اليونسكو»، من خلال ثلاث نقاط، هي:

1. أهميّة التراث الشعبي.
2. نبذة عن التراث العربي على قائمة «اليونسكو».
3. جهود دولة الإمارات العربية المتحدة في هذا الإطار.

ومن خلال هذه النقاط، سوف يتضح الدور الرائد الذي قامت به دولة الإمارات العربية المتحدة لإيصال التراث الشعبي إلى قائمة «اليونسكو»، ونبدأ بأهميّة التراث الشعبي، وأهميته تكمن في أنه الشريان الحيوي والدم في جسم كل دولة، والأكسجين الذي يتنفس منه كل فرد في هذه الدولة؛ لأنه يشكل عادات وتقاليد وطبائع هذه الدولة، عبر التقاليد وأشكال التعبير الشفهي، بما في ذلك اللغة كوسيلة للتراث الثقافي غير المادي، وكذلك الفنون التمثيلية؛ وأيضاً الممارسات الاجتماعية والطقوس والمناسبات الاحتفالية، وهناك المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون، ومعها أيضاً الحرف التقليدية، وبهذه العناصر تتكامل البنية التراثية لكل دولة.

ولقد حرص صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيّان، رئيس الدولة، حفظه الله ورعاه، وصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، وإخوانهما أعضاء المجلس الأعلى حكّام الإمارات، على الاهتمام بالتراث الشعبي، وذلك استناداً لمقولة المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيّان، «من ليس له ماضٍ، ليس له حاضر»، فأصبح الاهتمام بالتراث من أولوياتٍ قادة دولة الإمارات العربية المتحدة، وانعكس ذلك على كل فرد فيها.

فكان حصاد هذا الاهتمام التأسيس لدعامة قوية، تحمل فوقها التراث الشعبي لدولة الإمارات، وهذا بدأ منذ اليوم الأول لقيام الاتحاد، عبر الجهات الحكومية، ووزارة الإعلام والثقافة التي خصصت إدارة خاصة بالتراث، ثم الفعاليات والأنشطة التراثية التي كان يأمر بها ويحضرها المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيّان، مثل سباقات الهجن وسباقات القوارب الخشبية وغيرهما من الفعاليات التراثية، كل ذلك أدى إلى نتيجة واحدة، هي أن التراث هو شريان هذه الدولة، ولابد من البقاء، وإيصاله إلى خارج حدود دولة الإمارات وخارج حدود دولة الخليج العربي وخارج حدود آسيا، كان الهدف هو إيصاله إلى العالمية، ليراه العالم كله.

بعد أن عرفنا أهميّة التراث الشعبي، نتحدث قليلاً

عـن التـراث العربي علـى قائمة «اليونسـكو»، لنـرى أين وصلـت دولـة الإمـارات قائمـة «اليونسـكو»، نراهـا في التـراث البشـري الحي من خـلال الصقارة توجـد مع كلٍّ من النمسـا وبلجيكا، وكرواتيا وتشـيكيا وفرنسـا، وألمانيا والمجر وإيرلنـدا، وإيطاليا وكازاخسـتان وجمهورية كوريا، وقيرغيزسـتان ومنغوليـا والمغـرب، وهولنـدا وباكسـتان وبولنـدا، والبرتغـال وقطـر والمملكـة العربية السـعودية، وسـلوفاكيا وإسـبانيا والجمهورية العربية السورية، ثم في فن التغرودة توجد مع سـلطنة عمـان، ومن خلال المعارف والمهـن والممارسـات من خلال الخطّ العربـي توجد مع كلٍّ مـن المملكة العربية السـعودية والجزائر والبحرين، ومصر والعـراق والأردن، والكويـت ولبنـان وموريتانيـا، والمغـرب وعُمـان وفلسـطين، والسـودان وتونـس واليمـن، ويذخـر التـراث الثقافي العربـي بكثير من العناصـر المدرجة على القائمـة التمثيلية للتـراث الثقافي غير المادي للبشـرية.

بينمـا نـرى التـراث العربـي حاضراً من خـلال مملكة البحريـن بفـن الفجـري، والعـراق مـن خـلال المهـارات والفنـون الحرفيـة التقليدية لصناعة الناعور، وفلسـطين مـن خلال التطريز، والمملكة المغربيـة من خلال التبوريدة، أمّا الأردن فتوجد عبر فن السـامر، ولسـوريا مكان أيضاً مـن خـلال مسـرح الظل، وهـو فـن تقليدي تقـوم الدمى بـأداء الأدوار فيـه، وسـلطنة عمـان تحضـر مـن خـلال عرضـة الخيـل والإبـل، أمـا تونـس فتوجـد مـع صناعة الفخـار، وتأتي مصر مع الدمـى التقليدية المتحركة بأيدي اللاعبـين (الأراجـوز)، والجزائـر بكيالي الميـاه التي تعنى بمقاييـس المياه بعمليات مختلفة من حسـاب أسـهم المياه إلـى الإصلاح وتمشـيط وضبط حركة الميـاه في القنوات.

نأتـي الآن إلى النقطة المهمـة والمفصليّة، وهي جهود دولة الإمـارات العربيـة المتحـدة في هذا الإطار، لقـد تواصلت الجهـود والعمـل الـدؤوب لأكثر من خمس عشـرة سـنة، للوصـول إلى قائمـة اليونسـكو؛ وإثر جهـود دؤوبة بدأت عـام 2005، تمكنـت الإمـارات من تحقيق نجـاح باهر في مجال صـون عناصر التراث غير المـادي، وذلك من خلال إنجـاز العديـد من الملفـات، وتُوّجت الجهـود الكبيرة التي قادتهـا دولـة الإمـارات العربيـة المتحدة مُنذ عـام 2005 في إطـار حرصها على صـون وإحياء واسـتدامة مُقوّمات التـراث الإماراتـي الأصيـل، بحصول الصقـارة على أهم اعتـراف عالمـي بمشـروعيتها وغناهـا الحضـاري، وذلك بتسـجيلها بتاريـخ 16 نوفمبر 2010 في القائمـة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشـرية في منظمة اليونسـكو.

ومـن جهة أخـرى، تمتلك الإمارات تاريخـاً عريقاً وموروثاً ثقافيـاً وحضاريـاً غنيـاً بالكنوز الأثريـة والتراثيـة، التي تعـود إلـى حضـارات مختلفـة نمـت وازدهـرت منـذ ما

يزيد على سبعة آلاف عام مضت؛ لذا فإن بعض المواقع الإماراتية تتمتع بقيمة استثنائية جعلت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) تدرجها على قائمة التراث العالمي مثل مدينة العين، بالإضافة إلى سبعة عناصر من التراث الثقافي الإماراتي التي سجلتها المنظمة ضمن قائمتها للتراث الإنساني غير المادي، وهي: المجلس، القهوة، الرزفة، الصقارة، التغرودة، العيالة، السدو.

من خلال هذه المرتكزات، جاءت مقومات أخرى، أكدت العمل على صون التراث، والوصول به إلى قائمة اليونسكو، وهي الجهات الحكومية وشبه الحكومية والخاصة، فهناك الجهات التي تعمل بنسبة 100% في مجال التراث الشعبي، وهي:

1. معهد الشارقة للتراث.
2. مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث.
3. نادي تراث الإمارات.

وهناك الجهات التي خصصت للتراث إدارة معنية، مثل:

1. وزارة الثقافة والشباب.
2. دائرة الثقافة والسياحة.
3. هيئة الثقافة والفنون بدبي.

تأتي بعد ذلك الجمعيات ذات النفع العام الخاصة بالتراث الشعبي، ومنها:

1. جمعية الوطني للتراث الوطني.
2. جمعية العين للفنون الشعبية.
3. جمعية عيال ناصر للفنون والتراث.
4. جمعية حتا للثقافة والفنون والتراث.
5. جمعية إحياء التراث الشعبي.
6. جمعية الشارقة للفنون الشعبية.
7. جمعية التراث الشعبي بأم القيوين.
8. جمعية المطاف للتراث والفنون.
9. جمعية رأس الخيمة للفنون والتراث الشعبي.

10. جمعية ابن ماجد للفنون الشعبية والتجديف.
11. جمعية النخيل للفن والتراث الشعبي.
12. جمعية الشحوح للثقافة والتراث الشعبي.
13. جمعية الحبوس للفنون والتراث الشعبي.
14. جمعية رأس الخيمة لإحياء التراث الشعبي.

ومن خلال هذه الجهات، تم العمل على حفظ التراث وصونه، والوصول به إلى العالمية من خلال «اليونسكو»، ليعرف الجميع تراث دولة الإمارات، كونه جزءاً لا يتجزأ من التراث العربي، فهناك الفعاليات التراثية الدائمة والمستمرة مثل سباقات القوارب الشراعية، وسباقات التجديف وسباقات الهجن التي يتبناها ويحتضنها نادي تراث الإمارات بأبوظبي، وهناك فعالية رحلة الهجن التي أطلقها مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، وكانت في البداية تسمى «رحلة الهجن الاستكشافية»، حتى اتسع فضاءها وتباعدت مسافاتها، وزاد عدد ساعات الترحال فيها، فأضحت فقط «رحلة الهجن»، كونها لم تعد تقتصر على الاستكشاف، بل ساعات طوال من العمل المسبق للتخطيط وتحديد الطرق في الصحراء ومواقع التخييم.

أما مضمونها، فيبقى في السياق ذاته، رحلة استثنائية وامتحان للصبر والشجاعة، بدأت الفعالية في عام 2014، برحلة تجريبية لمجموعة من الشباب الإماراتيين، سارعوا في التعرف إلى تراثهم المحلي، وخوض تحدّ للقدرة في ربوع الصحراء لأكثر من 11 يوماً.

أما المهرجانات والملتقيات، فهناك مهرجان أيام الشارقة التراثية الذي يحتضنه وينفذه معهد الشارقة للتراث، وقد أكمل العام الماضي نسخته الـ18، وكذلك ملتقى الشارقة الدولي للراوي في نسخته الـ21، تأتي دائرة الثقافة والسياحة بأبوظبي لتنفذ مهرجان قصر الحصن بأبوظبي، والمهرجان الوطني للحرف والصناعات التقليدية في العين، وهناك مهرجان دبي، وتراثنا الحي، وتنفذه هيئة الثقافة والفنون في دبي.

وفي الإطار ذاته، يأتي دور القرى التراثية، وتهدف هذه القرى إلى استعراض الحياة التقليدية في دولة الإمارات بصورة نابضة، والتعريف بالعادات والتقاليد، والمهن والحرف المحلية، وأنماط الحياة، ومن أبرزها:

1. قرية التراث في أبوظبي.
2. قرية التراث الثقافية في العين.
3. قرية حتا التراثية في حتا.
4. قرية التراث بدبي.
5. القرية التراثية في رأس الخيمة.
6. قرية الفجيرة التراثية.

وقبل الختام، سوف أتحدث عن نشاط تراثي تنفذه هيئة الثقافة والفنون في دبي، وهو «مراكز دبي للتنمية التراثيّة»، وقد أُسست هذه المراكز لتنشيط التراث بمدارس دبي، ولتكون مراكز تعليمية تثقيفية لتراث دولة الإمارات، وترسخ القيم في نفوس الطلبة، وتنمي مهاراتهم خلال إقامة المحاضرات وجلسات السنع، وكذلك الحرف التقليدية البيئات في دولة الإمارات العربية قديماً، إضافة إلى الورش التطويرية للأدوات التعليمية، وتهدف إلى:

- تنمية الهوية الوطنية وتعزيزها.
- ترغيب الجيل الجديد بتراث الأجداد.
- ترسيخ القيم والعادات الإماراتية الأصيلة.
- تنمية قدرات الطلاب الفنية بصبغة تراثية.
- ربط مناهج التعليم بواقع حياة الطلاب.
- إبراز المواهب الطلابية الخاصة إعلامياً.
- الحفاظ على الموروث الشعبي المادي والمعنوي.
- تشجيع الطلاب على المشاركة في الأنشطة التراثية.

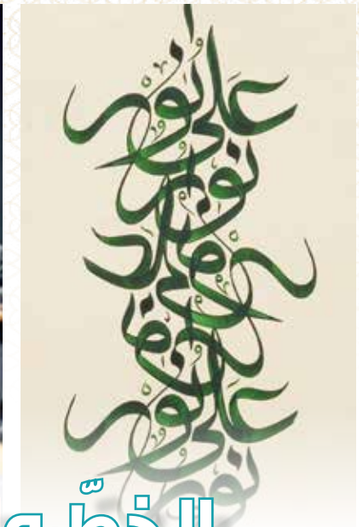

الخطّ والقدود والفجري..

إرث ثقافي عربي بقائمة «اليونسكو» يمتد لمئات السنين

تزخر البلدان العربية بإرث ثقافي وفني عريق، يمتد لمئات من السنين، ويمثل تراثاً إنسانياً مهماً، وخير دليل على ذلك الإدراج المستمر لعناصر من هذا الإرث ضمن القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية، في التفاتة غير مسبوقة لأهمية هذا الإرث، وفي تذكير بثراء المنطقة بالمفردات التراثية.

«الخط العربي، والقدود الحلبية، والتبوريدة المغربي، والتطريز الفلسطيني، والفجري الشعبي البحريني»، فنون تراثية عربية انضمت حديثا إلى القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي، إثر إقرار ذلك عبر التصويت من قبل اللجنة الدولية الحكومية لصون التراث، ما يعد اعترافاً بثراء الإرث الثقافي العربي من المشرق إلى المغرب، وترسيخاً للوعي الوطني والدولي بهذا الإرث الإنساني، الذي يؤكد أنّ الثقافة العربية جزء لا يتجزأ من الثقافة الإنسانية على مرّ التاريخ.

وتمثل الملفات المشتركة التي باتت تقدمها الدول العربية على غرار ملف «الخط العربي»، ملفاً مشتركاً تاريخياً بين 16 دولة عربية، بتنسيق من السعودية، ترسيخاً للوعي المشترك بضرورة العناية بالإرث الثقافي العربي على تنوعه من المحيط إلى الخليج.

ويسهم إدراج هذه العناصر التراثية في القائمة العالمية في صونها والحفاظ عليها وتثمينها، بما تمثله من ذاكرة حية وكنز حضاري يرسخ الهوية، ويؤكد على التاريخ العريق الذي يمكن البناء عليه للمستقبل، ويُشكل هذا

الإدراج جزءاً من الجهود المشتركة التي تبذلها دولة الإمارات العربيّة المتحدة، بالتعاون مع الدول الأخرى المشاركة في الملف، في إبراز المكانة التاريخية والثقافية للصقارة والخط العربي، ودعماً للعمل الثقافي الإنساني المشترك في حماية وحفظ وتعزيز ونقل هذه العناصر من التراث الإنساني الثري.

- الخط العربي

تطور الخط العربي جنباً إلى جنب مع تطور الكتابة العربية، وذلك منذ القرون الأولى للإسلام، يعدّ الخط العربي اليوم أحد الفنون التي يمارسها العديد من الأفراد، بغض النظر عن دياناتهم ومجتمعاتهم وأصولهم، وجاء إدراج هذا الملف نظراً لما يمثله من قيمة وأهمية في المحافظة على اللغة العربية، باعتبارها أحد مقومات الهوية الثقافية العربية، إضافة إلى اعتباره أحد أنواع الفنون، وعلامة مميزة للثقافة العربية والفرد العربي.

القدود الحلبية

ضمت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) فن القدود الحلبية إلى لائحة التراث الإنساني الثقافي، بعدما أطربت العالم، واعتلت المنصات العالمية بإدراجها في لائحة التراث الإنساني.

وهـي نوع من الفنون الموسـيقية السـورية، التي اشـتهرت بهـا مدينـة حلب منـذ القدم، وهـي عبارة عـن منظومات غنائيـة بنيـت علـى مـا يعـرف بالقـد، والقد عبـارة عن لحـن من التـراث، أخذ مـن الغنـاء الديني أو الموشـح أو الفولكلـور وغيـره، ووضـع عليه لحن وكلام علـى قده، ثم تطـور إلـى أغان متداولة في الأوسـاط الشـعبية.

التطريز والتبوريدة

أدرجـت اللجنة الدوليـة الحكومية لصون التـراث الثقافي غيـر المادي فـن التطريـز الفلسـطيني، والتبوريـدة، وهو فـن فروسـية تقليـدي بالمغـرب العربـي، علـى قوائمهـا للتـراث الثقـافي العالمي.

ويمثـل التطريـز عنصـراً بـارزاً في الحيـاة الثقافيـة الفلسـطينية، ولـكل منطقـة في الأراضـي الفلسـطينية أسـلوب التطريز الخاص بها، سـواء من حيث لون القماش أو خيوط التطريز أو طبيعة النقوش والرسـومات المطرزة، وعادة ما ترتدي الفلسـطينيات الثوب الفلسـطيني المطرز للتباهـي بـه في الأعـراس وغيرها من المناسـبات.

فهـو فـن ومكوّن مهم في حيـاة المرأة الفلسـطينية القروية والبدويـة، وهو جـزء من الفولكلور الشـعبي الفلسـطيني الـذي ورثتـه المـرأة الفلسـطينية، ونقلتـه إلـى بناتهـا وأحفادهـا علـى مـر العصـور، إذ يرجع أصـول التطريز الفلسـطيني إلـى عهـد الكنعانيـين، كمـا تشـير الآثار في مختلـف أنحـاء فلسـطين التاريخية.

اسـتعملت المرأة في فلسطين التطريز في تزيين أثوابها بشكل رئيـس، إضافة إلـى عدد كبير من حاجـات البيت، كالمفارش والوسـائد والمحافـظ وغيرها، وانتشـر هذا الفـن في معظم أنحـاء فلسـطين، ما عـدا القرى الممتـدة من جنـوب مدينة نابلـس حتـى جنـوب مدينـة الناصـرة، كما كانـت الأنماط المسـتخدمة في التطريز متباينـة وفقاً للمناطـق الجغرافية، إذا كان مـن الأمكن الإشـارة عبرها إلـى المنطقة التي تنتمي لهـا المرأة، بـل حتى إلى أي قريـة تنتمي.

التبوريدة

التبوريـدة عبـارة عن فن فروسـية تقليدي معـروف بدول المغرب العربي، وهو اسـتعراض للفرسـان، يحاكي معارك التحريـر واحتفـالات الانتصـار، حيث تنطلـق الخيول في سـباق نحـو 100 متـر، ينتهـي بإطـلاق النـار في الوقـت نفسـه، لسـماع دوي طلقة واحدة.

ويمـارس هـذا الفـن بشـكل كبيـر في الأريـاف، للاحتفال بالأعيـاد الوطنيـة والدينيـة، ويشـكل عنصـراً مـن الهوية الثقافية للمغرب، ويحضر الآلاف من المتفرجين المتحمسـين

كل عـام هـذه العـروض المذهلـة خـلال عـرض الخيـل في الجديـدة (غـرب البلاد)، وهـو أهم مهرجان للفروسـية في البلاد .

ويعـود تاريـخ تقليـد الفروسـية هـذا إلـى القـرن الثالث عشـر. والفرسـان المشـاركون متحدون ضمن قوات يطلق عليهـا «سـورباس» وللمـدن والقـرى قـوات «سـورباس» وبطـولات خاصـة بهـا. ويرتفـع رصيـد المغـرب إلى 12 عنصـراً تراثيـاً مسـجلاً علـى لوائح «اليونسـكو».

فن الفجري

أدرجـت «اليونسـكو» فـن الفجـري الشـعبي في البحرين، الـذي يحيي تاريخ صيد اللؤلـؤ في القائمة التمثيلية للتراث الثقـافي غيـر المـادي، ويعـود هذا الفـن إلى أواخـر القرن التاسـع عشـر، وكان يؤديه تقليدياً غواصـون وطواقم صيد اللؤلـؤ للتعبيـر عن المشـقات التي يواجهونهـا في البحر.

يجلـس المؤدون على شـكل دائـرة، ويغنـون ويعزفون على أنـواع مختلفة مـن الطبول والصنـوج المعدنية الصغيرة في الأصابـع وآلـة الجحل، وهـي عبارة عن وعاء مـن الفخار يسـتخدم كآلة موسيقية، ويحتل وسـط الدائرة الراقصون والمغنـي الرئيس المسـؤول عن ضبط إيقـاع العرض.

فنون ومعارف عربية على قائمة التراث الثقافي لـ«اليونسكو»

نجحت الدول العربية، عبر سنوات، في ضم مجموعة من الفنون التراثية العربية إلى قائمة التراث العالمي غير المادي بمنظمة اليونسكو، مثل «العرضة السعودية»، و«السيرة الهلالية»، و«طبق الكُسكُس»، و«الصيد باستخدام الشرفية في جزر قرقنة».

- العرضة السعودية:

وتعرف أيضاً بالعرضة النجدية، وصفها الأديب عباس محمود العقاد في كتابه «مع عاهل الجزيرة العربية»، بأنها «رقصة مهيبة ومُتزنة تثير العزائم». وهي فن من الفنون الشعبية في السعودية، بدأت بكونها إحدى أهازيج الحروب، واليوم تؤدى في المناسبات الوطنية والمهرجانات والأعياد، من خلال ترديد أبيات شعرية وأناشيد معينة، تليها الرقصة التي تستخدم فيها عادة السيوف بحركات معينة.

عام 2015 أدرجت العرضة السعودية في القائمة التمثيلية الخاصة بالتراث الثقافي غير المادي لدى الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، لتصبح أول

الموروثات الثقافية التي تدخل بها السعودية – للمرة الأولى – لائحة التراث العالمي غير المادي.

- المزمار:

أحد أشهر الفنون بمنطقة الحجاز، وتغلب عليه الحماسة عبر الأهازيج والمهارة في اللعب بالعصا على قرع الإيقاعات الجميلة.

أدرجت منظمة اليونسكو عام 2016 رقصة المزمار السعودية ضمن قائمتها التمثيليّة للتراث الثقافي غير المادي.

وتعد رقصة المزمار من الرقصات التقليديّة في منطقة الحجاز بالسعوديّة، وعادة ما تمارس لإحياء المناسبات العائليّة أو الاحتفالات الوطنيّة. وتجري هذه الرقصة بمشاركة نحو 100 رجل، يصطفون في صفين مقابل بعضهما بعضاً، ويصفقون ويرددون أغاني عن البطولة والحب. ويرقص رجلان بالعصي في وسط ساحة الرقص على إيقاع الطبول.

- القط العسيري

أحد الفنون التجريدية التي نشأت في منطقة عسير جنوب السعودية، وهو فن تراثي قديم، يختص بزخرفة المنازل من الداخل، وتقوم به النساء، إذ ترسم أشكالاً متناسقة على الجدران ذات ألوان زاهية ومبهجة.

وتم اختيار القط العسيري ضمن القائمة التمثيلية للتراث غير المادي، لدى منظمة اليونسكو عام 2017. ويوجد اليوم «القط العسيري» بزخارفه الرائعة كنماذج متعددة في أعمال الديكور والأثاث والأزياء السعودية.

السيرة الهلالية:

اعتمدت «اليونسكو»، السيرة الهلالية خلال عام 2008، وانضم إلى قائمة اليونسكو للتراث غير المادي، وكانت السيرة الهلالية أول الملفات المصرية التي تم إدراجها.

التحطيب:

جاء تسجيل فن التحطيب عام 2016، والذي تقدمت

به وزارة الثقافة المصرية عام 2014، إلا أنه تم سحب الملف لإجراء مجموعة من التعديلات، وإعادة تقديمه إلى المنظمة، بعد الانتهاء منها، وقد ترأس وفد الثقافة المصرية الدكتورة نهلة إمام، الأستاذ بأكاديمية الفنون، وحظي الملف المصري بمساندة قوية من دول الجزائر وفلسطين ولبنان، وبقية الدول التي لها حق التصويت في

هذا الاجتماع، بالإضافة إلى الدول المشاركة في الاجتماع، وهي المملكة العربية السعودية والإمارات وعمان والأردن.

الأراجوز:

نجحت وزارة الثقافة في إدراج ملف الدمى اليدوية التقليدية المعروفة بفن الأراجوز، في قائمة الصون العاجل للتراث غير المادي، بمنظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم (اليونسكو)، وقالت الدكتورة إيناس عبدالدايم، وزيرة الثقافة، إن تسجيل الأراجوز في القائمة يُعد إنجازاً جديداً للجهود الرامية إلى الحفاظ على الموروثات الشعبية غير الملموسة، ونصراً غالياً في ميدان حماية الهوية.

النسيج اليدوي:

نجحت مصر في تسجيل النسيج اليدوي بالصعيد على قوائم الصون العاجل للتراث الثقافي غير المادي بمنظمة اليونسكو، وذلك عبر جهود وزارتي الثقافة والخارجية، وقالت الفنانة الدكتورة إيناس عبدالدايم: إن تسجيل النسيج اليدوي بالصعيد على قوائم الصون العاجل للتراث الثقافي غير المادي بمنظمة اليونسكو يعد إنجازاً جديداً لمصر في مجال صون الهوية المصرية، ما يساعد على الحوار بين الثقافات، ومن شأنه رفع الوعي بالتراث الثقافي غير المادي،

وزيادة محصلة المعارف والمهارات الغنية التي تتوارثها الأجيال.

طبق الكُسكُس:

أدرجت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) طبق الكُسكُس في قائمة التراث الثقافي غير المادي، وهو ملف مشترك تقدمت به الجزائر وموريتانيا والمغرب وتونس.

الصيد باستخدام الشرفية في جزر قرقنة

تعدّ الشرافي إرثاً وطنياً تونسياً، تم تسجيله لدى «اليونسكو» كتراث إنساني، حيث إن كل معاهد القانون التي تدرّس قانون ملكية البحر، تعتمد جزيرة قرقنة نموذجاً.

«التبوريدة»: تراث مغربي أصيل

التبوريدة ممارسة شعبية تقليدية عريقة، تمارس بشكل استثنائي في المغرب، أما عند الأجانب فمعروفة لديهم باسم «الفانتازيا» ذات الأصل اللاتيني التي تعني الترفيه.

هشام أزكيض
كاتب وقاص –المغرب

فالتبوريدة مرتبطة بالفرس، والذي يعود ظهوره بالمغرب، حسب بعض المصادر التاريخية والأركيولوجية إلى أكثر من 3000 سنة، وهذا ما أكدته البقايا الأثرية، والرسومات على الجدران في مدينة وليلي.

للتبوريدة جمهورها العريض، على الصعيدين المغربي والدولي، وإذا بحثنا عن أصلها، فإننا نجد أنها مشتقة

من كلمة «البارود»، فهي فن عريق في عالم الفروسية، وهذا الفن يعرف أيضاً بـ«الخيالة» و«الباردية»، ويعود إلى القرن الخامس عشر الميلادي.

فالتبوريدة هي إعادة تمثيل لهجوم عسكري شنه على أعدائهم فرسان عرب وأمازيغ، وبذلك فهي فن تعود جذوره إلى أيام مقاومة المغرب للغزاة المستعمرين، من أجل استرجاع الثغور المغربية السليبة، وكانت تستعمل خلالها الأقواس والنبال، قبل أن تعوض ببنادق البارود في القرن السادس عشر.

فوظيفة التبوريدة شبيهة بالاستعراضات العسكرية التي تنظمها الجيوش النظامية في الوقت المعاصر، كما أن وظيفتها حماسية؛ حيث تسعى إلى حث القبائل على الجهاد، ومقاومة المستعمر، كما تروم تخليد ذكرى الملاحم العسكرية المرتبطة بالذاكرة الجماعية للقبيلة.

فالتبوريدة إذن، ليست وليدة العصر؛ لأنها طقس احتفالي، تقليدي وفولكلور شعبي عريق لدى المغاربة، وعليه فهي جزء لا يتجزأ من تراثهم الأصيل، الذي يعيد الذاكرة الشعبية والمتفرجين في مختلف المناسبات إلى عهود مضت. وتتعدد تلك المناسبات التي يحتفل بها المغاربة، والتي تتخللها عروض من فن «التبوريدة» مثل حفلات الأعراس، والمواسم، والعقيقة والختان. ومن خلال ما سبق فإن الوصلات الفنية المغرقة في الرمزية تمثل اختزالاً للطقوس الكرنفالية، والفولكلورية لدى المغاربة التي ينسجم فيها اللباس مع الغناء، والرقص والفروسية بشكل دقيق ومبهر.

ومن دون شك، فالتبوريدة فن استعراضي مرتبط بالأرياف، وهو أيضاً قبل ذلك تراث تاريخي غير غائب في العصور؛ فمنذ القدم والفرس ظل ملازماً للإنسان، سواء في الحرب أو السلم؛ حيث كان وسيلة تستعمل في الأسفار مثلاً، كما أنه كان أداة للتسلية والفرجة، وجانب من جوانب الافتخار، وهذا ما يؤكد أهمية الفرس في المشهد الحضاري الإنساني. وتشهد كتب التاريخ الحضاري تفوق العرب في الفروسية، حيث كانت تدرب أبنائها منذ الصغر على ركوب الخيل. ولمَّا جاء الإسلام شجع على ممارستها لخدمة رسالة الإسلام وقيمها الحضارية، وقد استفاد الغرب من خبرة العرب

والمسلمين في شؤون الفروسية، سيما في فترة الازدهار بالأندلس وأثناء اندلاع الحروب الصليبية، رغم أن الغرب عرف الفروسية منذ أيام الرومان.

كما أكدنا، فالمغاربة أولوا عناية كبيرة بعالم الفروسية الذي يتجسد في التبوريدة، المرتبطة في أذهانهم بتقاليد، وعادات تجمع بين المقدس والدنيوي، حيث تصاحبها مجموعة من الأغاني، والمواويل، والصيحات المرافقة لعروضها؛ والتي تحيل على مواقف بطولية، وهي تمجد البارود والبندقية التي تشكل جزءاً مهماً من العرض الذي يقدمه الفرسان.

خلال السنوات الأخيرة، تزايد الاهتمام بالتبوريدة، من خلال تنظيم مسابقات وطنية سنوياً لاختيار أحسن «السربات»، وأحسن فارس، وأحسن فرس، وأحسن لباس تقليدي. وقد عرفت التبوريدة انتشاراً في مختلف مناطق المغرب، لكن الملاحظ أن ممارسة هذا الفن في الماضي اقتصر على أعيان القبائل، وذوي الثروة منهم، بسبب ما تتطلبه تربية الخيول، والاعتناء بها وتسريجها، من نفقات مالية باهظة.

تحظى الخيل المشاركة في «حركة السربة» بلباس خاص، فسرجها عادة ما يخاط بأثواب رفيعة، ويزين لجامها بنقوش مذهبة، وفي بعض المناطق المغربية جرت العادة بوضع الحناء على «غرة الفرس»، حفظاً له من كل سوء، حسب بعض المعتقدات الشائعة.

وتتضمن منافسات الفروسية التقليدية عروضاً في غاية الجمال، تقدمها «السربات» التي تتشكل كل واحدة منها من 14 فارساً وفرساً، إضافة إلى «المقدم» لتنفيذ «التبوريدة» على أن يتكلف «المقدم» الذي غالباً ما يكون أكبر الفرسان سناً مهمة تنظيم فرسانه وتحفيزهم.

يقوم «المقدم» أو «العلام» باستعراض فرسانه قبل كل

انطلاقة، ويشجعهم من خلال ترديد الأسماء، وبعد ذلك تدخل المجموعة إلى ساحة العرض، ومن ثم تبدأ بتحية الجمهور (الهدة أو التشويرة). ثم بعد ذلك يعود الفرسان إلى نقطة الانطلاقة، حيث يصطفون في خط مستقيم في انتظار إشارة «المقدم»، لتنطلق الخيول في سباق يبرهن خلاله الفرسان عما يتوافرون عليه من مهارات، سواء بالنسبة للسيطرة على خيولهم لإبقائها في الصف، أو ما يخص الحركات التي يؤدونها ببنادقهم؛ حيث يتعين على الفرسان أن يضغطوا على زناد بنادقهم بمجرد أن يعطي «المقدم» الإشارة لذلك، على أساس أن نجاح «التبوريدة» أو «الطلقة بالبارود» رهين بأن تكون الطلقات في لحظة واحدة.

يحرص الفرسان على ارتداء الزي التقليدي، الذي يتكون من «الجلابة» و«السلهام» و«العمامة» و«السروال الفضفاض»، وينتعلون نعلين من النوع العالي، دون أن

الاحتفالات التي كانت تحييها القبائل، تخليداً لكل انتصار تحققه.

خلال السنوات الأخيرة، تزايد الاهتمام بفن الفروسية التقليدية، وذلك بتنظيم مسابقات وطنية سنوياً، لاختيار أحسن «السربات»، وأحسن فارس، وأحسن فرس، وأحسن لباس (الزي التقليدي)، وقد شهد فن التبوريدة تطوراً على مستوى جودة الخيول العربية والأمازيغية الأصيلة، وتجويد مستلزماتها من ألبسة تقليدية، وسروج، وبنادق، وسيوف، وخيام تعكس أصالة التراث المغربي بعاداته وتقاليده الأصيلة. وتشجيعاً لهذا الفن الذي يجسد اللوحات الفولكلورية للموروث الحضاري المغربي، تم تخصيص جائزة الحسن الثاني لفنون

تنسى موقع الخنجر (الكمية) في صورة الفرسان. أما «المكحلة» أو البندقية (السلاح التقليدي)، فتكون مرصعة بخطوط، ونقوش متموجة. فيما تزين السروج برسومات، ونقوش مستمدة من التراث المغربي الأصيل.

ولاشك في أن نجاح «التبوريدة» كفن شعبي رهين باحترام مجموعة من الشروط، فمنها ما يرتبط بالفرس، ومنها ما يرتبط بالفارس الذي يجب أن يتحلى بالشجاعة، والقوة، والانضباط، والحرص على سلامته، وسلامة زملائه، ومنها ما يتعلق بالمكان المخصص لممارسة ذلك النشاط الفني، وهو ما يُعرف لدى العامة بـ«المطرك»؛ أي الميدان الذي يحتضن مجريات فن «التبوريدة»، وهو عبارة عن ساحة فسيحة تحاكي ميادين القتال أو فضاء

المادي للإنسانية. وقد أودع المغرب ملف الترشيح المتعلق بإدراج «التبوريدة» على القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية لدى «اليونسكو» رسمياً سنة 2019. وقد أعد الملف وزارة الثقافة والاتصال -قطاع الثقافة – بشراكة مع الشركة الملكية لتشجيع الفرس، والجامعة الملكية المغربية للفروسية.

انطلاقاً مما سبق، يتبين أن التبوريدة تجسد الأبعاد المتعددة للتراث الثقافي غير المادي، لاسيما الطقوس، والمهارات، والملكات المتعلقة بالزي التقليدي، والصناعة التقليدية، إلى جانب الإرث الشفوي الذي لا ينفصل عن ممارسة الفروسية التي تشكل علامة مميزة بطقوسها المملوءة بالرموز والدلالات التراثية المغربية.

الفروسية التقليدية (التبوريدة)، سعياً إلى ضمان انتقال مشعل التبوريدة من الجيل الأول إلى الجيل القادم الذي يستهويه كل ما يتعلق بالفرس، ولا يمكن الحديث هنا عن الذكور فحسب، بل إن الإناث اقتحمن هذا المجال الذي كان فيما سبق حكراً على الرجال.

وسعياً لاستمرارية هذا الموروث الثقافي الأصيل، وإعداد الخلف، خصصت الجامعة الملكية المغربية للفروسية مسابقة للفتيان الذين تراوح أعمارهم بين 10 و15 سنة، ليتباروا بدورهم ضمن «سربات» تخضع للمعايير ذاتها المعتمدة في تنقيط الكبار.

هذا، وقد تم إدراج «التبوريدة» مؤخراً من طرف «اليونسكو»، ضمن القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير

صنّفته «اليونسكو» تراثاً مهدّداً بالانقراض «التهيدين».. ملحمة شعرية موريتانية عريقة

عدّ «التهيديين» أحد صنوف الشعر الشعبي الموريتاني، ويتسم بخاصية فريدة، جعلته يحتل مكانة سامقة لدى المجتمع، وذلك لارتباطه الوثيق بالأمراء والقبائل ذات الشوكة والنفوذ، فهو ملحمة شعرية طويلة، تستعرض قوة وبسالة الأمير القائد عند احمرار الحدق، واستعار لهيب الحرب، وشحذ همم الفرسان، ودعوتهم للإقدام في أرض الوغى.

محمد محمود سيدي محمد
كاتب – موريتانيا

والتهيديين: قصيدة شعرية شعبية، تتناول موضوعاتها بطولات القادة وشجاعتهم وبسالتهم في ميدان الحرب، كما تسطّر القيم المثلى من عادات وتقاليد لدى المجتمع الحساني الموريتاني، وتحتفي بانتصارات القادة.

وتأتي الملحمة في قالب شعري موزون مقفى، يقدم قصة متكاملة الأجزاء، متناسقة العناصر، تتوافر فيها العناصر الفنية الأساسية للفن القصصي من أحداث وأشخاص وأزمان ومكان، وسرد ووصف وحوار، مازجة في التنسيق بين الأحداث على الأخيلة والواقع، من خلال رسم صورة لا تخلو من غرابة ودهشة، تجعل المتلقي في حيرةٍ من أمره، لا يكاد يُميّز بين الحقيقة والأسطورة.

ظهرت ملحمة التهيدين في منتصف القرن السابع عشر الميلادي، على أيدي شعراء أفذاذ، اتّخذوا لأنفسهم أساليب مائزة، ومنها تشكّلت مدارس الأدب الحساني، ومن أشهرها:

- مدرسة «تكانت»، ورائدها سدوم ولد انجرتو، وهو باتفاق المؤرخين أول من قال التهيدين وأبدع فيه، وقد كان ذلك في منتصف القرن الـ17.
- مدرسة القبلة، ورائداها اعلي وأعمر ابنا مانو.
- مدرسة الحوضين، ومن روادها الكفية ولد بوسيف وسيد أحمد بن آوليل.

لقد نشأ التهيدين في أحضان الإمارات الحسانية، وسطّر معارك الأمراء وفروسيتهم، وبسالتهم في ميدان الحرب، فأظهر للقادة قوة خارقة للعادة، تشبه الأسطورة، إلى حد كبير، لاستحالة تحقّقها، ومن أمثلة ذاك قول سدوم بن انجرتُ في تهيدينة يمدح فيها ابن أمير إدوعيش محمد بن بكار:

بسم اللّٰه اعلَ شكرْ الزّعيم خيّل إدوعيشِ واسْبَحّ
حَطّام الزعمَ فاتْلاطيم الحومَ منهم يَشْبَحّ
فَارْسْ الحَمْرَة أفَارْسْ امعَيْليم وخَمرَازَ يَوْمًا انصفحه
فِيرَشْ لَرجلِ فراتيم برْصاص الكَالب طَيحه

إلى أن يقول:

وفارس البيْظَة يوْمهَ بَلبْريم ومعطَ راصه راحتْ امجرْحه
تحتْ ازْعيم انجوع آكجاجيم يَوْمَ البَيْجوجْ اعل الصفحه
إلا وردَتْ شَبَحَه بَرْديم من وَطَي اصحباته يمتحه
ولا شَلَتْ من كَثْرَتْ لحكيم وطْيَه في الرَمْلة تَطْرَحَه
ما تكْدَرْ فرَسْ اسْليطْ زعيم من خيل اصديكَ تكطحه

ثم يقول:

ولو، وخوه، وولادو فَتْراشِيم
قمسو فيه ذاك لخْبِيط ماسحه
كَرْكَرْ فيهم ذاك اراتيم
فَجار القارَك بْبَطحه
ظَلْ الرْصاصْ ينظم اظيمهم زين
وجابو جنائز مَطَرحه
وفرَسْ شيْخ انْجوع أشاريم
ماهي في الخيل المْوَشْحه
تعطِي ابراصه لخبيطْ اطْميمْ
وتعطي بْزَرْيانْهَ مْصَفْحه

ثم يقول:

خالطْ الهَوْلْ والعَرِفْ وانْمسْليمْ
والطّرْبَ للشّعْرَ بانْفَحّ
والتفكريشْ والسّخَ والتقوليمْ
والصدْگَ والتوبَ الناصحّ

ولِمُعَرِّفِنِ بانٌ فَهيمٌ
كلبُ ذاكٌ وراصُ افتحّ
فالنصوصٌ والاحكامٌ والتراجيمٌ
وفَازَوَانٌ والشعرٌ افَتْحَ

ولا تقتصر ملحمة التهيديين على المدح فحسب، بل قد تكون الملحمة فخراً وإطراءً وتمجيداً للقادة والزعماء، ما يؤدي لتضخم الذات بعد أن كانت غائبة في غرض المدح، وتأخذ المبالغة قسطها الوفير في مضامين القصيدة، ومن ذلك قول الشاعر في غرض الفخر من التهيدين:

ما كط سلاح احمان ؤُ لا كط شاعر جولان
والجار سكان امعان المدافع امنين انسل
ما قط عرب نقلان و الموت نحتل بل
ولا كط فالشر اكفان كسناه لعصم ينحل
مسكون فالشر ادفان مكعود فالخير افظل
وابذاك تشهد لقبايل فمنين عن ينشلُ
واتعود وقرت لقوايل لكْلوب يمش و اولٌ
الا انكبظ لمدافع يبكان ثقل الفتن
وامنين الصالح يدافع اترق عندن دنيتن
فالخير مد مفلوش واطريكن ما تحوش

ولم يقتصر «التهيدين» على الإمارات الحسانية فحسب، وإن مثّل جوهره ومنتهاه، بل شمل بعض القبائل ذات الشوكة والنفوذ، فأصبح يهدف، بالإضافة إلى إظهار القوة والفروسية والشجاعة والقيم الفضلى، إلى شحذ همم الفرسان؛ لإظهار مزيد من القوة والاندفاع في الحرب.

وقد اقترنت ملحمة التهيدين، التي تشكّل جوهر التعبير الشعبي والاحتفاء بالقادة والزعماء والفرسان والأبطال في حبكة شعرية شعبية، تجنح في أغلبها إلى الخيال أكثر من الواقع، بالآلات الموسيقية، حيث كان يؤديها مغنون شعبيون على آلة موسيقية تراثية عريقة، تسمى «التيدينيت»، تماماً كما كان مغنو فنلندا يجوبون الشوارع ويغنون أجزاء من ملحمة الكاليفالا الخالدة على آلة «الكانتيلي»، وهنا مكمن التشابه الأكثر جلاءً بين الملاحم الشعبية العالمية، أنها ترتبط بآلة موسيقية تقليدية في أغلبها.

التهيدين.. تراث مهدد بالانقراض

لقد كان ظهور ملحمة التهيدين نتيجة إفراز بنية اجتماعية تعيش وفق نمط معين، وتراتبية واضحة المعالم، جعلت من الأمير الشخصية المحورية، مجسّدة في الوقت ذاته المرجعية الأساسية للقيم الإنسانية العليا، كما أنها تتصف بكل مظاهر الشجاعة والقوة الخارقة، ما جعل الجميع يخضع ويذعن لإرادتها، ملتزماً كل الأوامر والنواهي، وبعد سقوط الإمارات الحسانية، أصبح التهيدين يبحث عن ظل ظليل، وموطن لإقامته واستقراره، فكانت القبائل ذات الشوكة والنفوذ الحاضن الأساسي له.

وبعد أن نشأت الدولة الوطنية، وتغيرت موازين القوة ومعايير الحظوة الاجتماعية، لم يعد للتهيدين مجاله وموضوعه؛ لذلك أصبح إنشاد القديم منه ومراجعته ودراسته وتسجيله، باعتباره تراثاً شفاهياً، هو عامل إبقائه؛ لذا صنفته «اليونسكو» في مؤتمرها المنعقد في مدينة بالي بإندونيسيا، على أنه من التراث الإنساني المهدّد بالانقراض.

اليوم العالمي للغة العربية

في الثامن عشر من ديسمبر تحتفل البلاد العربية بلغتها، لغة القرآن الكريم والحياة، لغة الشعر والجمال، لغة القول الفصيح، لغة الأجداد والآباء والأحفاد، هذا اليوم الذي أقرته منظمة اليونسكو ليكون هو اليوم العالمي للغة العربية في الثامن عشر من ديسمبر كل عام، ولتتعاضد هذه اللغة مع مثيلاتها من اللغات الحية في العام، وتلج كل مفاصل الحياة والعلوم والقوانين والمجالات.

د. فهد حسين
أكاديمي وناقد – البحرين

فكما هناك يوم عالمي للشعر، ويوم عالمي للمسرح، وآخر للكتاب وحقوق المؤلف، ويوم عالمي للمرأة، وعلى الكثير من العلوم والحقول الأخرى، وها نحن العرب جميعنا نهنئ أنفسنا بهذا اليوم، نحن أبناء هذه اللغة التي عملت العديد من المؤسسات التعليمية والدينية على احتوائها والاهتمام بها منذ القرون الأولى، اللغة التي أفرزت لنا العلوم الأخرى، فمن خلالها برز علم النحو، وعلم الصرف، وعلم البلاغة، وعلم المنطق، وعلم الكلام، ولا يمكننا أن نفكر من دون لغة، تلك التي تحتوي الأفكار، والعواطف والمشاعر.

لقد تعاضدت اللغة العربية منذ اليوم الأول الذي نزل فيه الوحي على نبينا محمد بن عبدالله – صلى الله وعليه وسلم – فأصحبت هي لغة القرآن الكريم، والسُّنّة النبوية المحمدية، وأسهم الدين الإسلامي واللغة العربية معاً في انتشار واتساع بعضهما، ما أكد في نطاق هذا الانتشار أنها الهوية العربية التي يعرف بها الدين الإسلامي، حيث أمست اللغة الرسمية في الدول المعتنقة للإسلام، أو من اللغات الرئيسة فيها، ولو عدنا إلى التاريخ، وتكوين الدول الإسلامية وحضاراتها، لعرفنا أن بلاد الأندلس، وعبر ثمانية قرون كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية، لكن هذا لا يعني أن هناك تجاهلاً أو إلغاء لبقية اللغات، بل الإيمان بالتمازج الحضاري والتواصل الثقافي جعل اللغة العربية متفاعلة مع ألسنة غير عربية أخرى في العديد من الدول.

وبغض النظر عن عمر اللغة العربية، فهي لغة سامية شهدت تطوراً في مسيرتها التاريخية، كانت ولاتزال، حيث إن إنسان شبه الجزيرة العربية في تلك الفترات الزمنية يتكلم العربية الفصحى بالسليقة، ومن دون تلكؤ أو تلعثم، سواء قبل الإسلام أو بعده، والشواهد كثيرة على ذلك، فيكفي التأمل في الشعر الذي وصل إلينا، ومدى قيمته اللغوية والفنية والمضمونية، ما يعني أن اللغة العربية آنذاك تمثل هويته في المخاطبة والمكاتبة والتفكير والمشاعر والتعامل مع الذات وذوات الآخرين؛ أي أنها مثل أي لغة إنسانية لها من الوظائف كعمليات التفكير، والحضن الذي يحتوي المعرفة، وعمليات التواصل بين المرسل والمرسل إليه، ولكن بدخول الشعوب الأخرى في الإسلام في إطار انتشاره، وبروز ظاهرة اللحن في اللسان العربي، جاءت فكرة المحافظة على اللغة العربية من هذا اللحن، أو تمازجها اللفظي مع اللغات الأخرى، خوفاً في اللحن في القرآن الكريم قبل اللحن في الحديث أو القول الشفاهي بين الناس بعضهم بعضاً، وأدى هذا إلى طلب الإمام علي من أبي الأسود الدؤلي كتابة النحو، والقصة معروفة في التاريخ العربي.

ولم يكن هذا الحرص محض مصادفة، بل هو الخوف كما ذكرنا من جهة، لأنها لغة القرآن، حيث قال تعالى: «بلسان عربي مبين»، الشعراء/195، «إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون»، يوسف/2، وقال عمر بن الخطاب: «تعلموا العربية فإنها من دينكم»؛ أي لغة الدين والشعائر الرئيسة، هكذا منذ ذاك الوقت حتى يومنا هذا، نجد المشتغلين باللغة لم يقفوا مكتوفي الأيدي، بل يسعون جاهدين؛ لكي تكون اللغة العربية لغة عالمية تسير على درب واحد مع اللغات العالمية الحية الأخرى، وما تأسيس المجامع اللغوية في المشرق والمغرب إلا لتكون اللغة العربية لغة حية متجددة، وقابلة للتحديث والتطوير، وها هو الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا) يدرس مدى اعتماد اللغة العربية ضمن تلك اللغات الرسمية التي يحتضنها هذا الاتحاد، أفلا ينبغي أن نحافظ على اللغة العربية قدر استطاعتنا، وكما حرص الأولون على اللغة وفصاحة اللسان وبلاغة الكلام، ينبغي علينا أن نؤدي الدور نفسه تجاه هذه اللغة التي تتميز بسعتها

في المفردات والاشتقاق والدلالة، ألا يحق لنا أن نهتم بها جل الاهتمام؟ وهنا نذكر قول المبرد:

النحو يبسط من لسان الألكن

والمرء تكرمه إذا لم يلحن

وإذا طلبت من العلوم أجلها

فأجلها عندي مقيم الألسن

إن وجود يوم للغة العربية يجعل المسؤولية على أبنائها كبيرة وخطرة في الوقت نفسه، وبخاصة أن عصر التكنولوجية والإنترنت، وشبكات التواصل الاجتماعي، والمنصات الافتراضية والتطبيقات الإلكترونية لها أثر بشكل كبير في اللغة العربية كتابة وقراءة، وحتى في استخدام حروفها، منذ فترة ليست قصيرة؛ أي مع بداية انتشار هذه العالم الافتراضي، برزت ظواهر غير طبيعية بين فئات الشباب تحديداً، تمثلت في ترك اللغة العربية نائمة بين الكتب القديمة التي لا تفتح، وإبعادها عن ألسنتهم ومحادثاتهم اليومية؛ لأنهم يتحدثون ويقرؤون ويكتبون باللغات الأجنبية، إما تباهياً أو ضعفاً أو تماشياً مع الموجود على الساحة الاجتماعية العامة، ومن تلك الظواهر لديهم حين يحولون بعض الحروف العربية وأرقامها إلى حروف أجنبية، بمعنى بدأت بعض الأرقام الحسابية وبعض الحروف اللاتينية تمتزج مع حروف اللغة العربية، وهذا مع مرور الوقت سيضع اللغة العربية في مأزق صعب، ولخطورة هذه الظاهرة حاولت بعض الجامعات العربية إقامة بعض المؤتمرات الخاصة باللغة العربية، في بيروت، ودبي، والسعودية، وغيرها من أجل مناقشة مثل هذه الظواهر، وكيفية معالجتها وحصرها في نطاق ضيق، وفي الوقت الذي كما نعتقد أن الاستعمال اليومي للغة العربية بين فئة الشباب من الجنسين في عصر الثورة المعلوماتية لا يتجاوز 20%، فإن ما تقوم به دبي من دور نشط وفاعل في الحفاظ على اللغة العربية ومكتسباتها، أن جعلت من مشروع «تحدي القراءة» على مستوى كل الدول العربية، ليكون أحد منافذ مواجهة هذه الظواهر.

لذلك، ونحن نعيش هذه المناسبة السعيدة، ينبغي على أبناء الأمة العربية أن يعوا دور لغتهم الحقيقي، فلم تعد اللغة العربية محصورة في بقعة جغرافية واحدة، وإن امتدت من الخليج إلى المحيط، بل هي لغة عالمية حال اللغات العالمية الأخرى، وهنا نقول: هل فعلاً نملك الطاقة والقدرة والحيوية التي تقوي طاقة اللغة وتحرك عجلتها في سياقات الحياة الاجتماعية والعلمية وغيرها؟ وكيف لنا هذا ونحن نرى اختراقاً واضحاً بدخول مفردات اللغات الأخرى وأرقامها الحسابية، ما يشكل حاجزاً تتشكل فيه الأخطاء النحوية والإملائية والصرفية؟ من هنا نحن نعاني مآزق وتحديات جمة، تفرض علينا البحث عن حلول ومخارج تعطينا السبل لحماية لغتنا من كل الاختراقات التي تؤدي إلى ضعفها، مثل محاولتنا الاهتمام باللغة في حديثنا اليومي، ليس كما يظن بعضهم، وهو التقعر في اللغة ومفرداتها، وإنما الاهتمام بها وباللغات المحكية التي تشكل هوية وتراثاً،

أن تكون مفهومة واعية الدلالات والمعاني، نحاول أن نستعمل اللغة التي تحافظ على هويتنا وثقافتنا العربية.

وإذ نحن نحتفل بهذا اليوم على مستوى جميع الدول العربية ومؤسساتها التعليمية والأكاديمية، لابد أن تعي أمتنا دور اللغة العربية في حياتنا المتنوعة المتباينة، وأن تكرس مؤسسات هذه الدول ذات العلاقة المباشرة باللغة العربية، سواء وزارات التربية والتعليم أو التعليم العالي أو الجامعات أو المجامع العربية لدراسة الحالات الشائعة والأخطاء المتكررة والتي نراها في الشوارع، وبين صفحات الكتب والمجلات والصحف اليومية، وفي الإعلانات التجارية المسموعة والمقروءة والمرئية، ولابد من دعوة مقدمي البرامج والأخبار والفعاليات المختلفة من إتقان اللغة العربية، ولو بالشكل الذي يشير إلى الاهتمام باللغة، وتكمن الأمنيات في تعاون المؤسسات كل في دولته لمتابعة هذه الأمور، وكشف الأخطاء الضارة باللغة العربية، وبتقوقعها، حيث التأكيد على توظيف اللغة عند الأطفال من المراحل الأولى للتعليم، بدءاً من مرحلة رياض الأطفال، ولابد من توجيه المعلمات والمعلمين الذين يؤدون دورهم المهني داخل الصفوف، وهم يقدمون المواد التعليمية باللغة العربية، التخلي عن الحديث باللهجة المحلية تحدثاً ومناقشة قدر الإمكان، وينبغي أن يتذكر هؤلاء أن من عمل ليل نهار على أن تكون اللغة العربية إحدى اللغات المتداولة في عدد من المنظمات الدولية، وأن يكون لها يوم عالمي خاص بها، ألا نهمل دور هذه اللغة، ولا نبخس دور هؤلاء الذين أسهموا في الحفاظ عليها، بل علينا أن نقف صفاً واحداً للمحافظة على اللغة العربية؛ لأنها أحد ملامح هويتنا العربية.

وبهذه المناسبة، لعل المؤسسات المعنية بالثقافة والأدب والفنون تجعلها ضمن برامجها؛ لكي تحيي هذا اليوم، مركزة على ما ينبغي أن نكون عليه في المحافظة على اللغة العربية، وفي الوقت نفسه أمنية نتمناها من بعض الكتّاب والمبدعين، أن يكون اهتمامهم باللغة العربية اهتماماً يكشف عن شغفهم بالكتابة والقراءة والتحدث، فنحن نعاني من الذين لا يتقنون فن القراءة أو فن الإلقاء، لاسيما في المحافل الأدبية والثقافية، وليس عيباً أن يتدرب المرء على القراءة ليكون مستعداً، مع العلم أن المتلقي يستطيع التفريق وهو يستمع إلى الخطأ غير المقصود، والخطأ المقصود، في أثناء القراءة أو التحدث أو الإلقاء، وأن نضع قول شاعر النيل حافظ إبراهيم في قصيدته المشهورة التي يندب فيها اللغة العربية:

فلا تكلوني للزمان فإنني

أخاف عليكم أن تحين وفاتي

أرى لرجال الغرب عزًا ومنعة

وكم عزّ أقوام بعز لغات

أرى كل يوم بالجرائد مزلقاً

من القبر يدنيني بغير أناة

أيهجرني قومي عفا الله عنهم

إلى لغة لم تتصل بروا

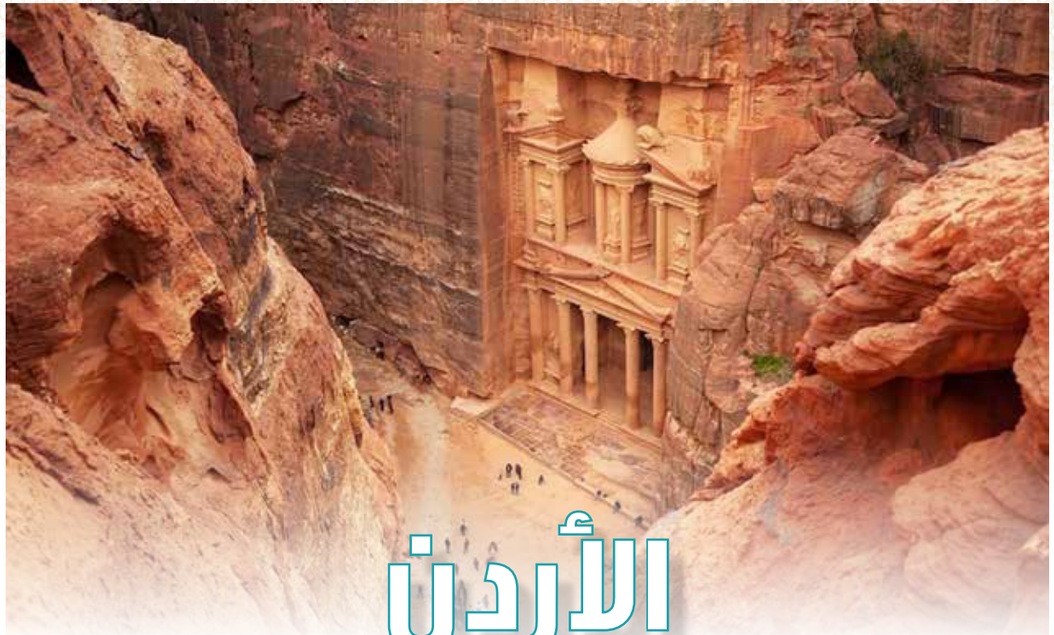

الأردن ورحلة العشرين موقعاً من التراث العالمي

شكّل الغنى الذي حباه الله المواقع التاريخية والأثرية والطبيعية للأردن دافعاً قوياً لانخراطه المبكّر في «اليونسكو»، والالتزام باتفاقياتها، والتفاعل مع أنشطة وغايات لجنة التراث العالمي فيها، باعتبار جلّ مواقعه التراثية ذا قيمة عالميّة متميّزة وأهميّة للتراث الثقافي أو الطبيعي.

خالد صالح ملكاوي
باحث وإعلامي – الأردن

إذ اختير أحدها، وهي البتراء، ليكون إحدى عجائب الدنيا السبع الجديدة عام 2007م. كما رَشّح الأردن موقع البحر الميت عام 2011م، ليكون إحدى عجائب الدنيا الطبيعيّة في نطاق البحيرات، الأمر الذي رشَّح معه الأردن للجنة التراث العالمي العديد من المواقع الأردنيّة منذ عام 1985م، أُدرِجت ستة مواقع منها على قائمة التراث العالمي منذ ذلك الحين، وسُجِّل أربعة عشر موقعاً في القائمة الإرشاديّة المؤقّتة، إلى جانب قائمة للتراث الثقافي غير المادي.

فقد كان الأردن من أوائل الدول العربية التي انضمت إلى «اليونسكو»، ووقَّعت اتفاقياتها وتفاعلت مع أنشطتها؛ فكان انضمامه في صيف عام 1950م. وتطور مكتب «اليونسكو» في عمّان في عام 1986م، ليرقى إلى مستويات إقليمية متنوعة. وصادق الأردن مبكراً على اتفاقيّة حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي لعام 1972، كما كان عضواً في لجنة التراث العالمي لسنوات عدة منفصلة.

وكانت بلدة القدس القديمة وأسوارها الترشيح الأول الذي قدّمته الحكومة الأردنيّة لمواقع التراث العالمية، حيث كانت المدينة ولم تزل تحت الإدارة الأردنيّة، وقُبِل الترشيح في نهاية عام 1981م، ثم وُضِع الموقع على قائمة مواقع التراث العالمي المعرضة للخطر في عام 1982م.

سُجِّل للأردن حتى العام الحالي 2021م، ستة مواقع في القائمة الرئيسة للائحة التراث العالمي، صُنِّف خمسة منها ضمن الفئة الثقافيّة، بينما صُنِّف الخامس ضمن الفئة المُختلطة، كما سُجِّل أربعة عشر موقعاً في القائمة الإرشاديّة المؤقّتة لمواقع التراث العالمي الأردنيّة. إلى جانب ذلك، ثمة قائمة للتراث الثقافي غير المادي في الأردن، تضم أربعة موضوعات تعبّر عن تراث المجتمع الأردني ذي الصِّبغة الثقافيّة.

مواقع التراث العالمي

رُشِّحت العديد من المواقع الأردنيّة منذ عام 1985م، وأُدرِجت ستة مواقع منها على قائمة التراث العالمي منذ ذلك الحين، في حين تأجّل ترشيح عدد آخر لأسباب مختلفة، فيما سُحِب عدد قليل من المواقع من القائمة الإرشاديّة، كما حدث مع ملف مدينة الكرك القديمة، أو اُستبدِل بترشيحات أخرى. والمواقع المُدرجة هي:

البتراء

مدينة أثريّة وتحفة معمارية تاريخية، لا مثيل لها في العالم، وأعجوبة من عجائب الدنيا السبع الجديدة، نُحتت بالصخر الوردي من قبل الأنباط منذ أكثر من ألفي عام، لتشهد على حضارات قديمة مبدعة. أُطلق عليها قديماً اسم «سلع». كما سُميت «المدينة الورديّة» نسبة لألوان صخورها الملتوية. منذ إدراجها عام 1985م ضمن مواقع التراث العالمي، وجزء كبير من جهود «اليونسكو» يتوجه إلى حماية هذا الموقع الفريد من نوعه.

قُصَير عمرة

قُصَير عمرة

حظي القصر بإدراجه ضمن قائمة اليونسكو عام 1985م، شُيِّد في عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك في القرن الثامن الميلادي، ولم يزل في حالة إنشائيّة جيدة. وقد كان يستعمل حصناً يضم حامية حربية، وكذلك مسكناً للخلفاء الأمويين، من أبرز معالم هذا القصر الصغير قاعة الاستقبال والحمام، وهما مزينان بشكل كثيف بالرسوم التعبيرية.

أم الرصاص

وهي مدينة تاريخيّة أسّسها الرومان كمعسكرات في البدء، من أجل تثبيت النفوذ، وحماية طرق التجارة، فقد بدأت معسكراً حربياً رومانياً، وتطوَّرت حتى العهد البيزنطي، واستمر الأمر كذلك حتى أوائل العهد الإسلامي. توجد في الموقع آثار لست عشرة كنيسة، بعضها لم يزل يحتفظ بأرضيات جيدة من الفسيفساء. بعد إدراجها عام 2004م، تم توطيد أركان البرج الناسك الذي كان يقيم فيه الرهبان في عزلتهم.

محميّة وادي رم الطبيعيّة

عبارة عن وادٍ سياحي، يقع بمنطقة حسمى في جنوب الأردن، أُدرجت عام 2011م. وهي منطقة صحراوية المناظر الطبيعية المتنوعة التي تتكون من مجموعة من ممرات ضيقة، وأقواس طبيعية، ومنحدرات شاهقة، وانهيارات أرضية ضخمة وكهوف، كما يوجد في الموقع أيضاً نقوش وبقايا أثرية تعود إلى اثني عشر ألف سنة من وجود الإنسان وتفاعله مع البيئة الطبيعية. وقد تم العثور في الموقع على آلاف المنحوتات الصخرية وآلاف النقوش.

المغطس

يقع شرق نهر الأردن، وهو من أقدس المواقع الدينية لجميع الطوائف المسيحية في العالم، ومن أبرز وجهات الحجاج منهم. يُعَد، وفقاً للديانة المسيحيّة، المكان الذي تعمّد به المسيح على يد يوحنا المعمدان. أدرجته لجنة التراث العالمي عام 2015م، تحت مسمى «موقع المعمودية» بيت عنيا عبر الأردن. وفي العام نفسه رُشِّح موقع الشرائع، المقابل له على الضفّة الغربيّة للنهر، ضمن القائمة المؤقّتة لمواقع التراث العالمي الفلسطينيّة.

المغطس

محميّة وادي رم الطبيعيّة

أم الرصاص

مدينة السلط

مدينة السلط

مدينة التسامح والضيافة الحضريّة، أُدرجت في صيف 2021م؛ لأهميتها في إظهار خصائص التسامح والعيش المشترك والرعاية الاجتماعية بين سكانها، فهي تتميز بالتكافل الاجتماعي بين الأسر فيها وزوارها، وبعدم وجود أحياء منفصلة على أساس ديني. يشتمل قلب الموقع الحضري للمدينة على ما يقرب من 650 معلماً تاريخياً مهماً، يعرض مزيجاً من الفن الحديث الأوروبي جنباً إلى جنب مع الأسلوب المعماري المحلي.

القائمة الإرشادية المؤقتة

لا تُقبَل الترشيحات لإدراج المواقع في قائمة التراث العالمي إلّا إذا كانت مُرشَّحة في القائمة المؤقّتة المُحتمل إضافتها إلى القائمة، فهي خطوة ضرورية لولوج اللائحة الرسمية لمواقع التراث العالمي، حسب اليونسكو، وقد حرص الأردن منذ عقدين على التقديم للمواقع الأردنيّة المُرشَحة في القائمة المؤقّتة، فبلغ عدد هذه المواقع حتى العام الحالي أربعة عشر موقعاً، هي:

قلعة الشوبك

قُدّمت هذه القلعة عام 2001م، وتقع شمال البتراء على الجانب الشرقي من وادي عربة، وقد شُيدت على قمة أحد الجبال الصخرية المخروطية المطلة على الأشجار الكثيفة والوديان التي كانت تجري فيها المياه قديماً، وهي قلعة صليبية بناها الملك بالدوين الأول عام 1115م، بهدف السيطرة على الطريق الصحراوي الذي كانت تتنقّل عبره القوافل التجارية والحملات العسكريّة بين سوريا ومصر. وشهدت القلعة توسُّعات في عهد الأيّوبيّين والمماليك.

قلعة الشوبك

القسطل

القسطل

تم تقديمه عام 2001م، وهو موقع يمثل مُستوطنة أثريّة تحوي قصراً ومجمّعاً أموياً، يضم واحدة من أقدم المآذن في العالم حتى الآن، وفيه أيضاً أقدم مقبرة إسلامية في الأردن. وكان في المنطقة بالأصل حصن روماني، ومن ثم بيزنطي، ولم تزل تضم المنطقة بعض الآثار من تلك الحقب.

ملجأ أجيوس لوط بدير عين عباطة

تم تقديمه أيضاً عام 2001م، وهو دير عبادة، كان المسيحيّون الأوائل اعتقدوا أنه المكان الذي لجأ إليه سيدنا لوط، عليه السلام، وبناته بعد تدمير سدوم. يقع هذا الدير البيزنطي في الطرف الجنوبي الشرقي للبحر الميت. يتكوّن من مجمّع رهباني يتمثّل ببازيليكا ثلاثيّة الطبقات، مبنيّة حول كهف طبيعي. وقد تم تزيين الكنيسة بأرضيّات فسيفساء منقوش عليها باليونانيّة.

بيلّا

تُعَد بيلّا أو طبقة فحل نموذجاً للعديد من العوامل التي شكّلت التاريخ البشري في أرض الأردن: الجغرافيا والمناخ، وطرق الاتصال، والتجارة الإقليمية والدولية، وتوافر الأراضي الصالحة للزراعة، المياه

بيلّا

ملجأ أجيوس لوط بدير عين عباطة

والموارد الحيوانيّة. قُدّمت ضمن القائمة المؤقتة عام 2001م، كانت بيلا مأهولة بالسكان دون انقطاع منذ ستة آلاف عام، إلّا أن معظم المباني الموجودة حالياً تعود إلى الفترات الرومانيّة والبيزنطيّة والإسلاميّة الوسطى.

قصرا بشير والمُشتّى

تم تقديمهما إلى القائمة عام 2001م، يقع الأول على بعد نحو 80 كم إلى الجنوب من عمّان. وهو حصن صحراوي نبطي، أعاد الرومان تأهيله، واستخدموه في مراقبة الطرق التجارية، ومحاربة القبائل البدوية في المنطقة. ويُعَد الثاني أكبر القصور الأمويّة في الأردن، يتميز بالطوب البرتقالي اللون، المستخدم في بنائه. معظم منحوتات القصر المُزخرفة موجودة في متحف بيرغامون في ألمانيا.

مدن حلف الديكابولس الرومانية

وهي مدن رومانية كانت تتبع حلف الديكابولس الذي يضم عشر مدن رومانية تقع في بلاد الشام. تُعتَبر جراسا أو جرش من أكثر المدن الرومانيّة المُحافَظ عليها في العالم حتى اليوم. تضم آثاراً عديدة من الفترة الكلاسيكيّة، كالمُدرّجات والبوّابات والطرق المرصوفة والمعابد وميدان ركوب الخيل وسبيل الحوريّات وساحة الندوة البيضاويّة وغيرها. تم التقديم لها عام 2004م، فيما قُدّم لكل من جدارا وأبيلا الواقعتين أقصى شمال الأردن عام 2001م. يحوي موقع مدينة جدارا على العشرات من الآثار القائمة والتي لاتزال مدفونة، وتشمل العديد من المقابر المنحوتة في الصخر بزخارف معماريّة وواجهات ونقوش يونانيّة، ومسارح وكنائس وطرق. تضم المنطقة أيضاً قرية عثمانيّة متأخرّة. وتزخر مدينة أبيلا بالمقابر الأثرية المحفورة في

قصرا بشير والمُشتّى

الصخر وباللوحات الفسيفسائية. أما أم الجمال، فقد قُدّم لها عام 2018م، وتقع في سهل حوران الجنوبي، بالقرب من مدينة المفرق، وتتميز بأروع البوابات الحجرية، كما تعرف باسم «الواحة السوداء»، وذلك لما بها من أعداد كبيرة من الأحجار البركانية السوداء.

المحميات

قدِّم الأردن عام 2007م، لثلاث محميات؛ محميّة ضانا للمحيط الحيوي، محمية الأزرق، محميّة وادي الموجب. تبلغ مساحة الأولى نحو 300 كيلومتر مربع. وهي عبارة عن مجموعة من الجبال والأودية، تمتد

المحميات

من أعلى الوادي المتصدِّع الشرقي إلى الأراضي الصحراويّة المنخفضة في وادي عربة. تُعتبر الثانية أرضاً فريدة من نوعها؛ كونها تقع في قلب الصحراء الأردنيّة القاحلة، وتحتوي على برك ومستنقعات عدة، بالإضافة إلى مسطحات طينية كبيرة، وتزورها مجموعة مُتنوِّعة من الطيور كل عام. وتقع المحمية الثالثة بمحاذاة البحر الميت، وتبلغ مساحتها نحو 220 كيلومتراً مربعاً.

الحرّة الأردنيّة

تم التقديم لها عام 2019م، وتمتد هذه المنطقة الصحراويّة البازلتيّة من جنوب سوريا عبر شمال شرق الأردن إلى شمال السعودية. تمتلئ الحرّة بعدد كبير من النقوش الصفائية، والكتابات التي نحتها البدو القدماء منذ القرن الأول قبل الميلاد، وآلاف الرسوم الصخريّة للحيوانات البريّة والمعارك، والتي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، بالإضافة إلى النقوش الإسلاميّة المبكرة.

التراث الثقافي غير المادي

تضم قائمة التراث الثقافي غير المادي في الأردن أربعة موضوعات تعبِّر عن ثقافة المجتمع الأردني، وقد قُدّم معظمها بترشيح خاص، فيما شارك بترشيح بعضها الآخر لاشتراك دول أخرى في أهمية ذلك التراث لها. وشملت القائمة فن السامر، ويتألف أساساً من الرقص والغناء، ويُؤدَّى في مناسبات مختلفة، غالباً أثناء مراسم الزواج. وشملت أيضاً المجال الثقافي لبدو البتراء ووادي رم، إذ تحيي المجتمعات البدوية التي تقطن هذه المناطق ثقافة رعوية تقليدية ومهارات أخرى ترتبط بها. كما شملت القائمة نخيل التمر الذي ارتبط بالسكان المحليين للمنطقة العربية لقرون عدة، وكان بمثابة مصدر للعديد من الحرف والمهن والتقاليد الاجتماعية والثقافية والعادات والممارسات، وشكل رئيس من أشكال التغذية. وشملت كذلك الخط العربي الذي أعلنت «اليونسكو»، منتصف شهر ديسمبر 2021، إدراجه في قوائمها للتراث الثقافي غير المادي، باعتباره رمزاً ثقافياً أساسياً في العالمين العربي والإسلامي، ويمثل قصة حضارة وإرث وثقافة.

حضارة الغوص

تراث إنساني مجيد

عرفت منطقة الخليج قبل اكتشاف البترول بما تقدمه من اللؤلؤ الثمين المستخرج من أعماقها، من خلال رحلات الغوص، ولم يكن العائد الاقتصادي أو مصدر العيش فقط المحفز الرئيس لاجتماع أبناء المنطقة لرفد تيجان الفن العالمي بالجواهر، وإنما كان تغير أسلوب الحياة لإقامة مهرجان الغوص السنوي لوحة إنسانية حقيقية، تستحق أن تدرج على قوائم التراث الإنساني، وأن تنقل للأجيال القادمة.

محمد عبدالله نور الدين
كاتب وناقد الإمارات

فقد عاش الإنسان على هذه الأرض القاحلة منذ القدم، وعلى الرغم من قلة الموارد، إلا أن الانتماء لهذه الأرض كان يؤسس لعلاقة تحدّ كبير في صراعه من أجل البقاء، ولعل الإبداع في التصرف مع هذه البيئة القاسية كان الوسيلة الوحيدة للتعايش ضمن هذه الحدود الجغرافية الضيقة، إذ إننا نجد الجبال العالية شرقاً، والرمال الشاسعة جنوباً، والخليج المشترك شمالاً، ويبقى الغرب ممراً ضيقاً للانفتاح على الآفاق الجغرافية البعيدة، وفجأة وخلال نصف قرن من عائدات اكتشاف النفط، يصل إنسان هذه الأرض إلى كوكب المريخ بمسبار الأمل، وهو قمة التطوّر العلمي الذي وصلت إليه البشرية في الفضاء، فهل من المعقول أن يكون التفكير في الانضمام إلى هذا الإنجاز البشري نابعاً من الترف ووفرة المال؟ أو هو نابع من أعماق الحضارات التي مرّت على هذه الأرض، كحضارة مجان وأم النار التي تفصلنا عنها آلاف السنين؟

هذا السؤال الجوهري يأخذني إلى حضارة حقيقية، كانت على هذه الأرض، ولا يلتفت إليها الباحثون المتشبثون بالمعايير الكمية، وهي حضارة الغوص، ولعل المعايير الكيفية تعطي لهذه الحضارة حقها من الأهمية، وتخلدها للبشرية، وإن كانت من الحضارات الصغرى التي لم يمتد تأثيرها في الجغرافيا والتأريخ، فالإنسان الذي فكّر في اختراق أعماق السماء؛ لتحقيق أهداف كمالية هو نفسه ابن الإنسان الذي غاص قبلها بعشرات السنين في أعماق البحر؛ لأجل حبات اللؤلؤ التي تعدّ من كماليات الأزياء لا أكثر. وعليه فإن القوم هم أبناء القوم، ولم تقم على أراضيهم أعلى القمم البشرية على مر التاريخ، إلا لأنهم كانوا أبناء حضارة

مبنية على التحدي والإنجاز. وبالنتيجة نحتاج إلى إلقاء الضوء على هذه المرحلة الحضارية التي لم تأخذ حقها من التدوين والدراسة الموضوعية، ففي التفسير الحضاري لنشأة الحضارة، يؤكد المؤرخ البريطاني توينبي، من خلال نظريته «التحدّي والاستجابة»، أن الإنسان كلما كانت باستطاعته مواجهة التحديات البيئية أو البشرية أو غيرها والرد عليها بفعالية، فإنه في تقدم حضاري، وعلى العكس فإن انتكاس الحضارة هو بسبب عجز الجماعة البشرية عن الرد بفعالية وقوة مناسبة للتحديات التي تواجهها. وعليه، فإن حكر الحضارات على كبرى النهضات البشرية كالإسلامية والهندية والشرق الأقصى وغيرها، تضع بقية الجهود البشرية في الظلال، ولكن إدراج الغوص على قائمة التراث البشري قد يكون أقل ما نستطيع فعله لترسيخ أهمية هذه الفترة من تاريخنا القريب في أذهان وأفهام الأجيال المقبلة.

بيّنا آنفاً ملامح الحدود الجغرافية للإمارات، التي شكّلت أبعاد التفكير لسكان هذه المنطقة الذين تناغموا مع بعضهم، على الرغم من اختلاف بيئاتهم، سواء كانت الجبلية أو الصحراوية أو الزراعية أو البحرية، وانضموا إلى رحلة محفوفة بالمخاطر هي رحلة الغوص لاستخراج اللآلئ من أعماق البحر، والمتاجرة فيها، وهم في غنى عن ذلك، إلا لسبب واحد، هو رفع مستوى معيشتهم لمواكبة التطور البشري، من خلال تقديم سلعة ذات قيمة اقتصادية، فنية، أو ثقافية، بعبارة أدق. وقبل الخوض في ذلك، فمن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن الغوص كان السبب الأهم في نشأة أنظمة إدارية اقتصادية متطورة، كحفظ السجلات، والتفاوض والبيع الآجل، والاقتراض والودائع وغيرها، وأيضاً كان الغوص هو السبب الأهم

في اختراع الأدوات والمعدات اللازمة للتعامل مع أعماق البحر، وأيضاً كان الغوص سبباً مهماً في الاستفادة لتطوير العلوم كالطب والفلك والعلوم الطبيعة، وأيضاً كان الغوص عاملاً مهماً في تقسيم التخصص العملي لأصحاب المهنة الواحدة، ولها تأثير مباشر في دخولهم، حتى ظهرت مستويات اجتماعية مختلفة للأفراد، نظراً لمستوى عائداتهم من رحلة الغوص، ونستطيع القول إن هذه الجوانب بالإجمال شكلت نهضة اقتصادية واجتماعية واضحة، أدت إلى نهضة ثقافية واضحة المعالم على العلوم والفنون والآداب، ولولا اصطدامها بالنهضة الصناعية العالمية في بداية القرن العشرين، والحروب الكونية بعد ذلك، لكنا شهدنا مخارج واضحة الملامح خلال العقود التي تلتها، وهنا نعود مرة أخرى إلى نظرية توينبي، حول سبب انتكاس الحضارة، حينما تعجز الجماعة البشرية على الرد بفعالية وقوة مناسبة للتحديات التي أصبحت تواجهها.

إن أثر الغوص في التراث المادي وغير المادي كبير جداً، وهو لا يقتصر على منطقتنا فحسب، وإنما تمتد إلى أصقاع بعيدة، عرفت الغوص، واصطياد اللؤلؤ أيضاً، ولكن ما يسترعي وقوفنا عنده هو معرفتنا العميقة بأهمية هذا التراث، وتأثيره الثقافي، كون مجتماعاتنا كانت أقل تعقيداً من كثير من المجتمعات الأخرى التي تتمتع بالموارد المختلفة، والتنوع الفكري. ولعل أول ما يستوقفنا هنا هو الأهازيج البحرية المميزة التي تعبّر عن شحذ الهمم لمواجهة التحدي الكبير الذي ينتظر المشاركين في رحلة الغوص، وإن كانت الأهازيج جزءاً لا يتجزأ من العمل والحروب في كثير من الثقافات، إلا أنها هنا جديرة بالتحليل والملاحظة، واستخراج أثرها النفسي، لما لها من امتزاج مميز بين الخطر والمهارة، وأما ما يستوقفنا بعد ذلك فهو الحياة الجديدة التي يعيشها الغاصة بالذات تحت سطح الماء، فلو استثنينا بقاء صيادي السمك تحت سطح الماء في الصيد من الميافر أو في الحضرات أو بالنيز وغيرها، فإن العلاقة القائمة بين الغيص والأعماق علاقة مباشرة، إذ لا يتأتى له الصيد من السطح، كما هو الحال مع صيادي السمك؛ لذا فإن قدر الغيص مع الأعماق قدر محتوم، لا يعرفه من لم يكن في مهمة الغوص.

إن من غاية الأهمية ألا نفقد حصيلة تراثنا في المرحلة التاريخية التي كان الغوص فيها مزدهراً أولاً، وأن ننقل هذا التراث إلى البشرية في هذه المرحلة التي نتمتع فيها بالقدرة على التسويق لثقافتنا عالمياً ثانياً، وأخيراً الاستفادة من النظام الاجتماعي الاقتصادي الذي ساد في تلك المرحلة، وخصوصاً ما كان مبنياً على التعاضد والتحدي والابتكار؛ لأن آثارها الأنثروبولوجية ممتدة إلى سنين طويلة قادمة.

علم الموسيقا العِرقيّ (Ethnomusicology)

الجذور التاريخية

إن اهتمامَ علم الموسيقا العِرقيّ بمعرفة لماذا يُنتجُ البشرُ الموسيقا، وكيف يُنتجونها، له جذورهُ التاريخية، فقد أنتجت بعضُ الثقافات القديمة أطروحات فلسفية عن الموسيقا لأنهم اعتقدوا، مثل علماء الموسيقا العِرقيّة المعاصرين، أن الموسيقا هي تعبيرٌ ثقافيٌّ مهم للغاية، له آثار كونية ودينية واجتماعية وسياسية عميقة

علي العَبْدان
مدير إدارة التراث الفني
معهد الشارقة للتراث

للعربِ القدماء تاريخٌ ظاهرٌ في العنايةِ بالإناسةِ في الموسيقا (Anthropology in Music) منذ القرن الرابع الهجريّ على أقلّ تقدير، يؤكد ذلك ما بَثّهُ الفيلسوف أبو يوسف يعقوب الكندي (ت 866 م) في رسائله الشهيرةِ حول الموسيقا في زمانه، ما يعكسُ اهتماماً معرفياً وثقافياً بشؤون الموسيقا، ويتجلّى ذلك على سبيل المثال في ملاحظاتِ الكندي حولَ تأثيرات تحويل الجنس الموسيقيّ في النفوس حزناً وطرباً، ولم يكن ذلك تنظيراً كما قد يُظن، فالعبارات التي استعملها في ذلك السياق مثل: «ولربّما أتْبعوا النغمتيْن البنصر بالوسطى في وترٍ واحد»؛ ومثل: «وإنما يستعملون ذلك في الصوت المحزون لا المُطرِب»؛ ومثل: «وقد يستعمل المُغنّون أيضاً نغمةً خارجةً عن جميع الدساتين»؛ هي عباراتٌ صريحةٌ في أنه ينقلُ عن مشاهدة[1]، ومن ذلك أيضاً ما ذكره الكندي عن اختلاف الناس في كمية ونسبة الأوتار في آلاتهم المُصَوِّتة، وما ضربه من أمثلة على ذلك من بلاد الهند وخراسان والروم فيما يُشبهُ الدراسة الموسيقية المُقارنة[2]، وبالإضافة إلى ذلك ذكرَ الإثنوموسيقيّ الأمريكيّ تيموثي رايس في مدخله القصير إلى علم الموسيقا العِرقيّ أن أعمالاً موسيقيةً «مُهمّةً» ظهرت في الشرق الأوسط في الحقبة من القرن السابع إلى القرن الثالث عشر الميلاديّيْن، وذكر رايس أنها «مستوحاةٌ من قراءة الأدب اليوناني القديم»، أي ما يختص منه بالموسيقا، وقال إن العلماء المسلمين

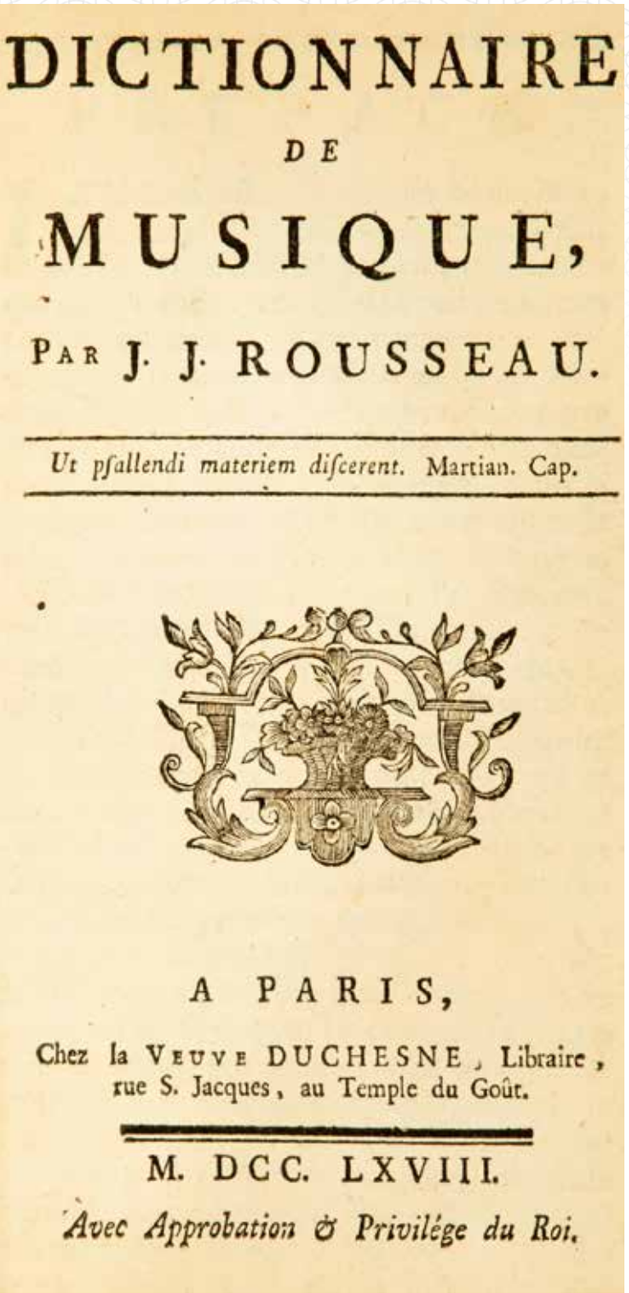
DICTIONNAIRE
DE
MUSIQUE,
PAR J. J. ROUSSEAU.
Ut pſallendi materiem diſcerent. Martian. Cap.
A PARIS,
Chez la VEUVE DUCHESNE, Libraire, rue S. Jacques, au Temple du Goût.
M. DCC. LXVIII.
Avec Approbation & Privilége du Roi.

قد جعلوا من الموسيقا موضوعاً رئيساً في موسوعاتهم ومؤلفاتهم، واستشهد على ذلك بأبي نصرٍ الفارابي الفيلسوف (872 – 951 م) الذي كتب «أطروحةً مهمةً» في نظرية الموسيقا بعنوان (كتاب الموسيقا الكبير)، كما ذكرَ رايس ما قام به أبو الفرَج الأصفهاني (897 – 967 م) من جمع مادة الكتاب الكبير (الأغاني)، وهو موسوعةٌ من أربعةٍ وعشرين مجلداً عن الممارسات الموسيقية في القرون الثلاثةِ الأولى من الإسلام، وتضمنت – على حد وصف رايس – الحكايات حول الأحداث الموسيقية، والممارسات الاجتماعية والثقافية التي تُوجِّهُ ممارسة الموسيقا والغناء، ثم وصفَ رايس تلك المؤلفات العربية القديمة بأنها «أرصِدةٌ تسبقُ الدراساتِ العِرقيةَ الموسيقيةَ المعاصرة»[3].

ومع تقديري لما ذكره رايس، إلا أن عليّ أن أُنبِّهَ إلى أن مادة كتاب (الأغاني) لا تندرجُ ضمن وصفِهِ السابق: «مستوحاةٌ من قراءة الأدب اليوناني القديم»، إذ لم يكن (الأغاني) كتابَ تنظيرٍ معتمدٍ على قواعد العلم اليونانيّ، بخلافِ عامّةِ مؤلفات الكِندي والفارابيّ وغيرهما ممن استفاد من الأصول اليونانية، فالأصفهاني نقلَ معظمَ مادة كتابهِ عن أساتذةٍ جاءت خبراتُهم العظيمة في الموسيقا العربية من المِراس الواقعيّ وليس التنظير، أولئك مثلُ مَعبَد وإبراهيم الموصليّ وإسحاق الموصليّ ونحوهم من كبار المُلحّنين العازفين.

وقبل العرب التفتَ بعضُ علماء الحضارات والثقافات القديمة إلى أهمية التفكير في الموسيقا والغناء والممارسات المتعلقة بهما، ولعلّ آراء فيثاغورس اليونانيّ (حوالي 570 – 490 ق. م) حول الموسيقا خيرُ شاهدٍ على البحث العلميّ المُبكِّر في هذا المجال، وكذلك ما كتبهُ أفلاطون (حوالي 429 – 347 ق. م) في (الجمهورية) من أن الموسيقا تؤثر في السلوك الأخلاقي، وتؤثرُ من ثَمّ في

الحياة الاجتماعية عامةً، حيث ربط أفلاطون الصفات الأخلاقية النمطية لمختلف المجموعات اليونانية الفرعية (الفريجيين، الأيونيين، والدوريين) بالهيئات الموسيقية التي يعزفونها على الأعواد والقيثارات، وخلصَ إلى أن عزف تلك الهيئات يُسبِّبُ اختلافَ السلوك، الذي يكون بعضُهُ جيداً وبعضُهُ سيّئاً، وقد يكون في هذا ما يُسوِّغُ للقادة السياسيين – أو «الملوك الفلاسفة» حسبَ التعبير الأفلاطوني – حظرَهم هيئاتٍ معيّنةً من الموسيقا بسبب تأثيرها السلبيّ على الناس، ويقول تيموثي رايس إن أدبيات علم الموسيقا العِرقيّ اليوم مليئةٌ بالحجج والمُناقشات التي تُردّد أصداءَ الإغريق القدماء حول ما إذا كانت الموسيقا تساعد في بناء أنماط سلوكية وثقافية ونفسية، أو ما إذا كانت الهياكل الاجتماعية والأنظمة الثقافية سابقة الوجود هي مُحدِّدات للأسلوب الموسيقيّ والممارسة[4].

من المُدهش أن أفكاراً تُشبهُ ما سبقَ ذكرهُ لدى اليونانيين كانت موجودةً أيضاً في الصين في الحقبةِ ذاتها تقريباً كما يقول رايس، حيث ذكرَ أن العديدَ من الرسائل الصينية القديمة تحدثت عن الطبيعة الأساسية للموسيقا في حياة الإنسان، ويُعتقد أن الحكيم الصيني "كونفوشيوس (551 – 479 ق. م) كان موسيقياً ممارساً، وكان يرى أن التدريب على الموسيقا «الصحيحة» – أي من النوع الذي يُؤدى أثناء الطقوس – يمكن أن يُنمّي صفاتٍ جيدةً في الطبقة الحاكمة، ومن ثَمّ في الدولة نفسها، في حين أن الموسيقا الترفيهية سيكون لها تأثيرٌ سلبيّ. في السياق نفسِهِ ابتكرَ الصينيّون فكرة تثبيت النغمة، أي ضبط الصوت على عددٍ معيّنٍ من الاهتزازات في

الثانية، ولعلهم أولُ مَن ابتكرَ ذلك، والسببُ في تثبيت النغمات أنهم كانوا يعتقدون أن الألحان التي تستعملُ هذه النغمات المُثبَّتة أساسيةٌ جداً في الأداء السياسي والاجتماعي، إلى درجةِ أنه عندما تتولى سلالةٌ جديدةٌ السلطة، فإنها تُعيدُ ضبطَ نغماتِ الموسيقا لتُثبِّتَها على مستوياتٍ جديدة[5].

يمكنُ الحديثُ أيضاً عن ثقافاتٍ أخرى قديمةٍ عُنِيَت بطبيعة الموسيقا وتأثيرها في الإنسان والمجتمع، مثل بيزنطه والهند، ففي أوائل العصور الوسطى، اعتقد القدّيس أوغسطين (354 – 430) أن ممارسة الموسيقا كانت وسيلةً للبشرية للوصول إلى ما وراء الدنيوية، بغرض التأمل في الألوهية، كما قام الكاتب الروماني بوثيوس (480 – 524) بتوضيح وشرح الأفكار اليونانية حول الموسيقا في كتابه الموسيقيّ المكوّن من خمسة مجلدات، بما في ذلك فكرة أن الأداء الموسيقيّ له آثار أخلاقية، وفي الهند، بين القرنين الرابع والثالث عشر الميلاديّين، وُجدت أطروحاتٌ ميتافيزيقية المنشأ حول مصادر الطاقة الإبداعية الكامنة في الاهتزازات الصوتية، والعلاقة العاطفية بين الهيئات اللحنية واستعمالاتها في المشاهد المسرحية، لمرافقة حالاتٍ مزاجيةٍ أو أفعالٍ معينة[6].

من جانبٍ آخَر وجد علم الموسيقا العِرقيّ بعضَ جذورهِ في الاستعمار والإمبريالية في القرون الأخيرة، وكذلك في التنوير الذي كان يتعلق بأمور، من بينها اكتساب المعرفة العالمية غير المقيدة بالعقيدة والتقاليد، ففي ظلال الأمور المذكورة اهتمّ بعضُ الأوربيين بموسيقات الشعوب المُستعمَرة ونحوها، وربما كان السير ويليام جونز (1746 – 1794م) وهو قاضٍ استعماريٌّ إنجليزيّ في المحكمة العليا في كلكتا، أولَ أوروبيّ يكتب عن موسيقا الهند التقليدية، ومن الأمثة أيضاً جهود رائد علم الموسيقا التاريخيّ، الإنجليزي تشارلز بورني (1726 1814 م)، الذي سافر إلى القارةِ الأمريكية، وكتب عدداً من الكتب التي يمكن اعتبارها، بمصطلحات اليوم، إثنوغرافيا الحياة الموسيقية هناك، وفي فرنسا القرن الثامن عشر ظهرت بعضُ الأعمال في هذا السياق، منها (معجم الموسيقا – Dictionnaire de musique) لجان جاك روسّو (1778 1712 م) الذي قدّم فيه تدويناتٍ لموسيقا سكان أمريكا الأصليين، وللموسيقا الصينيةٍ أيضاً[7]، وهكذا أخذ الأمر ينتشر كلما توسّعت حركات الاستعمار والإمبريالية، ومع مجيء الاستعمار إلى البلدان العربية، وجدت الموسيقا العربية نوعاً من الاهتمام المعرفيّ الأوروبيّ من حيث محاولة التدوين والفهم، يتمثل ذلك في محاولة بعض علماء الموسيقا الفرنسيين تدوين الموسيقا المصرية أثناء حملة نابوليون بونابرت على مصر (1798 – 1801)، وفيما يظهر كانت هذه المرة الأولى التي تُدوّنُ فيها نماذج من الموسيقا العربية التي تضمُّ في نظامها الموسيقيّ نغماتٍ من ثلاثةِ أرباع الدرجة.

1– مؤلفات الكندي الموسيقية، ت. زكريا يوسف، منشورات الجمل، بغداد – بيروت 2009، ص 151.
2– المصدر السابق، ص 87 – 88.
3– Timothy Rice, Ethnomusicology- A Very Short Introduction, Oxford University, Press 2014, Page: 13
4– المرجع السابق، ص 11 – 12.
5– نفسه، ص 12.
6– نفسه، ص 12 – 13.
7 – نفسه، ص 13 – 14.

هذه الصفحة تتناول حضور الحيوان في التراث الثقافي الإنساني الحضاري والديني واللغوي والأدبي، وارتباطه بحياة الإنسان ومعتقداته وتصوراته وأساليب حياته.

الإبل في التراث الأدبي (الشعر العربي)

علي أحمد المغني
باحث في التراث الثقافي – الإمارات

حظيت الإبل عبر التاريخ بمكانة خاصة عند الإنسان العربي، خاصة عند ساكني الصحراء العربية، ولا يخلو الأدب العربي بأقسامه المختلفة من ذكر الإبل، إذ وصلنا منه كثير من أدب العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام والعصرين الأموي والعباسي، وحتى وقتنا الحاضر، فنُسجت حولها كثير من الحكايات والقصص التي تناقلتها الأجيال.

كذلك كان للشعر العربي النصيب الأوفر في احتلال الإبل، فمن النادر أن تخلو قصيدة من ذكر الإبل وصفاتها وألوانها وغيرها، فأبدع الشعراء العرب في قصائدهم، وقاموا بتوظيف الإبل وربطها بجانب مهم من حياتهم، أو مطلب من مطالبهم الأخرى، مثلما يتعلق بالمحبوبة أو بطولاتهم ومآثرهم، أو كذلك ما يتعلق بشؤون القبيلة،

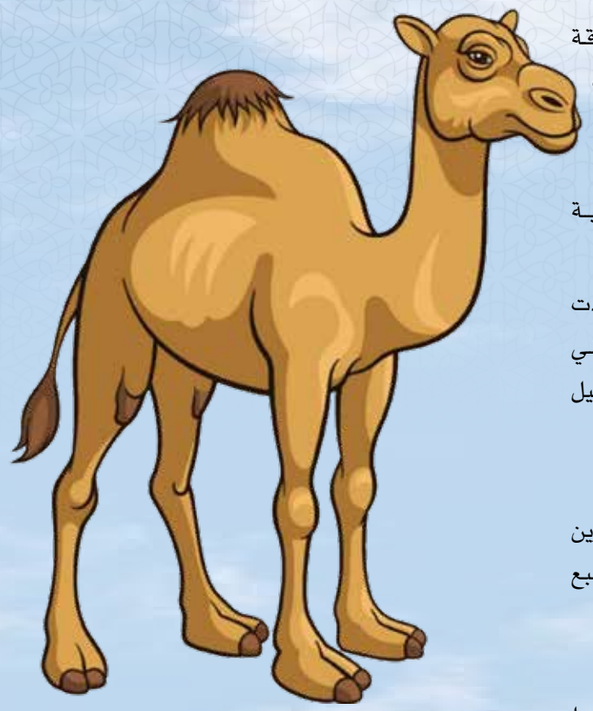

والنسب والحرب وغيرها. وذلك نتيجة للمكانة المرموقة والأهمية الكبيرة التي احتلتها الإبل في حياة مجتمعات تلك العصور، ومازالت حتى عصرنا الحاضر، وقد يتعجب المرء عندما يرى أن الأبيات الشعرية التي قيلت في الناقة في المعلّقات الكبرى لشعراء الجاهلية أكثر من الأبيات التي قيلت تغزلاً في المرأة.

وسنذكر في هذه الصفحات بعض الأبيات التي وردت في قصائد شعراء الجاهلية والعصور الإسلامية والتي شكل موضوع الإبل فيها جزءاً رئيساً، ومنها على سبيل المثال:

امرؤ القيس:

الشاعر امرؤ القيس، وهو من الشعراء المشهورين في العصر الجاهلي، وأحد أصحاب المعلقات السبع المعروفة، يقول الشاعر في وصف (الذلول):

فدع عنك ذا وسَلِّ الهمَّ عنك بجسرةٍ
ذَمولٍ إذا صام النهار وهجَّرا
تُقطع غيطانا كأن متونها
إذا أظهرت تُكسى مُلاءً مُنَشَّرا
بعيدةِ بين المنكبين كأنها
ترى عند مجرى الضَّفر هِرًّا مُشجَّرا
تطاير ظِرَّان الحصى بمناسم
صلاب العُجي مثلومها غير أمعَرا
كأن الحصى من خلفها وأمامها
إذا نجلته رجلها حذفُ أعسرا
كأن صليل المَروِ حين تشدُّه
صليلُ زُيوفٍ يُنتقدن بعبقرا

والشاعر في هذه الأبيات يقول أزح عنك الهموم بذلول ذومالها (جريها) يبعد الهم عنك في منتصف قيلولة النهار، وقطعها للسهل والوعر بهذه السرعة يُسليك عن هم الطريق، كذلك يصفها بقوله: إنها بعيدة بين المنكبين، فكلما يزيد جريها يتطاير الحصى عن مناسمها، وتسمع لمرو (حصى أبيض صلب)، عندما يتطاير له صليل مثل صليل النقود.

طرفة بن العبد:

وخصص الشاعر طرفة بن العبد في معلقته، وهو من أصحاب المعلقات، وأحد الشعراء المرموقين في الجاهلية أبيات يصف فيها ناقته وصفاً جمالياً، حيث يقول:

وإنّي لأُمْضِي الْهَمَّ عندَ احتضارِهِ
بعَوْجَاءَ مِرْقالٍ تروحُ وَتَغْتَدي
أمونٍ كأَلْواحِ الإرانِ، نصأْتُها
على لاحِبٍ، كأنّه ظهرُ بُرْجُدِ

جماليةٍ وَجنـــاء تـردي كـأنهـا
سَـفنَّجـة تبـري لأزعـر أربـدِ
تُبارى عِتاقاً ناجيـاتٍ وأتْبعتْ
وظيفاً وظيفـاً فـوق مـورٍ مُعبّـدِ
تربّعت القُفّينِ في الشّوْلِ ترْتعِي
حـدائـقَ مـوْلـيّ الأَسـرِ أغْيَـدِ
تـريـعُ إلى صوْتِ المهيبِ، وتتّقـي
بـذي خُصلٍ، رَوعاتِ أكلَف، مُلْبَـدِ
كـأنّ جنـاحيْ مضْرحَـيّ، تكنّفـا
حفافيْه، شُكّا في العسيبِ بمسْرَدِ

في هـذه الأبيـات يصـف الشـاعر طرفـة بـن العبـد ناقتـه بالقـوة والسـرعة والضخامـة وتصلـح للسـباق، بـل تبـاري عتـاق النـوق، وهـي ناقـة توافـر لهـا الربيـع النامـي والحدائـق، فـكان ذلـك سـبب سـمنتها، وهـذا وصـف إجمالـي رسـم بـه طرفـة بـن العبـد صـورة عامـة للناقـة علـى وجـه الإجمـال. فالعوجـاء هـي الناقـة التـي لا تسـتقيم في سـيرها لفـرط نشـاطها، والإرقـال وهـو بـين السـير والعـدو، وقـد خـص العوجـا؛ لأنهـا نشـيطة في سـيرها، فقـد اعتـادت السـفر، فهـو أصبـر لهـا وأمضـى، وهـذه الناقـة السـريعة توصـل الليـل مـع النهـار في قولـه «تـروح وتغتـدي»، وقولـه «أمـون كألـواح الإران نصأتهـا»، الأمـون هـي الموثقـة الخلـق التـي يؤمـن عثارهـا، ونصأتهـا؛ أي زجرتهـا، وأصلـه أن تضـرب بالمنسـأة؛ أي العصـا، واللاحـب هـو الطريـق البـين الواضـح الـذي أثّـر فيـه المشـي، والبرجـد كسـاء مخطـط، فشـبّه الطرائـق التـي في الطريـق بطرائـق البرجـد. والجماليـة هـي الناقـة التـي تشـبه الجمـل في وثاقـة الخلـق، والوجنـاء المكتنـزة اللحـم، وتبـاري أي يفعـل هـذا مثـل مـا يفعـل الآخـر، والعتـاق هـي الكـرام والناجيـات هـي السـريعات، وقولـه «أتبعـت وظيفـاً وظيفـا»؛ أي اتبعـت هـذه الناقـة وظيـف رجلهـا، وظيـف يدهـا، وهـو ضـرب مـن السـير يعـرف بالمناقلـة والنقـال، وقولـه «تربعـت القفيـن»؛ أي رعـت الربيـع فيـه والقفّ مـا ارتفـع مـن الأرض، ولـم يبلـغ أن يكـون جبـلاً، وفي قولـه «تريـع إلـى صـوت المهيـب»؛ أي ترجـع وتعطـف إلـى صـوت الفحـل المهيـب، والخصـل هـو شـعر الذيـل، والأكلـف الـذي يشـوب حمرتـه سـواد، والمعنـى إذا أتـي الفحـل وراعهـا بهديـره، اتّقتـه بذنبهـا ورفعتـه تريـه أنهـا لاقـح، وقولـه «كأنـه جناحـي مضرحـي» فيـه تشـبيه بجناحـي نسـر مضرحـي، وهـو الأحمـر الـذي يضـرب إلـى البيـاض مـن النسـور.

عنترة بن شداد:

فـارس عبـس الشـاعر عنتـرة بـن عمـرو بـن شـداد العبسـي، الـذي لطالمـا طـاول الركـوب علـى الفـرس ليحقـق انتصـاراً سـريعاً حاسـماً، وهـو القائـل لأبيـه حـين قـال لـه: يـا عنتـرة، كُـرّ، فـردّ عليـه قائـلاً: إن العبـد لا يحسـن الكَـرّ، وإنمـا يحسـن الحِـلابَ والصـرّ! ويبـدو مـن جـواب عنتـرة أنـه المتمـرد علـى العبوديـة، وعلـى رعـي الإبـل، والقيـام بمـا يلزمهـا مـن حلـب وصـرّ وغيرهـا مـن شـؤون الإبـل، وكانـت القبيلـة في حاجـة إلـى بطولتـه، فقـال لـه أبـوه: كُـرّ وأنـت حُـرّ، أمـا عـن معلقتـه فقـد عايـره رجـل مـن بنـي عبـس، وذكـر سـواده فسـبه عنتـرة وفخـر عليـه، وقـال فيمـا قـال: إنـي لأحضـر البـأس، وأوفي المغنـم، وأعـف عنـد المسـألة، وأجـود بمـا ملكـت، قـال لـه الرجـل: أنـا أشـعر منـك، قـال: سـتعلم ذلـك، فأنشـأ عنتـرة معلقتـه الشـهيرة، التـي بـدأ فيهـا بذكـر عبلـة، وبعـد دارهـا، وفيهـا يقـول:

هل غادر الشعراء من متردم
أم هل عرَفْت الدار بعد توهُّمِ
يا دار عبلـة بـالجَواء تكلمي
وعِمي صباحاً دار عبلة واسلمي
فوقفت فيها ناقتي وكأنهـا
فدَنٌ لأقضي حاجـة المتلـومِ

وتمنـى أن تكـون عنـده ناقـة وصفهـا بصفـات خاصـة، لتبلّغـه إلـى دار عبلـة التـي قـال فيهـا:

هـل تبلغنّي دارهـا شـدنيّةٌ
لُعِنتْ بمحْرُومِ الشّرابِ مُصرّمِ
خَطّـارةٌ غِبّ السُّرى زَيَّـافـةٌ
تطِسُ الإكامَ بذاتِ خُفّ ميثمِ
وكأنّمـا تطس الإكامَ عشـيَّةً
بقـريـبِ بينِ المنْسـمينِ مُصلّمِ

يتبـين مـن الأبيـات صفـات ناقـة الفـارس الـذي يريـد أن تبلغـه دار محبوبتـه، وهـي ناقـة تنسـب إلـى أصـل كريـم، وهـو شـدن موضـع أو قبيلـة في اليمـن تنسـب إليـه الإبـل، وهـو يدعـو عليهـا بـألا تحمـل، وأن ينقطـع لبنهـا لتكـون أقـوى وأكثـر صلابـة علـى تحمـل مشـاق الأسـفار، وفي قولـه «خطـارة غـب السـري زَيَّافـةٌ»، ويقصـد بخطـارة كثيـرة التحريـك لذنبهـا ورفعـه فتضـرب بـه جانبيهـا، وزَيَّافـةٌ؛ أي متبخترة في مشـيها، تطـس؛ أي تضـرب الإكام مـا ارتفـع مـن الأرض، خـف ميثـم أي شـديد الوطـئ، وهنـا وصـف لسـرعتها.

يتبع،،،،

1- أبـي عبـدالله الحسـين بـن أحمـد الزوزنـي، شـرح المعلقـات السـبع، (لجنـة التحقيـق في الـدار العالميـة)، بيـروت، 15 ربيـع الثانـي 1413هـ - 12/ 10/ 1992م؛ علـي محمـد الحبرتـي، الإبـل، (دار الحبرتـي للنشـر والتوزيـع)، الخبـر، المملكـة العربيـة السـعودية، ب. ت؛ فاطمـة مسـعود نايـع المنصـوري، الإبـل في الإمـارات، ط2، (نـادي تـراث الإمـارات، مركـز زايـد للدراسـات والبحـوث)، أبوظبـي، 1439-2018.

مَـرَاوِدْ الحيوان في التراث الإنساني

مُؤلِفُها خَاطبَ ثلاث فئات:
«شاهندة».. تراثُ العبُوديَّة حين يغدو نَصّاً أَدبيّاً

خالد عمر بن ققة
إعلامي – الجزائر

للتراث حضورٌ في النصوص الأدبيَّة ـ شعْراً ونثْراً ـ يُجَمِّلُها وجوداً، ويَرْوِي تجارب البشر من خلال شخوصها، والتعبير عن العلاقات والأفعال والقيم، ويُشكّل بُعْداً معرفيّاً تطوى فيه الأزمنة طيّاً، من حيث الرجعى والصدى، ويعيد تعمير الأماكن، سواء أكانت أطلالاً في الذاكرة، وفي الواقع، أم كانت متواصلة في رحلة الحياة، حيث استحضار التأسيس في الرّاهن، وفي النهاية تعدُّ النصوص موروثاً ثقافيّاً حيّاً، قد يُسْهم في متعة المطالعة، ويُضْفي ويضيفُ لنا مزيداً من المعرفة.. هنا قراءة في رواية «شاهندة».

دراسات كثيرة ـ نقديَّة واحتفائيَّة ـ تناولت رواية «شاهندة» للكاتب الإماراتي راشد عبدالله، عمَّقت وَعْينا بأسبقيَّتها عن أعمال أخرى لحقت بها، وكشفت عن ميلاد إبداع يؤرخ لأحداث محليَّة، ظلَّت تتوارى مع الأيام لتختفي بعد ذلك نهائيّاً، نتيجة لصيرورة حركة التاريخ في العالم من جهة، وتكيف الوطن ـ الإمارات

ـ معها من جهة ثانية، في رسالة هي أقرب للتّبليغ بتشكُّل وعي حضاري مساند للتطور المدني والعمراني، المصحوب بانتقال المجتمع من حياة البداوة إلى المدنيّة، ومنها إلى العالم الرحب، حيث الذهاب إليه، ومشاركته في كثير من قضاياه ضمن استعياب كلّي للتراث.

لقد تحولت رواية «شاهندة» مع الوقت إلى تراث أدبي، تمّ التأسيس عليه لنصوص أخرى اقتفت أثره مع صمود ملحوظ على مدى خمسة عقود، ليغدو عمر الرواية من عمر الدولة، مع أنها تروي أحداثاً ماضية، أهمها تجارة الرقيق، التي لها جذورها في التاريخ الإنساني، والعربي، والمحلي أيضاً.

وظهور رواية «شاهندة» في مطلع سبعينيات القرن الماضي، كانت بداية لـ«تأريخ» المنطقة كلها ـ وليس الإمارات فقط ـ من خلال نصوص أدبية، بحيث ينوب الأدب عن التاريخ، لكن هذا لا يعني أبداً أنها «رواية تاريخيَّة»، وإنما تستند في طرح أحداثها وشخوصها إلى وقائع حدثت، من خلال تدفق وحدوث الفعل البشري في مسار حركة الحياة.

والرواية ـ كما ذكرنا من البداية ـ تتحدث في سياق درامي عن تجارة الرقيق ونتائجها، وتأثيرها في العلاقات الأسرية والاجتماعية، وما يتبعها من كراهية وانتقام، من خلال الحديث عبر بطلتها «شاهندة»، الفتاة الفائقة الجمال التي بِيعَت مع أبيها «شهداد» وأمها «حليمة».ومع أن أحداثها تتناول الماضي لجهة طرح الحقائق والظواهر ـ في خصوصيتها وعموميتها ـ بغض النظر عن رفضها وقبولها، إلا أنها جاءت مُحمَّلةً بطعم الخيال، حتى إنه يظهر ـ مجاهراً ـ بتأثيره في ذهن القارئ، ويدفعه إلى تصور أحداث الرواية، وهو أقرب إلى المعايشة، لكنه لا يجبره أو يرفض عليه تعاطفاً مع حالة الضَّنك والعوز بمقتضيات الرّاهن، وإن كان يضعه أمام سؤال مهم: ماذا لو كانت العبودية لاتزال قائمة إلى الآن، ضمن تدافع البشر في هذا الحيز الجغرافي، حيث حياة الناس بين البحر واليابسة؟ وإن تعمَّق أكثر في محاولة البحث فسوف يتساءل حتماً: كيف عادت العبودية من جديد في منطقة فرضها عليها اختيارها الديني أن تكون سبّاقة إلى تحرير البشر؟

هنا نصرح بأن رؤية القارئ هذه الرواية، حتى لو كان ناقداً، لجهة إقراره، بحضور الخيال فيها، تختلف عن تصنيف مؤلفها راشد عبدالله، الذي يقر بأنها رواية واقعية، وذلك بقوله: «قصتي هذه تتبع من واقع عشناه.. عشناه بين حبات الرمل المحترقة، في حياة جافَّة وقاسيَة»، وبالتأكيد فإن المؤلف يقصد واقعاً مجتمعيّاً كان قد بلغ النهايات، بل دخل مرحلة جديدة مختلفة عن تلك التي ورثها من الماضي البعيد.

وتعدُّ هذه الرواية المكتملة شكلاً وتكنيكاً ـ كما يرى النقاد ـ نصّاً مفعماً بالحيوية، يحمل بعداً مؤثراً في مجرى الحياة العامة، ونقصد به العبودية، حتى لو كانت نتاج الجوار الإقليمي، أو عاش سكان المنطقة في نطاق تداعياتها، وما ترتّب عليها علاقات كانت معادية للحرية، دون أن تفقد حضورها الإبداعي على مدى خمسة عقود؛ أي منذ نشرها المرة الأولى عام 1971م.

وإذا كان يحقُّ لنا أن نعيد قراءتها من زاوية تراثيّة، فذلك لأنها تعدُّ مرجعيَّة من ناحية الرِّيادة االروائيّة في الإمارات، سواء من جهة السَّبْق الزّمنيّ، أو من ناحية الجهد الفنيّ للروائي راشد عبدالله، الذي جعل هذا النصّ الروائيّ يعمّر إلى وقتنا هذا، بل يؤرّخ للرواية في الإمارات انطلاقاً منه، وبهذا المعنى فإنها رواية تراثية بامتياز من ناحيتين، الأولى: كونها تروي لنا تفاصيل العلاقات الاجتماعية ضمن ثقافة سائدة في الماضي، لم تكن تشي برِفْض للمنْطق السائد، ولا تسعى لتكسير أغلال العبودية، بل إنها تحاول التكيف معها لأجل البقاء، ما يعني طغيان الوجود الفيزيقي عن الحرية.

والناحية الثانية، هي أن الرواية ذاتها تراثيّة، من ناحية تاريخ نشرها أوَّلاً، والتأسيس عليها ثانياً، ودراستها

النقديَّة ثالثاً، وتلتقي هذه الناحية مع الأولى، ما يجعل قراءتها باعتبارها نصّاً تراثياً مسألة في غاية الأهمية، خاصة أنها تتخطى الوصف لحياة خلت إلى كشف عنها تسجيلاً وتِبْيَاناً.

لقد كشفت الرواية عبر أحداثها وشخُوصها، وبُعْديْها الزماني والمكاني، وفضائها الجغرافي، قسوة الحياة، خاصَّة في الشق المتعلق بتجارة العبيد، حيث تبرز حاجة النَّاس وأسلوب عيشهم على ساحل الخليج العربي، مما يُعْطيها أهمية خاصّة في تراثنا الأدبي الإماراتي، والعربي، وحتى العالمي، إذا ما قُرِئَت من زاوية الفعل المعبر عن الإنسان أينما وجد.

وفي هذه الرواية يبدو الحديث عن الجغرافيا وعلاقتها بالبشر حاضراً، فالبطلة شاهندة من الساحل الآخر ـ لا يذكره الكاتب أو يعرفه ـ يتم اسْتعْبَادها في رحلة بحثها عن الرزق هي ووالديها، في قرية الحيرة بالساحل العربي، الذي يعاني الفقر، وإليه ترجع العبودية باعتبارها من طبائع تلك المرحلة التاريخية، دون أن تظهر الرواية نفوراً أو رفضاً اجتماعيّاً لها، بل تقدمها كعمل مشروع.

هنا يطرح السؤال الآتي: هل بيئة الساحل العربي كانت منطقة جاذبة لتجارة العبيد.. أم أنها منطقة حماية يهرب إليها العبيد من الرق، وما حدث ـ كما هو في هذه الرواية ـ يعد حالة عابرة، لا يمكن القياس عليها؟ إجابة هذا السؤال تتطلب بحثاً تاريخيّاً مفصّلاً، نتائجه ـ إن توصّلنا إليها ـ ستُسَاعدنا اليوم على فهم العلاقات الدولية المستعصية والمضطربة والمتوترة في المنطقة.

بعيداً عن الغوص في الخلفيَّة الثقافية والمجتمعيَّة لتلك المرحلة بخصوص العبودية، فإنها لا تخلو من التعابير عن مشاعر إنسانية جيّاشة، هي وإن عبّرت عن العواطف، إلا أنها مرتبطة بها بل تأتي نتيجة لتلك الحياة العامة، والمصاحبة لعلاقات البشر حسب نمط عصرهم المحدد ـ في الغالب ـ لأفعالهم.. هنا نذكر أن بطلة الرواية «شاهندة» جمعت في فعلها بين رغبتها في متعة الجسم مصحوبة بقيمة إيجابية هي الحب، وأخرى سلبية هي الانتقام، ولكنها في المحصلة نتاج الظلم الذي وقع عليها من محمد بن النخاس، والذي تمكنت من الانتقام منه في نهاية الرواية.

وعلى طوال هذا النص الروائي، ظل الراوي يتابع خيانات شاهندة كما هي، دون تدخّل منه في مساحة المباح والممنوع، أو الحلال والحرام، الذي يحدد السلوك الجنسي في المجال الذي تدور فيه أحداث القصة، والمقصود هنا الإمارات.

والرواية في مجملها هي كما يقول المؤلف راشد عبدالله: «شاهندة.. قصة النفس الإنسانية حين تسمو إلى الذروة، وحين تنحدر إلى القاع»، وهو توَجَّه بها إلى جميع القرَّاء، لكنه خصُّ بالذكر ثلاث فئات، الأولى: «الجيل الحالي الذي يبني بقوة سواعده بلداً عظيماً، فتمده بالعزيمة الصادقة والأمل الطامح». وهو هنا يقصد الجيل الذي كان موجوداً عند صدور الرواية في طبعتها الأولى عام 1971م.

والفئة الثانية: «الأجيال القادمة لتكون لهم نافذة يطلون منها على حياة آبائهم وأجدادهم، فتملؤهم بالعزة والثقة»، وربما يقصد الكاتب كل الأجيال الإماراتية بما فيها تلك التي تأتي بعد عام الخمسين، وإلى ما شاء الله من عمر دولة الإمارات.

والفئة الثالثة: «القادمون إلى الإمارات.. العابرون على ضفاف خليجنا لتكون لهم دليلاً هادياً ورفيقاً مُعِيناً»، وكأن الكاتب هنا يود أن يكون للعابرين ذاكرة معرفيّة لتاريخ وتراث وثقافة المنطقة.

وإذا نظرنا إلى رواية شاهندة، من زاوية أنها تحمل أبعاداً تراثية، وأنها هي أيضاً تراث أدبي إماراتي للعقود الخمسة الماضية، فلا ريب عندها أن نراها من ناحية توجيه الخطاب الأدبي للفئات الثلاث ـ كما ذكر المؤلف ـ إبداعاً تراثيّاً يعتمد الماضي ليتوجَّه نحو المستقبل.

بونابارت في حملته على مصر 1897م (عمل جان ليون جيروم عام 1863م)

قصة المناضل الصغير:

رواية دينون.. مؤرخ الحملة الفرنسية على مصر 1798م

د. حمادة محمد هجرس
مدرّس الآثار الإسلامية بكلية الآثار
جامعة الفيوم (مصر)

زخر تاريخنا العربي بنماذج رائعة من الأطفال الذين ضربوا أروع الأمثلة في الجَلَد والمسؤولية، وتحمّل أعباء الظروف السياسية والاقتصادية، وكانوا مضرب الأمثلة في الشجاعة والإقدام، وعليهم ينطبق المثل الشعبي الدارج (صبي بمائة رجل). من هنا يطيب لي أن أسرد عليكم قصة صبي مصري لأسرة ريفية بسيطة، كانت تمتهن الزراعة، وكانت تتكسب منها ما يقيم حياتها.

تدور أحداث القصة في قرية بجوار قرية البرانقة، التابعة لمركز ببا بمحافظة بني سويف، وتبعد 150 كلم جنوب القاهرة. لم يركن بطل قصتنا كغيره من الأطفال إلى عاداتهم اليومية، كاللعب أو الدراسة في الكتاتيب التي كانت ومازالت منتشرة في أرجاء القطر المصري، بل تقدم الصفوف الأولى

بورتريه لفيفيان دينون (عمل روبرت لوفيفر، محفوظة في المتحف الوطني لقصر فرساي بفرنسا)

في الفعاليات والأنشطة الوطنية، والمواجهات مع المستعمرين الفرنسيين.

تدور أحداث هذه القصة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، حيث شهدت تلك الفترة صراعاً عسكرياً وسياسياً بين فرنسا وإنجلترا، القوتين العظميين آنذاك، فقام الفرنسيون بإرسال حملة عسكرية على مصر والشام عام 1798م، قادها نابليون بونابرت، وكانت المنطقة العربية حينئذٍ ولايات تابعة للدولة العثمانية، وكانت منهوبة خيراتها، ضعيفة عساكرها، قليلة عماراتها، وأرادت فرنسا من وراء حملتها الدفاع عن المصالح الفرنسية، ومنع إنجلترا من المقدرة على الوصول لمستعمراتها في الهند.

رافق المؤرخ فيفيان دينون (1747–1825م) الحملة الفرنسية على مصر، التي كانت بالنسبة إليه «رحلة استكشافية»، فوجد فيها فرصة لجمع المواد لأهم أعماله الأدبية والفنية، ضمن لجنة العلوم والفنون في الحملة، وكان مسؤولاً عن رسم ووصف الآثار في مصر.

نزل بونابرت برفقة قواته في ثغر الإسكندرية في الأول من يوليو 1798م، ووصلت القوات الفرنسية إلى دمنهور بعد خمسة أيام، وأكملوا مسيرهم صوب العاصمة، القاهرة.

ورافق المؤرخ دينون الجنرال دوزيه إلى صعيد مصر، ورسم العديد من الرسومات التخطيطية لآثار الفن المصري القديم، وينسب إليه مؤلفات عدة، أهمها كتابه «رحلة في الوجه البحري والصعيد بمصر»، ونُشر للمرة الأولى عام 1802م، وخضع لأربعين إصداراً خلال القرن العشرين، وفيه سرد لنا قصة بطل قصتنا، الطفل المصري المناضل.

أثناء مطاردة الفرنسيين للمماليك بقيادة مراد بيك الذين فروا إلى صعيد مصر، وبعد نجاح الفرنسيين في السيطرة على الفيوم، اتجهوا في أثر المماليك، وانتقلوا من الفيوم إلى بني سويف، وهنا تبدأ الحكاية. قدم دينون، راوي القصة، صورة معبرة عن حال القرى المصرية التي شهدت القتال ضد الفرنسيين، ويرسم بكلماته لوحة فنية للقرية المصرية التي أنهكتها الفاقة والعراك، وفي هذا يقول «تركنا الفيوم في 17 ديسمبر 1798م، وكان المشهد رائعاً، وكل شيء يدعو إلى الفرح والأمل، غير أننا شعرنا بالحزن لرؤية أرض غير مزروعة، وقرية مهجورة، كم عدد الأفكار الكئيبة المدرجة في صمت الليل، وإهمال الثقافة وأنقاض مساكن الإنسان، ويظهر الفلاحون بشكل خفي فقط في مساكنهم، والتي تحولت إلى أوكار للصوص، وهكذا فإن قرى بأكملها، عندما أصبحت ملجأ الجريمة، لا تقدم للركاب أي وجهة نظر أخرى غير الحقول المهجورة، والأنقاض، والصمت، والخراب».

ثم يستطرد قائلاً عن قرية البرانقة، إحدى قرى مركز ببا، بمحافظة بني سويف «وصلنا إلى البرانقة قبل ساعة من الليل، وخرجنا منها في استراحة النهار في صباح اليوم التالي. تناولنا طعام الإفطار في ببا، وهي قرية كبيرة، لا يوجد فيها شيء رائع... هنا تقترب سلسلة التلال العربية من نهر النيل؛ لتترك فقط شريطاً ضيقاً من الأرض الخضراء بين الاثنين. في ميريل غويدي، أخرتنا حوادث عدة، حدثت لعربات قطعنا الميدانية في نقلها عبر القنوات: علمنا أن المماليك كانوا في الفشن».

في هذه الأثناء كان الطفل البطل يتسلل إلى صفوف ومعسكرات الحملة الفرنسية المرابطة قرب قريته في أول ليالي وجودها، ويأخذ ما يستطيع حمله من سلاح وغيره. في الليلة التالية تم اكتشاف اختفاء الأسلحة من المعسكر، ولهذا تم تشديد الحراسة والمراقبة في المعسكر. وقد أسفرت المراقبة على رصده، فطارده جندي فرنسي حتى أصابه بالسيف في ذراعه، ونجح في أسره والإمساك به، وتم عرض الأمر على الجنرال دوزيه، الذي أمر باستقدامه للمثول أمامه، والوقوف بين يديه ليقوم باستجوابه. في هذا السياق يقول دينون «بينما كنا ننتظر تحت الظل، جاء مجرم أمام الجنرال دوزيه، وقال الذين أتوا به: هذا الطفل سارق، وقد سرق بعض الأسلحة من المعسكرات الفرنسية، وتم القبض عليه متلبساً بجريمته».

ينتقل دينون ليصف لنا ملامح هذا الطفل الملائكي، موثقاً حداثة سنه، وجمال خلقته، ولا يُخفي حقيقة مشاعره تجاهه، وإعجابه الشديد بثباته، وسمت شخصيته وكبريائه

الريف المصري قديماً

الذي استثار حواس كبار الحاضرين من القادة والجنرالات، حيث يقول دينون عن هذا الموقف: «كم فوجئنا برؤية السارق صبياً في الثانية عشرة من عمره، جميلاً كالملاك، بجرح كبير في ذراعه، نظر إليه دون عاطفة. قدم نفسه للجنرال، الذي كان ينظر إليه على أنه قاضيه، بجو من الحزم والبساطة، و(عظيم هو سحر النعمة المحلية عليه)، لا يمكن لأي شخص موجود أن يحافظ على غضبه (من شدة كبريائه). ما انفك الجنرال دوزيه في طرح الأسئلة على هذا الطفل غير العادي، وجاءت الأسئلة كالآتي:

من الذي يطلب منك سرقة هذه الأسلحة؟

«لم يطلب مني أحد».

ما الذي دفعك لفعل ذلك؟

«لا أعرف؛ كان الإله العظيم».

هل كان والداك من طلبا منك؟

«لا أحد، أنا يتيم لدي فقط أمي، وهي فقيرة جداً وعمياء».

ثم صمت الجنرال دوزيه برهة من الوقت، مستجمعاً قواه العقلية لذهوله من ثبات هذا الطفل الملائكي، ثم نظر إلى رجاله ومستشاريه، وقال لهم «إذا اعترف بمن أرسله، فيجب إطلاق سراحه، وإذا لم يكن كذلك، فينبغي أن يعاقب كما يستحق»، ولم ينتظر البطل ليساومه قادة فرق وجنرالات جيوش الثورة الفرنسية على حريته، فباغتهم برد معبر عن شخصيته وكبريائه، قائلاً «لقد أخبرتك بالفعل»، «لم يرسلني أحد؛ كان الله وحده هو الذي وضع هذا الأمر في رأسي»، ثم وضع قبعته أمام قدمي الجنرال دوزيه، وقال «هناك رأسي، يمكنك قطعه».

كان الفتى واثق الخطا، يمشي كأنه

أنا وعدٌ أنا قَدَرٌ أنا المُستقبلُ الآتي

سَأبْقى في ضمائرهم، وأنمو في مَهاجِعَهمْ

أنا سيفٌ أُسلِّطُهُ على أعداء أوطاني

بكل الفخر سَمّيني بُكلِّ العِزِّ غَطيني

فلا شَجَبٌ سَيَنفَعُني

ولا إبْراقُ مَخْجولٍ سَيُغْنيني

على أي حال، ووفقاً لرواية دينون؛ فقد رأى الجنرال دوزيه أنه لا طائل من الحديث مع الطفل، ونظر إليه نظرة تبعث على الإعجاب به، وقال له «أيها البائس الصغير المسكين»، ثم نظر إلى قادته وتابعيه، وقال لهم «دعوه يذهب». ولم يكتف دينون بتوثيق القصة عند حدها هذا، بل يقول عنه «نظر الطفل إلى الجنرال، ثم إلى الجندي الذي قاده، قال جملة لم نستطع فهمها، ثم افترق بابتسامة من الثقة».

ملك شهي الكبرياء، وكأنه كان يقول عن نفسه أثناء وقوفه بين يدي جنرالات الحملة الفرنسية أبيات الشعر هذه:

أنا زَرْعٌ بِبَطنِ الأرضِ تحويني

وطينُ الأرض مِنْ طيني

فإنْ قَصّوا ذِراعاتي

وزادوا في عَذاباتي

فَجَذري سَوفَ يَحْمِلني

وريحُ الصُّبْحِ مِنْ مُزْنٍ سَتَسقيني

وإنْ زادوا بتنكيلٍ جِراحاتي

تمُدُّ الأُمُّ أذرُعَها فَترْقيني

وَدَعْواها لِخالقنا سَتُشفيني وتُحييني

لم يترك دينون هذا الموقف ليمر أمامه دون أن يبدي إعجابه واستغرابه الشديدين بهذه الشخصية المتفردة، وعقب على الأمر ذاكراً أن مثل هكذا شجاعة وتضحية لا تتأتى إلا من أقوام سطروا بدمائهم معاني الشجاعة والتضحية، ورغبتهم في الدفاع عن قيم العدل والإنسانية هي التي دفعتهم للقيام بهذه التضحيات العظيمة، مستمسكين بإيمان مستقيم، وعقيدة راسخة، كما يقول دينون إن الباعث على مثل هذه التضحية «الدين العظيم، وفيه تحث المبادئ والقوانين الوضعية الإنسان على البطولة والخطر. إن مثل هذه الحكايات تعطي نظرة ثاقبة لأخلاق الأمم، وتأثير الدين والقوانين أكثر من المناقشات المنتظمة».

كانت رواية دينون عن بطل قصتنا منصفة وموضوعية إلى حد كبير، فمن ناحية لم يخف تعاطفه معه، ورسم لنا صورة ناصعة البياض، قوية الأثر، لطفل ريفي بسيط، لم يرتد مدرسة أو جامعة، ولكنه كان ملهماً، ومن ناحية أخرى لم يخف دينون أثر العقيدة والتربية الدينية كعامل رئيس أسهم في تكوين شخصية الفتى.

قائمة المصادر والمراجع

Vivant Denon, Travels in Upper and Lower Egypt: In Company with Several Divisions of the French Army, During the Campaigns of General Bonaparte in that Country, and Published Under His Immediate Patronage, Vol. 1, London: T.N. Longman and O. Rees; and R. Phillips, 1803, pp. 363- 366.

ثقافة التغافل

حسين الراوي
كاتب من الكويت

التغافل ثقافة النبلاء، لا يُقبل عليها إلا كِرام الأنفُس، عُظماء الأرواح، أهل الهِمة والسؤدد والطموح الشريف، ولابد أن نتعلّم هذه الثقافة ونطبّقها في معظم اتجاهات الحياة؛ لأن التغافل باختصار يعود علينا بأرباح ونتائج طيّبة، تجعلنا ننعم بالراحة والهدوء والرضا.

«معنى تغافل فلان: تظاهر بالغفلة أو تعمَّدَها؛ أي بالسَّهو وقلَّة التَّيقّظ. هذا الرجلُ ليس مُغفَّلاً، ولكنه يتغافل». قاموس المعاني.

لا تدقق في كل شيء، ولا تتوقف عند كل شيء، ولا تجنح للتصادم، ولا تُجرّد سيف الخصومة، ولا تكن سريع الثورة.. ما دام أن في الأمر مُتسعاً للتغافل والتغاضي والتفويت والصفح والسلام.

روى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه: «لا يبلِّغني أحد عن أحد شيئاً؛ فإني أحب أن أخرج إليكم، وأنا سليم الصدر». يقول صاحب مرقاة المفاتيح معلقاً على هذا الحديث: «ففي قوله، عليه الصلاة والسلام: (فإني أحب أن أخرج إليكم، وأنا سليم الصدر)، إشارة إلى منابذة مسلك تتبع المخفي لسلامة الصدر، وغرس الوحشة فيه والحزن وسوء الظن، قال ابن المَلَك: والمعنى أنه – صلى الله عليه وسلم – يتمنى أن يخرج من الدنيا وقلبه راض عن أصحابه، من غير سخط على أحد منهم، وهذا تعليم للأمة أو من مقتضيات البشرية».

يقول الحسن البصري، رحمه الله: «مازال التغافل من فعل الكرام». ويقول الإمام أحمد، رحمه الله: «تسعة أعشار حسن الخلق في التغافل». ويقول الأعمش: «التغافل يطفئ شراً كثيراً». وقال سفيان الثوري: «مازال التغافل من شِيَم الكرماء». وقال الحسن البصري: «ما استقصى كريم قط. قال الله تعالى: «عرف بعضه وأعرض عن بعض». وعن تسمية العالم القدوة حاتم بن عنوان بن يوسف بـ«الأصم»، قال أبو علي الدقاق: جاءت امرأة فسألت حاتماً عن مسألة، فاتُفق أنه خرج منها صوت في تلك الحالة، فخجلت، فقال حاتم: ارفعي صوتك. فأوهمها أنه أصمّ، فسُرّت المرأة بذلك، وقالت: إنه لم يسمع الصوت. فلقّب بحاتم الأصم. مدارج السالكين. وفي تاريخ دمشق عن عطاء بن أبي رباح، قال «إن الرجل ليحدثني بالحديث، فأنصت له كأن لم أسمعه قط، وقد سمعته قبل أن يولد».

وروى أهل التاريخ «أن رجلاً دخل على الأمير المجاهد قتيبة بن مسلم الباهلي، فكلمه في حاجة له، ووضع نصل سيفه على الأرض، فجاء على إصبع رجلِ الأمير، وجعل يكلمه في حاجته، وقد أدمى النصلُ إصبعه، والرجل لا يشعر، والأمير لا يظهر ما أصابه، وجلساء الأمير لا يتكلمون هيبة له، فلما فرغ الرجل من حاجته وانصرف، دعا قتيبة بن مسلم بمنديل فمسح الدم عن إصبعه وغسله، فقيل له: ألا نحَّيت رجلك أصلحك الله، أو أمرت الرجل برفع سيفه عنها، فقال: خشيت أن أقطع عنه حاجته».

يا لروعة ثقافة التغافل! فكم بها يبقى ود حبيب، ويُحفظ قرب صديق، وتستمر صلة رحم! وكم بها يُدفع شر فتنة، وكيد خبيث، ومكر لئيم! أفلا يجدر بنا أن نتعلمها وننشرها؟

غناك في مصر، فعد إلى بغداد

سعيد يقطين
كاتب – المغرب

1 . ما قبل التنبيه: الحكايات والناس:

لماذا يقبل الناس على سماع الحكايات، وقراءة السرود؟ الفضول البشري لا حدّ له. إنه الشغف بحب معرفة الأسرار. فحين يكون شخص ما غنيا، ثم يفتقر. يبيع كل ما لديه ويصبح عالة. لا يملك قوت يومه حتى إنه يلجأ إلى السؤال، أمر يفهمه كل الناس، ويعرفون أسبابه. لكن اختفاء هذا الرجل فترة، ثم يعاود الظهور، ويصبح أغنى مما كان عليه، فهذا أمر لا يمكن إلا أن يولِّد السؤال، والفضول السردي.

2. تنبيه أول: ما هو السر؟

حدث أبو الربيع البغدادي التنوخيَّ، قال: «كَانَ فِي جوَار القَاضِي قَدِيما، رجل انتشرت عَنهُ حِكَايَة، وَظهر فِي يَده مَال جليل، بعد فقر طَوِيل. فَسَأَلت عَن الْحِكَايَة». لكنه لم يجبه، وظل يلح عليه ليسمع حكايته، ولكنه أصر على عدم سردها: «فدافعني طَوِيلا، ثمَّ حَدثنِي، قَالَ: «ورثت عَن أبي مَالا جَلِيلًا، فأسرعت فِيهِ وأتلفته حَتَّى أفضيت إِلَى بيع أَبْوَاب دَاري وسقوفها، وَلم يبْق لي من الدُّنْيَا حِيلَة، وَبقيت مُدَّة بِلَا قوت إِلَّا من غزل أُمِّي، فتمنيت الْمَوْت». قال الراوي: «فَرَأَيْت لَيْلَة فِي النّوم، كَأَن قَائِلا يَقُول لي: غناك بِمصْر، فَاخْرُج إِلَيْهَا».

3. الخروج إلى مصر:

صدّق الراوي الرؤيا، وعمل مجهوداته للخروج إلى مصر. اتصل بالقاضي جاره، والذي كان على معرفة بأبيه، وسأله كتابة كتاب يساعده على التصرف في مصر. وافق القاضي للعشرة والجوار، وكتب التصرف. لكنه لم يفد صاحبنا في شيء. فوجد نفسه مضطرا، رغم كبريائه، أن يسأل الناس بين العشاءين، وقد تمنى الموت على أن يرى نفسه في هذا الوضع.» فَقلت: أخرج لَيْلًا، وأسأل. فَخرجت بَين العشاءين، فَمَا زلت أَمْشِي فِي الطَّرِيق، وتأبى نَفسِي الْمَسْأَلَة، ويحملني الْجُوع عَلَيْهَا، وَأَنا مُمْتَنع، إِلَى أَن مضى صدر من اللَّيْل. فلقيني الطَّائِف، فَقبض عَليّ، ووجدني غَرِيبا، فَأنْكر حَالي، فَسَأَلَنِي عَن خبري. فَقلت: رجل ضَعِيف. فَلم يصدقني، وبطحني، وضربني مقارع».

4. تنبيه ثان: عد إلى بغداد:

لم ينفع صاحبنا التصرف، ولا وجد ما يسد به رمقه. وكان أن نال «طريحة» على يد شرطة الليل الذين ظنوه على غير ما ادعاه من ضعف، ولم يسلم من الضرب إلا بعد إعلانه الإقرار بالحقيقة. طلب منه الطائف قول الحقيقة. فأخبره بقصته، وبرؤياه، وبرحيله، ومحنته في مصر، إلى أن وجد نفسه بين يديه. لم يزد الطائف على التعليق بقوله: «أَنْت رجل مَا رَأَيْت أَحمَق مِنْك، وَالله لقد رَأَيْت مُنْذُ كَذَا وَكَذَا سنة، فِي النّوم، كَأَن رجلا يَقُول لي: بِبَغْدَاد فِي الشَّارِع الْفُلَانِيّ، فِي المحلة الْفُلَانِيَّة، فَذكر شارعي، ومحلتي. فَسكت، وأصغيت إِلَيْهِ، وَأتم الشرطي الحَدِيث. فَقَالَ: دَار يُقَال لَهَا: دَار فلَان، فَذكر دَاري، واسمي، فِيهَا بُسْتَان، وَفِيه سِدْرَة، وَكَانَ فِي بُسْتَان دَاري سِدْرَة، وَتَحْت السِّدْرَة مدفون ثَلَاثُونَ ألف دِينَار، فَامْضِ، فَخذهَا، فَمَا فَكرت فِي هَذَا الحَدِيث، وَلَا الْتفت إِلَيْهِ، وَأَنت يَا أَحمَق، فَارَقت وطنك، وَجئْت إِلَى مصر بِسَبَب مَنَام».

5. تأويل الرؤيا بحلم:

رأى صاحبنا رؤياه، في بغداد، ولكن تأويلها كان في مصر. في ليل بغداد تولدت الرؤيا تحت طائلة أقصى لحظات المعاناة، وأقساها. وفي ليل مصر، عثر الراوي على تأويل رؤياه، وقد عانى من ضرب المقارع. أيهما الأحمق؟ وأيهما العاقل؟ الراوي صدّق الرؤيا لأنه كان في وضع من يتشبث بأي شيء، ولو بحلم من أجل وضع حد لمأساته. لم يصدق الطائف الحلم، لأنه كان في وضع من يجلد الناس، ولذلك لم يفكر في ترك مهمته المعبرة عن وضع مختلف. رؤيا شخص في مكان، تجد تأويلها في حلم شخص آخر في مكان آخر. أليس هذا عجيبا؟

سكت المروي له صاحب الرؤيا، وأصغى وهو ينتبه إلى الراوي صاحب الحلم، فصدق رؤياه، وحلم راويه. وحين أطلق سراحه، عاد إلى بيته في بغداد ليستخرج الثلاثين ألف دينار، واسترجع حاله قبل إفلاسه.

6. تنبيه أخير: الخيميائي:

كما أعجب التنوخي بقصة الرائي، ونقلها لنا في موضوع الفرج بعد الشدة، لتفريج هموم قرائه، ودفعهم إلى التعلق بالأمل في أقصى أنواع المعاناة، وأقساها، وهو ينقل لنا مادتها من الشرق البغدادي إلى الغرب المصري، اتخذ باولو كويلو مادة هذه القصة، وحولها إلى رواية، تنطلق من الغرب الإسباني إلى الشرق المصري، كانت سبب شهرته، وكانت تأكيدا أن للحكايات أجنحة لمن يعرف كيف تطير.

الحكاية الشعبية والتعليم

د. يوسف النشابة
كاتب وباحث - البحرين

الحكايـة الشـعبية هـي سـرد لأحـداث قام بهـا عدد من الشـخصيات التـي قد تكـون مـن البشـر، أو الحيوانات، أو الجـن والعفاريـت، أو السـحرة والسـاحرات، في مكان وزمـان محددين.

ميزات الحكاية الشعبية:

الحكاية الشـعبية ليـس لها مؤلف يذكر، فهي تنسـب إلى الشـعب، وذلك لعدم معرفة مؤلفها للأسـباب الآتية:

- بعض الحكايات تنتقد الوضع السياسي للحاكم.
- حكايات تسخر من الحاكم لجوره أو لبخله.
- حكايات الحب والغزل مرفوضة من قبل رجال الدين.
- الحكايـة تنتقـد الوضـع الاجتماعـي علـى لسـان الحيوانـات تفاديـاً لمواجهـة السـلطات القضائيـة.

- السـخرية مـن الزوجـة أو الـزوج قـد تعـرض المؤلـف للطـرد مـن البيـت دون عشـاء.
- تسـمية الحكايـة قـد تختلـف مـن بلـد إلـى آخـر، ومـن قريـة إلـى أخـرى في البلـد نفسـه.
- تمتـاز أحـداث الحكايـة الشـعبية بأنهـا غالبـاً مـا تكـون خياليـة.
- بطـل الحكايـة يمتـاز بالدهـاء والرجولـة والنخـوة، والانتصـار يكـون حليفـه في النهايـة.
- البطلـة تمتـاز بالجمـال، وغالبـاً مـا تكـون مغلوبـة علـى أمرهـا.
- معظم الحكايات تكون نهايتها سعيدة.

لـكل حكايـة مقدمـة علـى شـكل أهزوجـة تشـد انتبـاه الحضـور، ونهايـة ترخـي أعصاب المسـتمعين بعـد فترة التفاعـل مـع مجريـات أحـداث الحكايـة الشـعبية.

الحكاية الشعبية والسلوك المجتمعي:

الحكايـة سـرد واقعـي أو خيالي لأفعال وأقـوال قد تكون نثراً أو شـعراً.

يقصـد به إثـارة الاهتمام والإمتـاع، أو تثقيف السـامعين والقـراء، وذلـك بترسـيخ مبـادئ وقيـم سـائدة، مثل قيم الخيـر والتفانـي في تقديم المسـاعدة للمحتاجـين والعون للضعفاء.

والحكايـات الشـعبية تحـرص على عـرض حقـوق المرأة المتمثلـة في الأم التـي تربي.

وغرس بر الوالدين، كما جاء من التعاليم القرآنية.

والحكايـة الشـعبية حرصـت علـى التركيـز علـى حقوق الزوجـة التـي غالبـاً مـا كانت مظلومة في أيـام لم يكن لها من الحقـوق نصيب.

الحكايـة الشـعبية امتـازت بالوقـوف مـع الفقـراء ضـد

الإقطاعيين، والولاة والسلاطين الذين يمارسون الظلم بسلب حقوق الفقراء.

الحكاية الشعبية تهتم بغرس البطولة، والتفاني في وجه الظلم، وليس هذا فحسب، بل في وجوه السحرة والعفاريت.

في وقتنا الحاضر لم تعد الحكاية تنال تلك الأهمية، كما كانت تتلقاها أجيال ما قبل التلفزيون، ووسائل التواصل الاجتماعي، وهنا لابد لنا من وقفة جادة مع نص الحكاية، وما يقدمه الراوي، أو الراوية التي قد تستعين بها بعض المدارس؛ لتسرد بعض الحكايات، وهي تلبس ثياب الجدات.

إن دور وزارة التربية والتعليم في وطننا العربي لابد أن يربط الماضي بالحاضر، والمستقبل فيما يخص الحكايات الشعبية التي تعد من أهم عناصر التراث الثقافي.

إن الماضي يتمثل في نص الحكايات الشعبية، والحاضر يتمثل في غرس القيم الأخلاقية المتمثلة في الأمانة، والصدق، والغيرة على الحبيبة، والسعي لمداواة بنت السلطان المريضة التي يربطها الطالب بالواقع الذي يعيشه .

أما المستقبل فهو يتمثل في الوسائل التعليمية الحديثة.

العناصر المميزة للحكاية الشعبية:

الفكرة (المغزى)

هي الهدف الذي يحاول الراوي عرضه في الحكاية، وقد تكون حكمة يريد الراوي توصيلها للمستمعين.

الحدث:

هو مجموعة الأفعال تأتي مرتبة ترتيباً سببياً، تدور حول موضوع عام، وتصور الشخصية الرئيسة وصراعها مع الشخصيات الأخرى.

وكي تتحقق وحدة الحدث، يجب أن نعرف الإجابة عن الأسئلة الآتية:

كيف وقع الحدث؟

أين وقع الحدث؟

متى وقع الحدث؟

لماذا وقع الحدث؟

الإنتاج الأدبي التعليمي:

يراعي الراوي اختيار التراكيب اللغوية التي تميل إلى قصر الجمل، التي يغلب عليها وجود الأفعال التي هي أمر مهم، وذلك لتفاعل الطفل مع ما يدور حوله بالأفعال، إما على شكل إيماءات أو حركات.

كذلك يراعي بساطة اللغة في السرد أو الحوار بين شخصيات الحكاية.

إن الرسوم التوضيحية لها دور مهم في تجسيد المكان وتوضيح مظاهر الفرح والغضب على وجوه الشخصيات، كذلك تبين مزايا الزمان كظلمة الليل، وقمره ونجومه، وضوء النهار بشمسه الساطعة، وبرودة الشتاء، وحرارة الصيف وجمال الربيع الأخضر الزاهي.

أهمية اختيار الألوان الزاهية، ولا مانع من الابتعاد عن النسب المثالية في رسم الأشكال والشخوص والمنظور الهندسي للمباني، وذلك تماشياً مع أنماط فن الطفل في المرحلة الدراسية الأولى.

ملخص الأهداف المهمة المرجو تحقيقها من خلال السرد :

للاستمتاع والتسلية بالقراءة، ومشاهدة الصور المصاحبة للنص .

ولتوسعة مدارك الطفل المعرفية تنبه قدراته التخيلية، وتهذب أحاسيسه العاطفية والوجدانية.

الإسهام الفعلي في حل اللغز، أو المشكلة التي يتعرض لها بطل الحكاية.

التحديات والصعوبات:

افتقار المربين والمدرسين للدقة في اختيار حكايات شعبية للأطفال، تحتوي موضوعات تتناسب مع تطور ثقافة الطفل المعاصر.

افتقار بعض الكتب إلى استخدام أساليب حديثة في تقديم الحكاية الشعبية، وذلك راجع لعدم الاطلاع على أحدث وسائل تقنيات التعليم، وتوافرها في مراكز مصادر التعلم في المدارس وكليات المعلمين.

الاستخفاف بعقلية الطفل، وذلك بتقديم حكايات شعبية تمتاز بالسذاجة.

قلة التنوع في موضوعات الحكايات الشعبية، وهذا راجع لعدم المعرفة التامة بالأهداف المرجو تحقيقها.

قلة عدد الرسامين المتخصصين في رسومات كتب الأطفال.

تكلفة الإخراج الفني للرسومات واستخدام التقنية الحديثة في الإخراج الفني للكتب.

التكلفة الباهظة لطباعة الكتب، وعدم وجود متخصصين في المطابع لديهم الدراية الكافية لتفادي الأخطاء الواردة، والتي في النهاية يتحملها الكاتب.

أساليب التعليم المتبعة:

عديدة، وتختلف حسب اختلاف المرحلة الدراسية، إن أفضل الأساليب ما هو قريب للطفل من ناحية أحاسيسه، ووجدانه، وتلبية قدراته الجسدية، وذلك في المراحل الأولى من التعليم.

الاستماع، واللعب هما أنسب طرائق التدريس بالنسبة للأطفال.

أقر العلماء أن القدرة على الاستماع بالنسبة للطفل تبدأ وهو جنين في بطن أمه، وهذا ما يعزز دور الاستماع في نظرية التعلم، علماً بأن حاسة البصر لا تقوى على التمييز؛ إلا بعد بلوغ الطفل ما بعد شهره الثالث.

كانت الجدات تقوم بدور الراوي، والمعلم الطفل يميز صوت أمه وأصوات من حوله على حد قول المثل الشعبي: «أبوليلة يعرف للرجيلة».

إن الحكاية المسموعة تؤدي دورها كاملاً للأسباب الآتية:

العلاقة الحميمة بين الطفل وراوي الحكاية طلباً للاستماع بلهفة وشوق.

الاستماع هو أقل جهد في تخزين الذاكرة بالمعلومات في عقلية الطفل ووجدانه.

ارتباط النص الحواري بالرسومات يزيد من شغف الطفل للتعلم والدراسة.

إن من أهم مصادر المفردات اللغوية والبلاغية، هي الحكايات الشعبية لما تحتويه من لغة سليمة، ومفردات متكررة لدى الطفل، وأخرى جديدة عله سمعها، إن هذا الغنى في التحصيل يزيد من نضجه، ومن خبرته اللغوية، ومن ممارساته اليومية تجاه الآخرين، وكذلك يوسع مداركه ومعلوماته الحياتية على اختلاف أنواعها، كل هذا له دور بارز في نموه الجسماني والوجداني والعاطفي السليم.

الحكاية الشعبية مبنية على ترسيخ القيم الوطنية والإنسانية، وزرع روح التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع المحيط بشخصيات الحكاية الشعبية.

وهنا نجد أن الراوي يشدد على احترام صلة القربى والترابط الأسري ببر الوالدين واحترام ذوي القربى واحترام الكبار وتقدير الصغار. وهذا خير وازع للترابط الأسري يتعلمه الأطفال من مجريات الحكاية الشعبية.

ومن هذا المنطلق لابد من دوائر التربية والتعليم تقديم الحكايات الشعبية بصورة تثير المتعة والتسلية في نفوس الأطفال، والحرص على غرس القيم التربوية والمعرفية، على حد سواء.

الحكاية الشعبية من خلال مجريات أحداثها، نجدها تكلف البطل محاربة الظلم، وتحقيق العدالة المجتمعية والدعوة لفعل الخير.

إن من أهم ما يتعلمه الطفل من خلال الحكاية هو القيم الأخلاقية وتذوقه الجمال، وتهذيب أحاسيسه تجاه الآخرين من تسامح، وكرم، وحب سامٍ.

الحكاية الشعبية وشخصية الطفل:

الحكاية الشعبية لها تأثير كبير في تكوين شخصية الطفل منذ الصغر؛ ولهذا يجب على الوالدين، والمدرسة غرس حب القراءة في نفوس الأطفال منذ أيام الروضة، ولتكن هدايا الأطفال كتباً.

الحكاية تكسب الطفل القدرة على التمكن من اللغة باختيار الألفاظ السليمة والمناسبة في تخاطبه مع الآخرين، أو في كتاباته الأدبية، أو العلمية.

الحكاية بنصها الحواري، ورسوماتها المعبرة، تقدم فناً يرفع من ذوق الطفل ويوسع قدراته على التصور، والتخيل، والتذكر، وتساعده على تنمية القدرات الإبداعية في الفنون والآداب. كل ذلك يساعده أيضاً ليكون مبدعاً في التعبير عن أحاسيسه تجاه فترات الخوف التي تنتابه، وساعات الفرح، وكذلك تعطيه القدرة على التجديد والتغير إلى الأحسن.

من أهم ما يتلقاه الطفل في صغره حين الاستماع بشغف لسرد الحكاية الشعبية، هو القدرة على التخيل (تخيل مجريات الأحداث) والمهمة الأخرى هي القدرة على التذكر؛ التي يتم عن طريقها استرجاع ما سمعه

واكتسبه من خبرات من خلال مجريات الحكاية الشعبية.

وتفادياً للدخول في تصنيف التفكير ومستوياته في هذا المجال، مكتفياً في الاستعانة بالتفكير لحل المشكلات التي قد تواجه الطفل في حياته اليومية، كما تعلمه من مجريات سرد الحكاية من بطل الحكاية حين وقع في شباك اللصوص والمجرمين مستخدماً قدراته، مفكراً في حل المشكلات التي تخلصه من أيدي المجرمين.

الحكاية الشعبية والمقرر الدراسي:

الحكاية الشعبية يجب أن تجد طريقها لتأخذ مكانتها في مناهج التربية والتعليم، عن طريق التمثيل الصوتي بتقمص الشخصيات، وأداء كل طفل شخصية تتناسب ونبرات صوته.

في المرحلة الابتدائية كان كتاب المطالعة يحتوي على قصص مسلية، ومنها قصة «القرد والنجار»، وهي واحدة من حكايات «كليلة ودمنة».

وجسد مسرح أوال حكاية «سرور»، أو كما تسمى في المنامة «سفوف».

والسينما المصرية قدمت بعض الحكايات الشعبية كأفلام يتابعها الكبار والصغار، مثل: حكاية حسن ونعيمة، وكذلك حكاية السفيرة عزيزة.

ومن أساسيات التعليم الحديث الاهتمام بالتفكير عن طريق حل المشكلات، والحكايات الشعبية مملوءة بالمشكلات التي يوكل للبطل أو البطلة حلها، وهنا يأتي دور المعلم بعد سرد الحكاية الشعبية بتكوين حلقات النقاش، وطرح وجهات النظر الخاصة بكل طفل فيما سمعه وتفهمه من معلومات حول شخوص الحكاية الشعبية، وتميز الأشرار وأفعالهم، وتحديد الأبطال ودورهم في مكافحة الظلم، وإبراز دور شخصيته وكفاحه في خلق مجتمع تسوده الأخلاق والتعاون.

والمسرح المدرسي يحب أن يأخذ دوره بتوزيع أدوار الحكاية الشعبية على الممثلين من الطلبة، وأداء مجريات الحكاية الشعبية على خشبة المسرح.

وفي حال توافرت الإمكانات المادية، والتقنية التي تسهم في تحويل الحكاية الشعبية إلى صور تواكب تكنولوجيا العصر، من خلال تحويلها إلى «إنيميشن»

المرأة العربية
في سطور وبين عصور

تتعدد الأوصاف والألقاب للمرأة، فهي هبة رب السماء إلى آدم أول الأحياء، ومنحة القدر إلى آدم أبي البشر، وهي الأنثى ملهمة الذكر على اختلاف الرؤية والنظر، وهي من قدمت للشاعر دفقة الكلمات، وللعازف خفقة الأنامل، وللرسام مخيلة الجمائل، وهي للعظيم تلك التي ساندته، وهي للكريم تلك التي أعانته، وهي للحكيم تلك التي أكملته.

د.محمد فراس النائب
أستاذ العلاقات الدولية

ولكنها بالمقابل، هي ذاتها المرأة من أسست للذنوب وأشعلت الحروب وزينت للمعاصي الدروب، وأوهمت للخطايا القلوب.

فمكانة المرأة في التاريخ كانت ومازالت موضع جدلٍ ونقاش ما بين فقهاء ومنظري الفكر المجتمعي، لا، بل بين كل من امتهن العقل والعلم والفلسفة مهنةً له، حيث لطالما كانت المرأة ومازالت شاغلةً بتجلياتها العقول والمخيلة، فكيف لا تكون وهي نصف الإنسانية العطر منذ الأزل.

وعلى مر التاريخ، خاض الفلاسفة والعلماء والمثقفون كثيراً من المعارك الفكرية حول الفيصل في علاقة المرأة بالرجل، هل هو العقل أم العاطفة؟ أم كليهما معاً؟ وهل هناك صيغةً ثابتةً تمكن الرجل والمرأة من التكامل في أشكال الحياة المختلفة بينهما؟ والتي تراوح بين الزواج والأبوة والأخوة والأمومة والخلة والصداقة.

ولعل أبين الأمثلة حول علاقة المرأة بالرجل قد تكون من زاوية الحياة الزوجية، حيث تبرز عورات الفكر المتبادل بين الرجل والمرأة، التي تراوح عند الرجل ما بين النظرة الدونية والامتهان والتصلب والتشنج تجاه المرأة، وتراوح عند المرأة بين النظرة الاتهامية بالغواية والاستغلال من الرجل.

فبعض الرجال ينظر تشاؤماً إلى هذه العلاقة التي شابها كثير من اللغط، فيستشهد بأمهات القصص في التاريخ التي سردت عن جهل المرأة حتى مع العظماء من أزواجهن، ويتساءل العديد منهم لماذا لا تستجيب المرأة لبعلها حتى من ذوي العقل والبصيرة؟ والأمثلة كثيرةً في التاريخ الإنساني عن زوجات الفلاسفة والمصلحين والأنبياء، بدءاً بزوجة سقراط الذي ألهم بفكره الأجيال، ولم تفلح فلسفته بتقويمها، وانتهاءً بامرأة نوح ولوط اللذين أعلى الله، جلّ وعلا، شأنهما، ولم يشفع ذلك لهما إدراكات زوجاتهما تجاههما!

بالمقابل، تاريخ المنطقة العربية القديم تارةً ينصف المرأة بكثيرٍ من الصور، عبر حكمة بلقيس، وجبروت زنوبيا، ودهاء كليوباترا، وتارةً أخرى يضعها في مكانةٍ لا تليق بها كتابعٍ للرجل ومجرد مربيةٍ لأولاده وملبيةٍ لرغباته، أو حتى ينزل بها إلى الدرك الأسفل في وصفها كقطعة أثاث في منزله وعالمه!

من المنفتحين فكرياً من يبرر ذلك بأن المرأة العربية بعد قرون من التهميش في المجتمعات الذكورية، أضحت ضحية تنميط فكرها ضمن قيودٍ ذهنيةٍ رسخت عميقاً، فهي لم تعد ترغب في أن تكون فاعلة، واذا أرادت، لا تريد أن تعمل، وإذا عملت، لا تريد أن تشارك، وإذا شاركت، تمن على الرجل عملها ومشاركتها، وإذا لم تقم بذلك تشعر باستغلال الرجل لها.

وقد يظهر هذا التباين الفكري في المقارنة بين نموذجي المرأة العربية والمرأة الغربية، حيث إن الأخيرة تنشأ في مخيلتها منذ نعومة أظفارها فكرة الحياة الحقيقية عبر تراتبية المدرسة.. العمل.. الزوج الشريك، بينما تتخلق في مخيلة المرأة العربية فكرة الحياة الوردية عبر تراتبية المدرسة.. الزوج المعيل، وفارس الأحلام لإمبراطوريتها المنزلية الذي سيكفيها حاجة العمل وعوز المال.

فالعمل والاستقلالية الاقتصادية أولاً عند المرأة الغربية، بينما حلم الراحة والاعتمادية أولاً عند المرأة العربية، وهنا من الخطأ التعميم في ظل وجود تجارب وومضات راقية جداً لإنجازات المرأة العربية في دولٍ شجعتها نهضتها المجتمعية كالإمارات مثلاً، أو لأفرادٍ تميزوا بذاتهم كزها حديد مثلاً، ولكن القاعدة تغلب الاستثناء مهما كان هذا الاستثناء براقاً وراقياً.

ولكن كيف يمكن الحكم على الزواج الناجح، وهل المشهد الاجتماعي للزواج الناجح كثيراً ما يكون مشهد مسرحي أمام العلن يخفي من ورائه الكثير من المشكلات والكثير من الضغائن والعديد من الخيانات للمواثيق بين الزوجين، اللذين يفضلان الاستمرار بهذا الإخراج المسرحي إما حفاظاً على الأسرة، أو خوفاً من الخروج على الأعراف والتقاليد، أو

عدم اكتراثٍ كونهما يفعلان ما يحلو لهما في كواليس الحياة!

لاشك في أن المساواة والعدالة بين الزوجين في الحياة تكمن في المشاركة في إطار الشراكة، والشراكة تستلزم الإنتاجية لمؤسسة الزواج بعيداً عن الاتكالية التي تدفع أحدهما إلى الشعور بالغبن والاستغلال من الآخر، والإسهام المعنوي والنفسي مطلوب قبل أن يكون الإسهام مادياً، وعملية التقييم تبدأ بقائمة التقدمات المشتركة في الحياة التي يعيشونها، وبكلمات أخرى، عليهم أن يضعوا نصب أعينهم ماذا قدموا لبعضهم بعيداً عن الشعارات والتابوهات البالية المتأتية من الموروث غير المواكب لتطورات العصر.

فالفجوة المتعاظمة بين إسهام الرجل والمرأة في إطار شراكتهما الحياتية هي مقتل العلاقة، وبكلمات أكثر وضوحاً، لن تستقيم الأمور إذا كان ما ينتجه أحدهما في أقل الحدود، وما يقدمه الآخر بأعلى المستويات. وحتى عند الحديث عن الفجوة في الإسهام لمصلحة الرجل، تختلط الأوراق ويتشاءم البعض تندراً لنموذج ذهب مثلاً حول أثرى أثرياء العالم بيل غيتس وجيف بيزوس اللذين لم يشفع لهما ثراؤهما الاحتفاظ بزواجيهما وزوجتيهما، ليعلو السؤال الشهير من الرجل: ماذا تريد المرأة!

وقد كان لردحٍ من الزمان تواكل المرأة على الرجل بشأن إعلاء شأنها وشأن عائلتها، حيث كانت من مهام الرجل التي تضع المرأة تحت عباءته ومكانته، الأمر الذي يفسر في جزء منه الوجود المتواضع للمرأة – مقارنةً بالرجل – بين علماء التاريخ وحضورها العلمي والبحثي القاصر عن مواكبة المسيرة العلمية للرجل، وقد تكون الصورة، قد اختلفت الآن، ولكن بعض المجتمعات العربية على عكس المجتمعات الغربية مازالت حبيسةَ الصورة النمطية للمرأة التي مازالت تقدمها على أنها التابع القابع – إن أفلحت – من وراء عظمة ونجاحات الرجل، ومهما علت شعارات المساواة بين المرأة والرجل، والتي تغفل أن الأصل في الأمر العدالة بينهما.

بطبيعة الحال، وضمن إطار هذه العلاقة القدسية التي أرادها الخالق من ثنائية الرجل والمرأة، هل كانت إرادة القدر أن يكون الرجل هو من يملك زمام القيادة؟ أم أن المنطق يفترض أن يكون هناك ربان للسفينة بعيداً عن الأخذ بميول المجتمع الذكوري، فالربان هو صاحب الإسهام الأكبر في مسيرة الحياة الأسرية، سواء كان هو الزوج أو الزوجة، أو قد يكون الابن أو الابنة، حيث لا يتخيل كثيرون أن المستشارة أنجيلا ميركل – على سبيل المثال لا الحصر –التي كانت ربان ألمانيا لفترة ناهزت الستة عشر عاماً، تقاد من زوجها ضمن أسرتها!

ولعل الضالة المنشودة بشأن سوية العلاقة المتوازنة ما بين الزوج والزوجة هي «الحوار الموجود أو المفقود»، فعندما يتراجع أو ينقطع الحوار بشأن أمور الحياة الجوهرية واليومية، ستتعالى «الإملاءات على حساب التسويات»، تلك التسويات التي هي أساس الحياة الزوجية، بل هي أساس الحياة! فالإنسانية تعلمنا أن الحصول على كل شيء قد يكون من المستحيلات، وعلى الإنسان المتوازن أن يدرب ذهنه على الوصول مع نفسه والآخر إلى التسويات المرضية، وإلا نحا باتجاه التجبر والتعنت والدكتاتورية، وفي ظل ذلك الانحراف عن المسار السليم في العلاقة الزوجية، سيكون القدر المحتوم إما انفصالاً رسمياً أو طلاقاً عاطفياً، وأحلاهما مر! وقد يكون الأخير أكثر مرارةً، حيث مشاهد متكررة من الغش والنفاق والنفور أمام الأطفال والمحيط الاجتماعي الذي يحول الحياة إلى سلسلة من الموت النفسي والعصبي البطيء لكل أفراد العائلة، خاصة أنه يترافق مع المشادات والمناحرات والخيانة الأليمة في نهاية المطاف.

علم النفس يقدم مُقارَبةً قد تكون مُقارِبةً لما جاء في مثلى الأيديولوجيات حول السكينة التي تقدمها المرأة للرجل، حيث إن الرجل بفيزيولوجيته التي خصه الله بها، يحتاج في خضم صراعات الحياة التي يعتركها إلى الوجود دورياً في هالة الرحم الحاني الذي خرج منه إلى الوجود يوماً، ليَسكن إليه راحةً، ويُسكن به آلامه، بينما تحتاج المرأة إلى الرحمة الرجولية التي تعزي بها نفسها من عذابات مسؤوليتها عن التكون البشري النهائي عبرها.

وهذه السكينة للرجل، وتلك الرحمة للمرأة، إن فقدتا من شراكة حياة، فقد زالت أوجه السلام النفسي والسلامة الذهنية الضامنة لصيرورة إسهام المرأة العربية في مؤسسة الزواج في الزمن المعاصر.

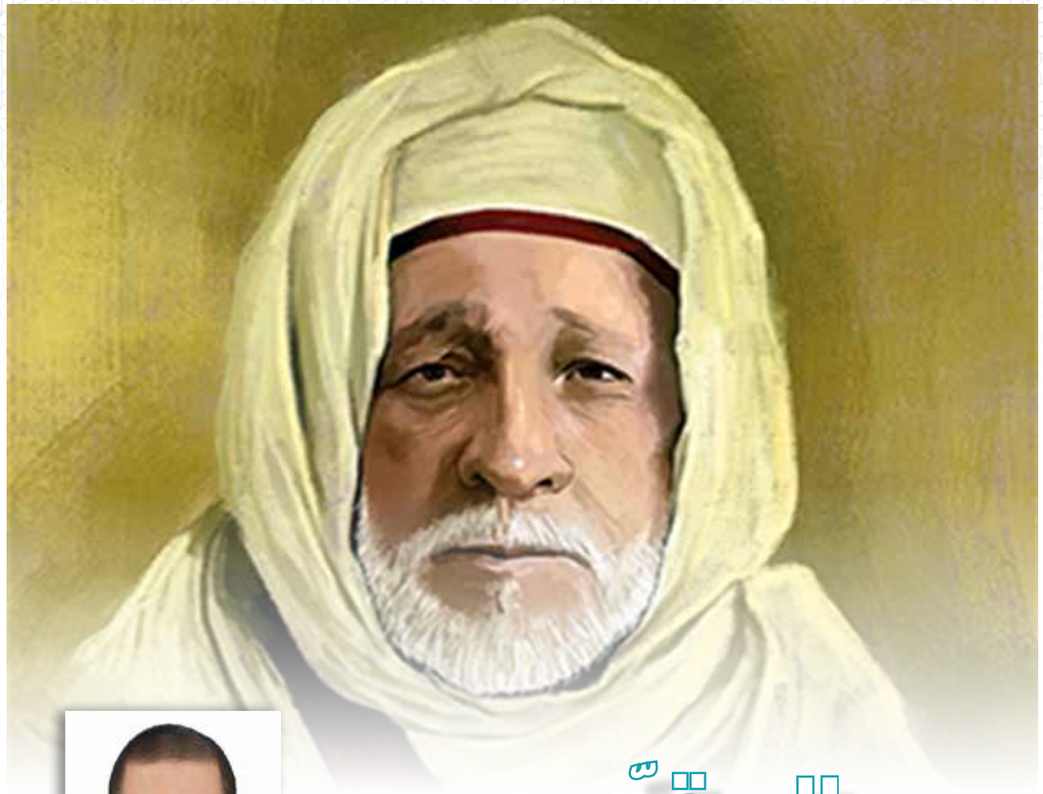

المقرّي:

مُؤرخ الأندلس وحافظ المغرب

د. ربيع أحمد سيد أحمد
أستاذ الآثار الإسلامية المَساعد،
كلية الآثار، جامعة الفيوم – مصر

ترجمته:

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد، الشهير بالمقرّي، نسبة إلى مقرّة، موطن أسرته القديم، وهي بلدة من أعمال قسنطينة، وإليها ينتسب عِدة من أكابر عُلماء المغرب، وُلِد في مدينة تلمسان، حسبما ذكر في مُقدمة كتابه «نفح الطِّيب»، ونشأ فيها، ولم يذكر لنا تاريخ مولده، وهو تاريخ وضعه بعض المُؤرخين المحدثين نحو عام (1000هـ/ 1591م)؛ وهو تاريخ مُغاير لما ذكره المقرّي عن نشأته، وحوادث من حياته الأولى.

وقد عُثِر على تاريخ مولده في كتاب «مرآة المحاسن»، لمؤلفه سيدي العربي الفاسي، وهو مُعاصر للمقرّي، وفيه أنّ المقرّي أخبر أنّ تاريخ مولده هو سنة (986هـ/ 1578م)، وهو التاريخ الذي يتفق مع ما ذكره المقرّي من أنه نشأ بتلمسان، إلى أنّ رحل عنها في زمن الشبيبة إلى مدينة فاس سنة تسع بعد الألف من الهجرة، فلو كان مولِده سنة 1000هـ، كما يفترض الباحثون المُحدثون، لمّا تحدث هنا عن الشبيبة؛ إذ يكون عندئذ غُلاماً حدثاً لا يتجاوز التاسعة من عمره، وهو ما لا ينصرف إلى الشباب.

وتجدر الإشارة إلى اعتزامه كتابة «موسوعة الأندلس» إلى شبابه الذاهب الذي قضاه بالمغرب، قبل قدومه إلى مصر سنة 1027هـ، وفي هذا إشارة إلى أنّ المقرّي حين قدم إلى مصر كان قد طوى مرحلة الشباب، وأشرف على نحو الأربعين من عمره، وفي ذلك ما يُؤيد رواية صاحب «مرآة المحاسن»، من أنّ مولده الحقيقي سنة 986هـ.

نشأته:

ذكر المقرّي اسمه في بيت شعر قال في:

فيقول لأحمد ذو القصو
ر المقرّي إذا انتسب.

وأمّا كُنيته أبو العباس، واشتهر بألقاب عدة، منها شهاب الدين، ومُؤرخ الأندلس، والحافظ اللغوي، وعُمدة الفقهاء والمحدثين، وحافظ المغرب، وآية الزمان، في حفظ النقول والاطلاع على غرائب الفروع، وعلّامة عصره، والإمام الحافظ، وحافظ البيان.

وقد نشأ في مدينة تلمسان، وهي التي نشأ فيها أبوه وأجداده، وحفظ القرآن الكريم، ودرس في تلمسان دراسة واسعة، حيث قرأ صحيح البُخاري على عمه سعيد المقرّي، وروى عنه الصحاح الستة بسنده، وإسناد شيوخه إلى القاضي عيا ض .

وزار فاس لأول مرة سنة 1009هـ، وقضى بها حيناً في الدرس، ثمّ عاد إلى تلمسان في أواخر سنة 1010هـ، وأقام فيها حتى سنة 1013هـ، وقد وُلّي الإمامة والخطابة لجامع القرويين بفاس، ثم وُلي الإفتاء، واستمر في منصبه حتى سنة 1027هـ.

رحلته إلى المشرق:

في رمضان سنة 1027هـ، ودّع المقرّي المغرب لأداء فريضة الحج، والتوجه إلى بلاد يجد فيها الاستقرار، فقصد الحجاز، ومنها إلى القاهرة، ليحضر موسم الحج مرات عديدة، ويُؤلف هناك مُؤلفات عدة، ذاع صيتها في جميع الأقطار الإسلامية في حياة المؤلف وبعد مماته.

وهناك احتمالان لارتحاله من بلده فاس؛ الأول مُتعلق بالأوضاع الاجتماعية في بلاد المغرب، وانزلاقه نحو الفتن بعد موت السلطان الذهبي، واختلاف أبنائه على الحكم، وانقسام الساحة العلمية مُمثلة في العلماء، ما بين مُؤيد، ومُعارض لأحد الطرفين، فيقول «إنه لما قضى الملك الذي ليس لعبيده في أحكامه تعقب أورد، ولا محيد عما شاء، سواء كره ذلك المرء أورد برحلتي من بلادي ونقلتي من محل طارفي وتلادي بقطر المغرب الأقصى الذي تمتّ محاسنه، لولا أنّ سماسرة الفتن سامت بضائع أمنه نقصاً، وأمّا الاحتمال الثاني في رحيل المقري إلى الشرق، فهو تعلقه بأداء مناسك الحج والعُمرة، وزيارة مكة والمدينة، فيقول «ثم شمرت عن ساعد العزم بعد الإقامة بمصر مُدة قليلة، إلى الهم العظم، والمقصد الأكبر الذي هو سر المطالب الجليلة، وهو رؤية الحرمين الشريفين».

المقرّي في الأزهر الشريف:

نـزل المقـرّي القاهـرة، وزار الأزهـر الشـريف، وقدَّم به دروساً لطلبة العلم، وبعـد مُـدة قصيـرة ركـب البحـر إلى الحجـاز، حيـث أدّى العُمـرة، وانتظـر موسـم الحج حتى أدّى الفـرض، وعاد بعد ذلك إلى مصر سـنة 1029هـ؛ وقد بهرتـه القاهـرة بمعالمها، ومحاسـنها، رغـم ما أصابها في ظـل الحكم التُّركي مـن عفـاء وتدهـور؛ وبعـد عودته من الأراضي المُقدسـة تزوج سيدة مصرية مـن سـيدات الأسـرة الوفائيـة، ولكنه زواج لـم يـدم طويلاً.

واسـتقر المقـرّي في القاهـرة طـوال هـذه الأعـوام، ولازم الـدرس والتدريـس بالجامـع الأزهـر، وتبـوأ مكانـة مرموقـة في مجتمـع مصـر العلمـي والأدبـي، وكان يمضي معظم وقته برواق المغاربـة بالجامع الأزهر، مُنقبـاً في مكتبته؛ ولاتزال هذه المكتبة تضـم مجموعـة مـن المخطوطـات النفيسـة، وتحتوي على بعـض أوراق مـن مخطـوط «الإحاطـة في أخبـار غرناطـة»، لابـن الخطيـب، وعلـى هوامشها تأشـيرات وملاحظات عدة بخـط المقرّي نفسـه.

رحلته إلى دمشق:

وفي شـعبان مـن سـنة 1039هـ/ 1639م دخـل المقـرّي دمشـق، وهـي المدينـة التي ذكَّـره عُمرانهـا وجمال مُناخِهـا بتلمسـان، وفـاس، وشـرع فيهـا بإلقـاء الـدروس بالجامـع الأمـوي، فلمـا كثـر إقبـال النـاس علـى الـدرس خـرج إلـى صحـن الجامع، المعهـد لكبار العلمـاء، وكان درسـه مقصـد أهل الفقـه والحديث واللغـة، ويبدو أنّ المقـرّي لم يجد من التبجيـل منـذ خروجـه من فـاس ما وجـده في دمشـق؛ ولعلّ هذا يُفسِّـر لنا كـمَّ المدح الهائل لدمشـق وأهلها، وذلـك بـين دفَّتي كتابه «نفـح الطيب من غصن الأندلـس الرطيب»؛ وعزم المُؤلـف علـى الرحيل إليهـا، وجعلها مُسـتقراً ومُقامـاً لـه، إلا أنّ وفاتـه سـنة 1031هـ/ 1632م حالـتْ دون ذلك، ودُفِنَ بالقاهرة.

مُؤلفاته:

روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس:

وقـد كان هـذا الكتـاب في عـداد المفقـود حتـى عَثُـر عليـه الأسـتاذ الجامعـي المغربـي عبدالهـادي منصـور في رفـوف المكتبـة الملكيـة بمدينـة فـاس، وقـد عُثِر علـى هذا الكتـاب مبتـور الجزء الأول، وقسـم مـن جزئـه الثانـي، وتبلـغ عـدد صفحاتـه 326 صفحـة مـن الحجم المتوسـط، وتبـدأ من البـاب الثاني.

فتح المتعال في مدح النعال:

يذكـر المقـرّي أنـه كان في القاهـرة، ودار حديـث بجانبـه عـن النِّعـال الشـريفة، فقـال إنـه كان قـد جمـع وهـو في المغـرب ما يُقـارب مائة بيت شـعر حولهـا، وقد اسـتغرب بعضهم ذلـك؛ وقـد جمع فيـه المؤلـف كل ما يتعلـق بالنعـال مـن حديـث شـريف ولغة وشـعر وسـيرة وتاريـخ ووصف للنعال، وبيـان لأوضاعها وأشـكالها.

أزهار الرياض في أخبار عِياض:

وكان هـذا الكتـاب اسـتجابةً لطلـب جماعـة مـن أهـل تلمسـان، الذيـن أحبّـوا أن يُؤلَّف كتـاب في تاريخ عالِم المغـرب ومُحدثـه وقاضيـه (الإمـام عيـاض بن موسـى).

رحلة المشرق والمغرب:

كان هـذا الكتاب في عـداد المفقودات، إلـى أنّ قدّمتـه حفيـدة المستشـرق جـورج ديـنان، هديـة لمكتبـة الجزائر المركزيـة، ويحتوي هـذا الكتاب، الذي ألفّـه المقـرّي، علـى معلومـات مهمـة تتعلـق بحياتـه في تلمسـان والمغـرب ومصـر والحجاز.

قطف المهتصر في أفنان المختصر.

إعمـال الذهـب والفكـر في المسـائل المتنوعـة الأحبـاس.

غلاف كتاب روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس.

غلاف مخطوط فتح المتعال في مدح النعال، جامعة الملك سعود.

غلاف مخطوط أزهار الرياض في أخبار عياض، جامعة الملك سعود.

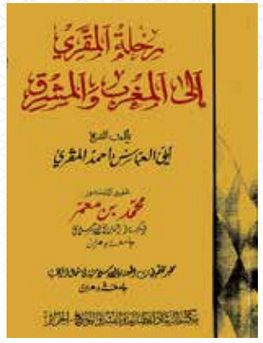

غلاف كتاب رحلة المقرّي إلى المغرب والمشرق.

نظرة عامة على أشهر مُؤلفِه الشهير «نفح الطيب»:

أثنـاء إقامتـه في دمشـق، كان المقرّي يتذاكـر مـع أدبائهـا وعلمائهـا في أخبـار الأندلـس، ويُحدّثهـم عـن تاريخهـا، وأعلامهـا، وملوكها، ويجره الحديـث لذكـر وزيرها لسـان الدين بن الخطيب، فيفيض في ذكر شـعره، ونثره، ومراسـلاته، وكتبه، وإبداعاته، فأثـار ذلـك في نفـوس أهـل دمشـق حُب الاسـتطلاع، وإماطـة اللثام عن حيـاة هـذا الوزيـر، ومـا تعلّـق بهـا مـن أمـور السياسـة والأدب، فطلبوا مـن المقـرّي مؤلفـات حـول هـذه الشـخصية، وكان مـن المُلحِّـين عليه ابن شـاهين، فيقـول المقـرّي «فطلب منـي المولـى أحمـد بـن شـاهين، إذ ذاك، وهـو الماجد المذكور، ذو السـعي المشـكور، أن أتصدى للتعريف بلسان الديـن في مُصنّـف يُعـرف عن بعض أحوالـه، وأنبائه، وبدائعـه، وصنائعه، ووقائعـه مع ملـوك عصـره وعلمائه وأدبائه..».

وقـد كان المقـرّي موسـوعياً؛ ومـن أفضـل الطبعـات التـي ظهـرت مـن نفـح الطيـب التـي أشـرف عليها كل

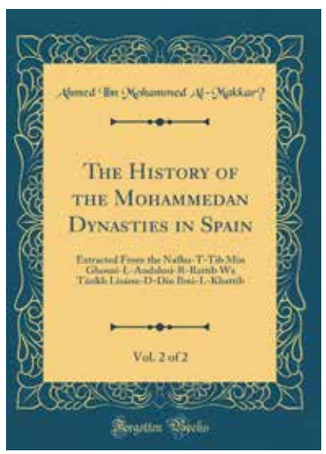

غلاف كتاب
The history of Mohammedan dynasties in Spain

مـن دوزي ودوجـا، عـام 1855م، ولم تشـمل إلا القسـم الأول؛ ثـم صـدر عـن المطبعـة الأميرية ببـولاق طبعة أخرى في القاهرة سـنة 1858م؛ (وقد طالعـت نسـخة مـن طباعـة المطبعة الأزهرية عـام 1302ه/ 1885م، وذلك عـام 2007م في مكتبـة ملـوي العامة بصعيـد مصـر، وهـذه النسـخة كان بهامشـها مُؤلـف السـخاوي «تُحفـة الأحبـاب وبُغية الطـلاب في الخطط والمزارات».

وفي عـام 1840م تُرجِم القسـم الأول مـن نفـح الطيـب إلـى الإنجليزيـة، بقلـم المستشـرق الإسـباني جاينوس تحـت عنـوان «the history of Mohammedan dynasties in Spain»، كمـا ترجـم للمقـرّي أكثـر مـن مستشـرق، مثل فسـتنفلد في كتـاب «مؤرخو العـرب» بالألمانية، وبروكلمـان في «تاريـخ الأدب».

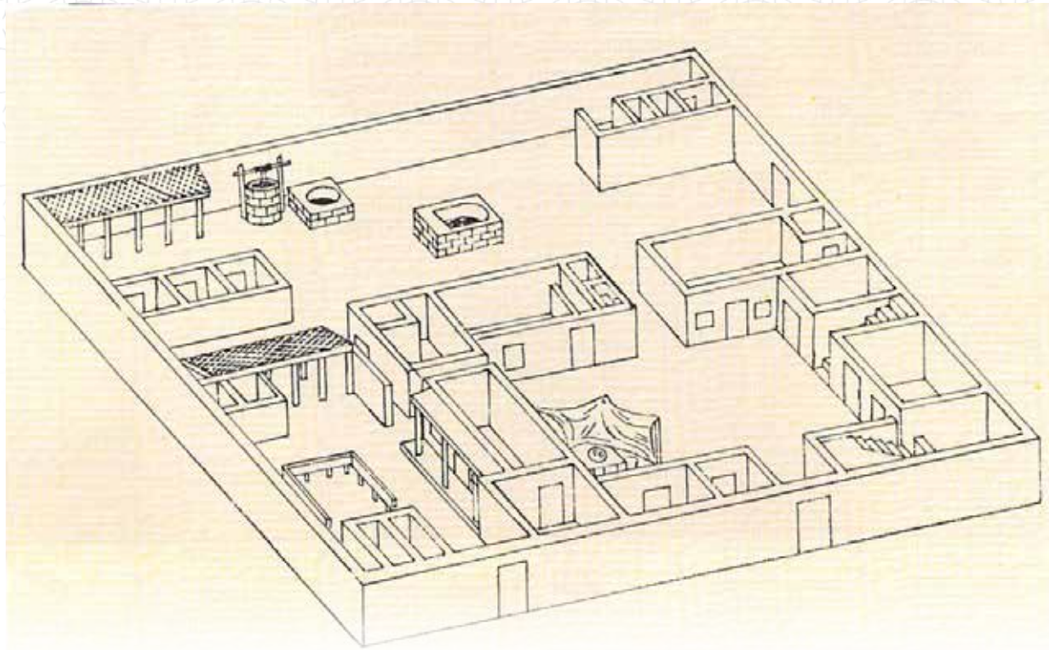

أهمية الحوش في البيت الخليجي القديم

إن المـوروث الثقافـي، والطبيعـة المناخيـة لـدول الخليـج، فرضـا شـروطهما علـى النمـط المعمـاري المنتشـر فـي المنطقـة، فالمسـكن الخليجـي يعتمـد الشـروط التـي تضمـن إنشـاء مـأوى للعائلـة يقـوّي الروابـط العائليـة والعلاقـات الاجتماعيـة ويصونهـا، ويحافـظ علـى المـوروث الثقافـي، والقواعـد الشـرعية فـي الحيـاة والسـلوك والتفاعـلات اليوميـة، ويحمـي خصوصيـات سـاكنيه، ويضمـن لهـم الأمـن والسـلامة ماديـاً ومعنويـاً.

الزبير مهداد
كاتب وباحث - المغرب

فالعمـارة التقليديـة الخليجيـة تؤطرهـا القيـم الثقافيـة والظـروف المناخيـة التـي تتجسـد فيهـا بوضـوح، ويمكـن للمتفحـص الذكـي أن يسـتنبط منهـا دلالاتهـا العميقـة، فالبنـاء بسـيط عمومـاً، وكل جـزء منـه ذو وظيفـة محـددة، مسـتغلة بشـكل جيـد. بعيـداً عـن أي هـدر للإمكانـات والمـوارد الطبيعيـة أو الفضـاءات الجغرافيـة. والمسـاكن الخليجيـة عمومـاً، تشـترك في حجمهـا وعناصرهـا الأساسـية، ومـا قـد يظهـر مـن اختلافـات في بعـض المبانـي فهـو ضئيـل، ولا يتخـذ مقياسـاً.

البيت الخليجي

المسـاكن الخليجيـة القديمـة عبـارة عـن مبـان متلاصقـة، مرتبطـة ببعضهـا بعضـاً، ومـن طابـق واحـد، يبـدو الجـدار عاليـاً لاتصالـه بمـا يسـمى «الـدروة» أو «الـوارش»، وهـي حاجـز جـداري قصيـر يحيـط بكامـل السـطح، وروعـي فيهـا الارتفـاع المناسـب لحجـب الرؤيـة، تتخللـه فجـوات تسـمح بمـرور الهـواء، وتخترقـه مـزاريم خشـبية تحمـل ميـاه الأمطـار لتفرغهـا في الشـارع.

أمـا تصميـم المسـكن الخليجـي فهـو يفـي بوظائـف اقتصاديـة واجتماعيـة ومناخيـة عـدة، فمـن صفاتـه قلـة النوافـذ الخارجيـة، والبـاب «بوخوخـة» أو «الفرخـة»، والغـرف تحيـط بالحـوش الداخلـي وتنفتـح عليـه، إلـى جانـب المـواد التـي يبنـى بهـا المسـكن، وهـي مـواد تتيحهـا البيئـة المحليـة، ولا تشـكل تهديـداً للمـوارد الطبيعيـة ولا تلوثهـا.

وهـذه المسـاكن تتألـف في الغالـب مـن طابـق واحـد، وعلوهـا أربعـة أمتـار، إلا أنهـا تبـدو للرائـي أعلـى مـن ذلـك، بسـبب جـدار «الـدروة» الـذي يحيـط بالسـطح الـذي يسـتعمل للنـوم صيفـاً، ويبنـى عاليـاً؛ ليمنـح مزيـداً مـن الظـل للحـوش في الداخـل.

ويتكوّن المدخـل مـن عنصريـن، هما البـاب والدهليـز:

فالبـاب علـى اتصـال مباشـر بالخـارج، فهـو كبيـر الحجـم، مـن درفتيـن اثنتيـن، يفتـح بكاملـه عنـد إخـراج قطيـع المواشـي الـذي تملكـه الأسـرة أو إدخالـه، أمـا الأفـراد فيسـتعملون درفـة واحـدة للخـروج والدخـول، أو «الخوخـة» التـي تمنـع دخـول الزواحـف والهـوام غيـر المرغـوب فيهـا، والتـي لا تخلـو منهـا المناطـق الحـارة.

ويـؤدي البـاب إلـى الممـر، أو مـا يعـرف بالدهليـز أو المجـاز أو المدخـل أيضـاً، الـذي روعـي في تصميمـه مبـدأ الخصوصيـة، حيـث شـاع اسـتخدام المداخـل المنكسـرة التـي تحـدد زوايـا الرؤيـة، بعـض المداخـل تزيـن بالأقـواس، وأحيانـاً كانـت تعلـو المداخـل فتحـة ضيقـة ينفـذ منهـا الضـوء. المداخـل عمومـاً رطبـة معتمـة واطئـة الارتفـاع، تقـوم بوظيفـة العـزل الصوتـي بيـن داخـل المسـكن وخارجـه، ويوصـل الزائـر إلـى الحـوش المضيء، والجميـل بمزروعاتـه وتهويتـه.

يحتـل الدهليـز أهميـة خاصـة في تصميـم المنـزل الخليجـي، فهـو يلـي البـاب، ويصلـه بالحـوش، ويعـد فضـاء يفصـل بيـن المسـكن وخارجـه، يحافـظ علـى حرمـة الحيـاة الخصوصيـة لأهـل المسـكن، لأنـه يحجـب رؤيـة مـا في المسـكن مـن الخـارج، كمـا أنـه يسـتر الحـوش، ويوفـر الأمـن لكامـل المسـكن؛ لأنـه مراقـب مـن الداخـل مـن خـلال الحـوش. ويـؤدي أيضـاً دور فضـاء الانتظـار لمـن يطلـب مـن الـزوار أو الطارئيـن الإذن بدخـول المنـزل. فقـد جـرت العـادة لـدى الضيـوف الداخليـن للبيـت، أن يقفـوا عنـد الدهليـز، ليصـدروا صوتـاً كالنحنحـة أو السـلام أو إلقـاء التحيـة، ليعلمـوا أهـل البيـت بوجودهـم، ويعرفـوا بأنفسـهم، بالخصـوص الأقـارب الذيـن يمكـن معرفتهـم مـن أصواتهـم، كمـا قـد يتوافـر البيـت علـى أكثـر مـن مدخـل، كأن يكـون هنـاك مدخـل لأهـل البيـت، وآخـر للخـدم، ومدخـل للضيـوف يـؤدي إلـى المجلـس مباشـرة.

الحجاب والانفتاح على الداخل

إن مـن أهـم الخصائـص المميـزة لعمـارة الخليـج، خاصيتـي الحجـاب والانفتـاح علـى الداخـل:

فقـد راعـى الخليجيـون الحجـاب في بنـاء بيوتهـم قديمـاً، وتبـدو البيـوت للأعيـان قديمـاً كأنهـا عاليـة، وذلـك لارتفـاع جدرانهـا، وغالبيتهـا مـن طابـق واحـد، خاليـة مـن النوافـذ الخارجيـة، فالنوافـذ الخارجيـة قليلـة، وإن وجـدت فهـي خاصـة بالديوانيـات، وتقـام عاليـاً في الجـدار، مرتفعـة عـن مسـتوى النظـر. وظيفتهـا محـددة في تجديـد تهويـة البيـت وتوفيـر الإضـاءة النهاريـة.

أمـا الانفتـاح علـى الداخـل فيتجلـى في النوافـذ والمطـلات العاديـة لسـائر الغـرف، فهـي تتجـه نحـو فنـاءات المنـازل

الداخلية «الحوش»، حفاظاً على خصوصية السكان وحرمتهم، وضماناً لحد أدنى من الأمن. فالإيوان «الليوان» أو «المقعد» الذي يستخدم كذلك كمكان للجلوس واستقبال الزوار المقربين لأهل البيت، يمثل عنصر الاتصال بين الفراغات المطلة على الفناء الأوسط ببعضها بعضاً، ويلبي الحاجة الإنسانية إلى الظل، خاصة في ظل ظروف مناخية شديدة الحرارة.

فجميع نوافذ البيت تكون من الداخل، وتطل على الحوش الذي يتوسط المنزل، ويشكل قلبه الحي النابض بالحركة. وكل البيوت تتوافر على حوش رئيس، وبعضها يتوافر على أكثر من حوش واحد، حيث نجد فيها حوشاً للديوانية، وآخر للحريم، وثالثاً للمطبخ أو للحضيرة وهكذا، لكن ذلك لا يكون سوى في بيوت الأثرياء، وهي قليلة.

في منتصف الحوش الرئيس توجد بئر للاستعمال المنزلي، ولري أغراس الحوش، أو «البركة» وتنطق في الكويت بجيم مصرية، وهي مكان لتجميع مياه الأمطار في فصل الشتاء وتخزينها لأجل استعمالها في فصل الصيف، ولا يكاد بيت يخلو منها قديماً.

في زاوية من الحوش، يوجد «العريش» وهو حيز مسقوف، بأعواد قصب البردي والباسجيل (شرائح القصب) مغطاة بـ(الباري)، ترتكز على أعمدة الجندل. مفتوح من كل جوانبه، تمارس فيه أنشطة عدة في فصل الصيف كالنسيج والغزل، وأحياناً يتخذ في زاوية منه موقد أو مكان للرحى.

وظائف الحوش

والفناء «الحوش» أو «الحوي» أو «الصحن» هو أهم ما يميز التصميم التقليدي، أحد القواسم المشتركة في بناء وتشكيل البيوت التقليدية في الخليج بوجه عام. فهو عنصر الاستعاضة عن المظلات الخارجية لتوفير مبدأ الخصوصية، ومصدر ربط أجزاء المبنى الداخلي ببعضها، وفق تدرج فراغي، حسب طبيعة الوظيفة، وتصميمه بالعمارات التقليدية لا يخضع لقاعدة شكلية ثابتة.

يؤدي الحوش في البيت الخليجي وظائف بيئية مناخية واجتماعية ونفسية عدة، فالسكن ذو الحوش هو الفضاء العمراني الملائم الذي يتناسب مع المتطلبات الاجتماعية والثقافية والمناخية لسكان المناطق الحارة.

الحوش مكان فسيح ورحب، وظائفه تستجيب لاحتياجات الأسرة، في ظل مختلف الظروف المناخية، وفصول السنة. فهو بمثابة قلب البيت الذي ينبض بالحركة، ويوزع دماء الحياة من ضوء وهواء في سائر أجزاء المسكن، ففيه يلتقي أفراد الأسرة، ويجتمع الكبار بالصغار، ومنه ينطلقون إلى الخارج، وإليه يؤوبون، وفي أفيائه تستقبل الأسرة زوارها، وتقيم أفراحها. ويتحرك فيه الأطفال ويمارسون فيه ألعابهم، هذه الحياة الاجتماعية التي

يواكبها الأطفال، وتفاعلاتهم معها، ومع الراشدين، ومع أقرانهم، تتم بمراقبة وإشراف الأهل، وتلعب دوراً مهماً في تنشئتهم وتكوين شخصياتهم، وإدماجهم الاجتماعي.

هذه الحياة في كنف مثل هذه البيوت، تشعر الفرد بالأمن النفسي والرضا، وترسخ ارتباطه بأسرته، وتقوي علاقته بها، كما أن الاتصال الدائم والتفاعل القوي بين الأجيال من الجد إلى الأحفاد، في فضاء البيت الواحد الممتد، يساعد على تثبيت الهوية في ذات النشء، وتشربه الثقافة المجتمعية بما تتضمنه من لغة وعادات، وقواعد السلوك الأصيلة المتوارثة، وهو أمر في غاية الأهمية الاجتماعية والحضارية.

أما عن الوظائف البيئية والمناخية للحوش، فهو يزود البيت بالإضاءة الشمسية الطبيعية، ويمده بالهواء المتجدد دوماً، من خلال حركة دوران الهواء في الحوش ودخوله إلى الغرف، ويتغير الهواء باستمرار طيلة اليوم، فيحل الهواء النقي المشبع بالأكسجين محل الهواء المستعمل المشبع بثاني أكسيد الكربون والروائح المزعجة المنبعثة عن المطبخ أو غيره. فينتشر في كل الغرف المنفتحة على الحوش.

كما أن أشعة الشمس الساقطة على الأرض تختلف باختلاف المنطقة، ما يؤدي إلى فرق الضغط الجوي بين المناطق، فيتحرك الهواء. وحركة الهواء البارد إلى الأسفل والهواء الساخن إلى الأعلى ينتج عنها تيارات الهواء، كما أن الحوش يكون في الغالب محاطاً بما يسمى «الليوان»، يحمي الغرف من الشمس، ما يؤدي إلى اختلاف درجات حرارة الهواء، ويدفعه إلى التحرك. والخليج بحكم موقعه الجغرافي، فإنه يعرف تبدلاً في حركة التيارات الهوائية، فطيلة النهار، تشهد المنطقة انتقال نسيم البحر المشبع برطوبة البحر إلى البر، أما عند حلول الليل، فيتجه نسيم البر الساخن والجاف إلى البحر. وحركة هذه التيارات تنعش الفضاءات الداخلية التي تمر بها، والفرق الحراري الكبير بين الليل والنهار هو ظاهرة مناخية مهمة يعتمد عليها الفناء في أداء وظيفته، وهي القاعدة التي يتأسس عليها إحداث الحوش في بيوت المنطقة.

إن المنزل الخليجي التقليدي متوائم بشكل جيد مع مناخ المنطقة الحار وشبه الجاف. ويعنى بشكل جيد بتوفير الراحة الفيزيولوجية للسكان، كما يعنى بحاجاتهم النفسية والروحية وثقافتهم الاجتماعية، ويراعي الضوابط الشرعية. إلا أن التحول الاجتماعي الذي أملاه العصر الحديث، اقتضى انتقالاً من نظام الأسرة الممتدة التي تتطلب بيتاً كبيراً يؤوي الوالدين وأبنائهما المتزوجين وأولادهم، إلى نظام الأسرة النووية، ما حتم التخلي عن البيت الكبير الذي يحتوي الحوش، واستبداله بمنزل أصغر، أو شقة في عمارة، تتسع لعدد أقل من الأفراد.

التناص بين الشعر الملحون والشعر الفصيح

يحتل الشعر النبطي أو الملحون مكانة كبيرة في كثير من البلدان العربية؛ لاسيما الخليج العربي الذي يعد بيئة حاضنة للإبداع في مجال الشعر الملحون، ويبدي المجتمع الرسمي وغير الرسمي هنا اهتماماً كبيراً في ظاهرة الشعر الملحون؛ من خلال البرامج التي ترعى المواهب الإبداعية، وتناقش الموضوعات التي يتطرق لها الشعراء، والمسابقات التي ترعى التنافس بينهم؛ كشاعر المليون وغيره من البرامج التي تنظمها مؤسسات كُبرى، ويحكّم فيها خبراء وأسماء لامعة، لها مكانتها الاجتماعية والعلمية في المجتمع العربي والخليجي خصوصاً.

د. مهدي عواد الشموط
محاضر لغة عربية
في كليات التقنية العليا

وقد يسأل سائل من أين جاء هذا الشعر؟ وكيف وصل إلينا؟ وما جذوره؟ وهل هنالك علاقة بين الشعر النبطي من حيث التناص والتلاص؟ وهل المعاني التي جاء بها شعراء النبط تختلف عن معاني الشعر التي قال بها شعراء الفصيح؟ وهل التجديد الكامن في القصيدة النبطية هو تجديد في الشكل أم في الشكل والمضمون؟

وسأحاول بهذه المقالة أن أجيب باقتضاب عن كل واحدة من هذه الأسئلة، مستشهداً بما يحضرني من أمثلة أدلل من خلالها على ما أقول.

فالشعر النبطي – كما يعرّفه ابن خلدون ــ بأنه شعر موزون يخضع لقواعد البلاغة العربية، ولا يخضع لنحوها؛ أي أن هذا الشعر فيه وزن وقافية وبلاغة، وليس فيه قواعد نحو كما في الشعر الفصيح، ومرد ذلك إلى تأثير العامية فيه؛ فهو يسمى الشعر الملحون والشعر النبطي، ومن المعلوم أن هذا الشعر يعتمد على اللهجة وعلى الإلقاء؛ فهو في غالبه سماعي يؤثر فيه النطق؛ لذلك نحن نستسيغ هذا الشعر إلقاء أكثر مما نستسيغه قراءة؛ لأن قراءته تعتمد على الإلقاء الذي يعد فناً يبدع فيه من يعرف اللهجة المحلية، وهذا بالطبع لايعني أن هذا الشعر سماعي فقط، ولكن هنا نشير إلى أن إلقاءه يتطلب مهارة تضيف جمالاً إلى جماله حين يصدر من شخص يعرف معانيه ولهجته، ويستغل فنيّة الإلقاء لإظهار محاسنه وجماله.

أما من ناحية العلاقة بين الشعر النبطي والفصيح، فغالب الظن أن الفصيح يسبق الشعر الملحون، وأن الأصل هو الفصيح، وأن الشعر الملحون جاء بعد أن استشرى اللحن في العربية؛ فنتج عن ذلك اللهجات، وكان من نتاج تلك اللهجات الشعر الملحون أو النبطي، وقد يكون هناك علاقة بين الزجل الأندلسي، وبين الشعر الملحون؛ فكلاهما يتخفف من القواعد النحوية، ويميل إلى استخدام العامية في التعبير الشعري القائم على الوزن والقافية، والمتخفف من القواعد النحوية.

أما عن العلاقة بين الفصيح والعامية من ناحية التناص والتلاص؛ فمما لاشك فيه أن المعاني التي خاضها الشاعر النبطي، هي نفسها المعاني التي تناولها الشاعر الفصيح؛ كالمدح والذم والرثاء والوصف والغزل والشكوى والحكمة والفخر، وهذه المعاني العامة التي يدور في فلكها كلا الشاعرين؛ الفصيح والنبطي. أما من حيث التلاص والتناص ــ إن جازت العبارة ــ فإن أحسنّا الظن فسنقول: إن ثمة تناص بين الفريقين؛ وهذا بالطبع نلاحظه حين ننظر بعمق إلى القصائد النبطية، وعادة ما نرى تشابهاً كبيراً في مضامينها ومعانيها الخاصة والعامة، فمثلاً المتنبي يقول:

لولا المشقة ساد الناس كلهم

الجود يفقر والإقدام قتّال

والشاعر رثعان بن ماضي يقول:

نصيد بالغرات ومرات ننصاد

ومن كثر الصيدات لازم يصادي

لو المرجلة حصّله كل من راد

ما لقي بعيال الحوامل نوادي

فالمتنبي يبين أن كل الناس يحبون السيادة، ويشق عليهم ذلك؛ لأن الجود قد يؤدي إلى تلف المال، والشجاعة قد تؤدي إلى فقدان النفس، والفكرة نفسها هي التي يدور حولها الشاعر النبطي رثعان بن ماضي، حين يقول لو كل شخص حصّل (المرجلة)؛ أي الرجولة بمعانيها التي لا تخفى على أحد؛ كالشجاعة والإقدام، لما كان هناك تفاوت بين الناس؛ لذلك ندر من يحقق المرجلة؛ لأنها تحتاج إلى تضحية وبذل وكرم، ولا يحقق هذا المعيار إلا قلة من الرجال.

والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها ـ مثلاً ـ ما جاء عند الشاعر حميدان الشويعر:

أنا أدري بعلم اليوم والأمس بما جرى

وباكر بغيب والأمور وقوع

فإنه (يتناص) مع قول زهير بن أبي سلمى:

وأعلم ما في اليوم والأمس وقبله

ولكنني عن علم ما في غد عمي

والواضح أن الشاعر النبطي هنا متأثر بزهير، إلا أنه يضيف والأمور وقوع؛ أي أن الأيام تأتي بالمفاجآت.

ومن ذلك أيضاً ما جاء عند الشاعر محمد القاضي:

إلي حصل لك ساعة وأنت مشتاق

فاقطف زهر مالاق، والعمر ملحوق

فإنه يتناص مع قول الإمام الشافعي:

إذا هبت رياحك فاغتنمها

فإن لكل خافقة سكون

وهنا أيضاً تناص واضح بين المعنى الفصيح والمعنى النبطي، فكلاهما يطلب من السامع استغلال اللحظة التي يكون فيها الحظ مع المرء؛ لأنك لا تعلم عن القادم.

ولابد من الإشارة إلى أن بعض شعراء الفصحى تأثروا بالشعر النبطي، وهذا من قبيل التأثير العكسي - إن جاز التعبير - ومن ذلك تأثر إيليا أبوماضي في قصيدته الطين:

نَسِيَ الطينُ ساعَةً أَنَّهُ طينٌ

حَقيرٌ فَصالَ تيها وَعَربَد

وَكَسى الخَزُّ جِسمَهُ فَتَباهى

وَحَوى المالَ كيسُهُ فَتَمَرَّد

يا أَخي لا تَمِل بِوَجهِكَ عَنّي

ما أَنا فَحمَة وَلا أَنتَ فَرقَد

وقد أشار روكس بن ساعدة العزيزي إلى أن إيليا قد أغار على قصيدة علي الرميثي العنزي، التي يبدؤها بقوله:

يا أخوي ما انا فحمة ما بهاسني

ولا أنت شمس (ن) تلهب الدو بغياه

وكتب ذلك تحت عنوان «فريسة إيليا»، فقد ذكر أن والد إيليا كان بائعاً تاجراً، وكان البدو يأتون إليه؛ فسمع منهم هذه القصيدة، فقام إيليا بتحوير المعنى وتحويله إلى قصيدته ذائع الصيت (الطين).

ومهما يكن من أمر فلست في صدد الحكم على تأثر إيليا أو سرقته، بقدر ما نحن هنا نشير إلى التأثر والتأثير وبيان علاقة الفصيح بالنبطي، وأن كلاهما يتأثر بالآخر، ويأخذ منه.

أما من ناحية التجديد في الشعر النبطي، فإن المتابع للساحة الشعرية النبطية يلاحظ تجديداً في معانيه وأسلوبه؛ وذلك أن يعمد الشاعر النبطي إلى تضمين شعره النبطي بشعر فصيح، أو إدخال لفظة من لهجة شامية مدنية أو مصرية أو مغربية في قصيدته النبطية، وهذا إبداع تفرد فيه غير شاعر أعطى نكهة خاصة لمتذوقي الشعر، أما من ناحية التجديد في المعاني، فإننا نجد أن شعراء النبط أدخلوا ألفاظ التكنولوجيا في قصائدهم؛ كالإنستجرام والسنابشات والواتس، وغير ذلك، مما يدل على أن هذا الشعر يواكب الحاضر، ولا يسبح ضد التيار.

وقبل أن أنهي هذه المقال أشير إلى عبارة مهمة مفادها «أن العامية بنت الفصحى»، وأن غياب الفصحى في الاستخدام اليومي ساعد إلى حد كبير على دعم اللهجات المحلية، وساعد على تطوّر الشعر الملحون أو النبطي، وأن ذائقة الجمهور العربي ذا الطبيعة البدوية تميل إلى هذا الفن، وتعده موروثاً يجب الحفاظ عليه، والإبداع به، وأن تطور وسائط التكنولوجيا المرئية والمسموعة قد ساعدا على نشر تلك القصائد.

النسيج..

عندما يربط بخيوطه الماضي بالحاضر

عندما نبحث في الحاضر عمّا نظن أنه مفقود، ونستحضر من الماضي ما نعتقد أنه موجود، نكون حينها أمام ذلك الفن القديم، الجديد والمتجدد الذي دام حقباً، وعاش زماناً، فتواصل بخيوطه عبر العصور عراقة وابتكاراً، رسماً وألواناً، حرفة وصناعة، إبداعاً وابتداعاً، فأنعش خيال الشعوب، وجدّد تقاليدها، وبعث الدفء في حياتها.

صبحة بغورة
باحثة – الجزائر

إنها تلك الصناعة التي عرفها العالم منذ فجر التاريخ، وبرعت فيها أيادي الإنسان منذ أقدم العصور، إنه النسيج الذي كان الفن له عاملاً أساسياً في حفظه كتراث إنساني، ومقوماً لخلق الشخصية المتميزة، ومظهراً حياً للتقريب بين المثل العليا للشعوب، ألّف بين مشاعرها فتعاونت الأمم على إنماء مقومات الفكر الإنساني، وترقية مجالات الثقافة وتطوير الفنون العالمية.

كانت صناعة المنسوجات من الصوف والكتان والكتان الأبيض من الصناعات المزدهرة في مصر منذ عصر الفراعنة إلى العصر المسيحي، وكان الأقباط يجيدون زخرفة المنسوجات برسوم الأشخاص والطيور بأسلوب بيزنطي، وبرع الإيرانيون في نسج الحرير، وبلغت صناعة المنسوجات الحريرية والصوفية الموشاة بالذهب أعلى مراتبها، وأقبل الرومان على اقتناء المنسوجات الإيرانية

حتى العصر البيزنطي، وفي سوريا اشتهرت المنسوجات الحريرية الدمشقية، وفي العراق كان «الموسلين» من أفخر ما تنتجه مدينة الموصل، وفي الأندلس اشتهرت غرناطة بالمنسوجات التي عرفت باسم «جرينادين»، كما اشتهرت منطقة كشمير في الهند بنسيجها المميز الذي سمي باسم المنطقة، وفي منطقة شمال إفريقيا ظهرت أجمل المنسوجات البديعة الصنع، الموشاة بالقصب الملون والزخارف النباتية والزهور والطيور، وازدهرت صناعة السجاد، التي تميزت بدقة الصنع والألوان والزخارف المتنوعة، كما رافقت حرفة النسيج تعاقب الأجيال، ومثلت لهم رمز الأصالة الفنية التقليدية المحسوسة، والتراث المادي العريق الموروث عن الأجداد، الذي ارتبط كثيراً، في ماضيه وحاضره، بأنامل المرأة وبراعتها الحرفية، فنسجت خيوطها قصة، وكان لكل لون مغزاه ومعناه، تحكي النساء قصصها بفخر، وتتفنن في رسمها بحب، فأسهمت النساء في رسم ملامح الحضارات، وكتبت تاريخها لأجيال صار واجباً عليها أن تحفظها وتحافظ عليها لإثبات الوجود، وتأكيد الهوية، وتثبيت الشخصية. لقد ظلت المرأة منذ القدم تزود هذه الصناعة من روحها، وهي اليوم من وراء جدران بيتها تخرج للعالم ما تسترجع به التراث القديم، تحكي به ومنه قصة منطقتها.

عندما مثل اللباس والفراش والغطاء حاجة أساسية للإنسان، فرضت صناعة النسيج نفسها كأقدم الصناعات التي عرفتها البشرية، وصارت عملية النسج بمختلف المواد، وبطرق عدة، تنوعت من بلد لآخر، بالاعتماد على النسج اليدوي؛ لتوفير المتطلبات الحياتية من البسط والسجاد، والفرش ذات الرسوم التقليدية المميزة، وكلها تحمل معاني في عادات الشعوب تزيدها جمالاً، ويختلف مصدر خيوط النسيج بين النباتات والألياف الطبيعية، كالقطن والكتان، والحيوانية كالصوف والوبر.. والحرير.

وفي شمال إفريقيا برعت النساء في هذه الصناعة، وأتقنّها بحرفية وتميز وفن، وتحديداً في الجزائر، حيث برز نسيج سجاد الزرابي المصنوع من الصوف أو وبر الجمال منذ خمسة آلاف سنة، من خلال ستة أنواع رئيسة تنسج بالصوف الخالص، وحسب الطلب، وحسب النوعية، حيث يتم شد خيوطها بدقة كبيرة لإنجاز

صناعة الزرابي في الجزائر

الرمـوز والأشـكال الهندسـية التقليديـة التـي تميـز كل زربية بمفردهـا، بما تعبر عنه من الأدوات القديمة التي كان يستخدمها السكان المحليون الأمازيغ، مثل الغربال والفانـوس وآلـة تصفيـة الصـوف، وتسـمى القـرداش، وتسـتعمل في عمليـة النسـج، وهـذه الأنـواع هـي: زربيـة «بابـار» الأمازيغيـة بشـرق البـلاد، وزربيـة «النمامشـة» و«الحراكتـه» بالجنـوب الشـرقي، وهـي من السـجاد الرفيـع المصنـوع مـن الصـوف الخالـص، وزربيـة «العمـور» وهـو سـجاد عربـي تنتجـه القبائـل في غـرب البـلاد، وزربيـة «الحنبـل» بمنطقـة سـيدي بلعبـاس في الجنـوب الغربـي، وتحمـل نقوشـاً ورمـوزاً وألوانـاً لهـا دلالات اجتماعيـة عميقـة، وأبعـاد إنسـانية معبّـرة عـن طبيعـة العلاقـات الزوجيـة والوحـدة الأسـرية، والتماسـك العائلـي، مـن خـلال النشـاط اليومـي المعتـاد لأفرادهـا؛ لتعكس بذلـك، وعـن حـق، تـراث الجزائـر الأمازيغـي القـديم، والبربـري المحافـظ، هـذا بالإضافـة لأنـواع أخـرى مثـل زربيـة «نورسـاد» بولايـة قالمـة، وزربيـة «قرقـور» بولايـة سـطيف، وزربيـة «فاتيسـت» بولايـة أدرار بأقصـى الجنـوب الغربـي مـن الصحـراء، وزربيـة قبائـل بنـي ميـزاب بولايـة غردايـة في جنـوب البـلاد التـي تتميـز بكثافـة الزخـارف الأشـكال الهندسـية البسـيطة في تصميمهـا، ورسـومات لحيوانـات بألـوان حـارة، مثـل الأحمـر والأصفـر والبرتقالـي، وفي غردايـة تملـك كل عائلـة منسـجاً أو «نـولاً» خاصـاً بهـا، ويعـد المنسـج أو النـول قطعـة أساسـية في الأثـاث المنزلـي في كل بيـت، ومـا يعكـس قـوة تعلـق سـكان ولايـة غردايـة بالزرابـي تخصيـص عيـد سـنوي يقـام بالمدينـة «عيـد الزربيـة» يعـد مـن أكبـر أسـواق الزرابـي في البـلاد، وكل ألـوان نسـيج الزرابـي طبيعيـة، إذ يتـم اسـتخلاصها مـن المـواد الطبيعيـة والأعشـاب، مثـل حـب الرمـان لتثبيـت الألـوان، ومـن عشـبة شـقائق النعمـان للـون الأحمـر القرميـدي، وحجـر النيلـة لاكتسـاب اللـون الأزرق، وحجـر المغـرة للحصـول علـى اللـون الأسـود، وعـود شـجر الجـوز البنـي.

و«غردايـة» مدينـة مصنفـة ضمـن التـراث العالمـي، سـكانها خليـط مـن عـرب الشـعابنة والأمازيـغ الإباضيـين، وتعـرف بمدينـة القصـور التاريخيـة، المعروفـة بقصورهـا المتعـددة، منهـا قصـر غردايـة، وبنـي يزقـن والقـرارة، وحافظـت المدينـة علـى طابعهـا العمرانـي طيلـة قـرون، وعلـى نظامهـا الاجتماعـي، كمجتمـع يتسـم بالتـآزر والتآخـي والمحافظـة علـى الديـن، حيـث لا يمكـن رؤيـة أي متسـول في طرقاتهـا أو لصـوص في المدينـة، وتشـكل السـجادة المحليـة أو الزربيـة التقليديـة المعروفـة باسـم زربيـة «بنـي يزقـن» المنسـوجة مـن الصـوف الخالـص لوحـة فنيـة وتصويريـة رائعـة، ومثلهـا مثـل النمـط العمرانـي للمدينـة وهويتهـا، تعكـس مهـارات ورفاهيـة المجتمـع، وصناعتهـا حرفـة تبـدع فيهـا نسـاء غردايـة بثقافـة زاخـرة بفسيفسـاء مـن مخيلـة جماعيـة، والناسـجات فنانـات حقيقيـات يبـرزن مـن خـلال هـذه الحرفـة الأصيلـة، مـا يتمتعـن بـه مـن خيـال ذاتـي تبـدع منـه أصابعهـن أشـكالاً متنوعـة في غايـة الدقـة والـذوق الفنـي، والعـادة أن تحمـل كل عـروس إلـى عريسـها يـوم زفافهـا أحلـى زربيـة صنعتهـا أناملهـا التـي تحمـل رسـومات المنطقـة بأشـكال هندسـية متنوعـة ومثلثـات ومعينـات ورسـوم أخـرى نمطيـة برسـم مركـزي يشـبه النبـات، وشـكل معبـر عنـه بصـف مـن النخيـل مـع لونـين أبيـض وأسـود، وقـد كان السـياح يقبلـون بلهفـة علـى تفحصهـا، وتأمـل زخارفهـا وملامسـته بـكل إعجابـاً، ويقدمـون علـى طلبهـا وشـرائها.

والزربيـة التقليديـة التـي تنسـج عـادة علـى سـطح أبيـض، برموزهـا الخاصـة والمعبـرة عـن البعـد الاجتماعـي والثقافـي والتاريخـي للمنطقـة، تحتفـل بهـا مدينـة غردايـة كل سـنة «بعيـد الزرابيـة»، وتهـدف المناسـبة التراثيـة إلـى ترقيـة

مهـارات الناسـجات مـن مختلـف مناطـق البـلاد، وهـو تـراث غنـي برمـوز تحكـي تاريـخ أمـة.

وفي شـمال البـلاد بمنطقـة قبائـل البربـر السـاحرة بجمـال طبيعتهـا وطيبـة سـكانها، وتحديـداً بولايتـي بجايـة وتيـزي وزو، حيـث تتناثـر فيهـا القـرى الجبليـة والمداشـر علـى مرتفعـات جرجـرة الشـاهقة، مشـكلة فسيفسـاء رائعـة مـن المنـازل القرميديـة المصنوعـة مـن حجـارة وصخـور المنطقـة؛ لتظـل صامـدة علـى طـول الدهـر، وحافظـة للعـادات والتقاليـد العريقـة، يظـل نسـج السـجاد والزرابـي نشـاطاً رئيسـاً بـارزاً، إذ لا يـكاد يخلـو منـزل مـن منـازل هـذه القـرى مـن منسـج، وتخصـص عـادة غرفـة في الـدار لهـذا الغـرض، يثبـت فيهـا المنسـج بأعمـدة خشـبية مـن أشـجار البلـوط، تثبـت في السـقف، ثـم تقـوم النسـوة بوضـع الخيـوط الرفيعـة بشـكل تـوازي مـن الأعلـى إلـى الأسـفل، فيتشـكل لنـا المنسـج، إنـه في الحقيقـة مـكان رائـع مـن البيـت الأمازيغـي لتمضيـة الوقـت في أمسـيات الشـتاء البـاردة، حيـث تلجـأ الجـدات والنسـوة، وحتـى الفتيـات الصغيـرات، إلـى المنسـج، ويشـرعن في عمليـة النسـج التـي تعتبـر نشـاطاً ممتعـاً للغايـة، في جـو تسـوده الأغانـي الأمازيغيـة التـي تكـون عـادة عبـارة عـن مدائـح دينيـة.

وفي غرفـة المنسـج تتقاسـم النسـاء القبائليـات الأدوار، حيـث تقـوم بعضهـن بغـزل الصـوف بوسـاطة أداة تسـمى القـرداش، وأخريـات يغزلـن خيوطـاً ناعمـة، وأخريـات ينسـجن ويهذبـن مـا نسـجنه بوسـاطة مشـط حديـدي يحـدث صوتـاً دافئـاً دفـء أجـواء الغرفـة المفعمـة بالنشـاط، وكثيـراً مـا تسـتعمل المـرأة رمـوزاً أمازيغيـة في الزرابـي المصنوعـة، وتلجـأ إلـى تلويـن الصـوف حسـب أذواقهـن، كمـا أن المسـألة لا تقتصـر علـى صناعـة الزرابـي فقـط، بـل تتـم أيضـاً بوسـاطة المنسـج نفسـه حياكـة رداء البرنـوس الأبيـض، الـذي يعـد رمـزاً للرجـل الأمازيغـي، وخاصـة يـوم زفافـه، ويصنـع مـن الحايـك أو الحنبـل، وهـو أكثـر سـمكاً مقارنـة بالزربيـة، ويسـتعمل عـادة كغطـاء أثنـاء النـوم في فصـل الشـتاء؛ لاتقـاء بـرد المنطقـة القـارس وثلوجهـا، ولاتـزال ممارسـة هـذه الحرفـة قائمـة إلـى يومنـا هـذا داخـل البيـوت القبائليـة،

زربية غردايـة

رغم التطور الكبير الذي نعيشه؛ لأنها ترمز إلى أصالة المنطقة وتاريخها وتراثها، وتجتهد الجدات وربات البيوت على تعليمها للفتيات الصغيرات، بإشراكهن في النسج حتى لا تزول، وتملك كل منطقة دليلها الخاص بها، والمتعارف عليه، من خلال الرموز المستعملة، حيث يوجد نوعان من النسيج: النسيج الأمط، والنسيج بالغرز المعقودة، ولدى القبائل أنواع عدة من السجاد والزرابي، منها زربية المعاقة وآيت هاشم.

في منطقة قبائل الشاوية بالجنوب الشرقي للبلاد، حيث ولاية «خنشلة»، التي تعني «الملاك»، وهو رمز السلام في اللغات القديمة، وخنشلة أو أنجلا مدينة أمازيغية تشتهر بتراثها الشاوي العريق، وأغلب سكانها أمازيغ، وهم أحرص الناس على التمسك بالثوابت القومية، اشتهرت المدينة بتعدد الحمامات المعدنية الساخنة التي تتدفق مياهها من جوف الجبال المحيطة التي تعود إلى الفترة الرومانية، وأهمها حمام الصالحين، تضاريسها جبال شاهقة الارتفاع، يعمل معظم سكانها بالزراعة والرعي والتجارة، وفيها يوجد قبر ماسينيسا وقصر الكاهنة، وتعتبر زربية «بابار» التي طالما عشقتها البيوت الجزائرية هي الأعلى سعراً في الأسواق المحلية، داعبتها أنامل نساء ولدن عليها، وفتحن عيونهن على نسجها، والغني المقتدر فقط من تكون زرابي بابار جزءاً من فرشه التي تزين غرفة الضيوف، وتحرص السلطات المحلية على تكريم كبار ضيوف البلاد بإهدائهم هذه الزربية ذات الشهرة العالمية التي استمدتها من قيام قدامى سكان البلدة باحتراف هذه الصناعة التقليدية، التي صارت تحتل المرتبة الأولى وطنياً، ونالت شهرة واسعة بالدول الأوروبية، بعد التعريف بها عن طريق المهاجرين، حتى أصبح الأوروبيون يتهافتون على طلبها، كما أصبحت مطلوبة عند كبار الشخصيات الوطنية والعالمية، نظراً لقيمتها الفنية، ويشترط على كل عروسة خنشلية إعداد زربية بابار في منزل والديها، وتمر صناعة زربية بابار بمراحل كثيرة، حيث تقتضي نحو 10 قناطير صوف أبيض ناصع نقي من كل الشوائب، ومغسول جيداً، ثم تمرر على مشطين مزدوجين، وعلى مشط فردي، وهو القرداش، ثم تشكل خيوط مضاعفة حتى لا يتقطع الخيط، وتصبغ بمواد طبيعية عند حرفي خاص بالصباغة؛ ليعطيها ألواناً مختلفة ومنوعة، ثم

زربية قبائلية

زربية بابار

زربية جبال عمور ـ القطيفة

تعاد إلى الغسل من جديد بالطريقة الأولى نفسها؛ لإزالة الأصباغ التي لم تنفذ بعد إلى خيوط الصوف، وتجفف في الشمس مدة ثلاثة أيام متواصلة، يجري تركيب المنسج من عمودين كبيرين، الأول سفلي والثاني علوي، وتلف عليه الخيوط، أكثر من 1000 خيط، حسب الأبعاد المطلوبة في الطول والعرض، وتبدأ عملية النسج بدقة متناهية، مشكلة الرسومات التي احتفظت بها النسوة في مخيلتهن، دون رسمها أو تصميمها على الورق، وغالباً يبلغ طول زربية بابار 3 أمتار، ويبلغ عرضها مترين، ويستغرق نسجها ما بين ستة وسبعة أشهر.

وبولاية الأغواط الرعوية في جنوب العاصمة الجزائر، فرض مناخها البارد وثلوجها الكثيفة شتاء يكسو الطرقات، فتغطى المنازل بنمط خاص من السجاد والزرابي، تناسب برودة الجو، وتسمي محلياً «القطيفة»، وتعرف أيضاً بزربية جبال عمور، وهي من الصوف الخالص سميكة جداً، وخيوطها طويلة لتبعث الدفء، وغالباً ما تكون باللون الأحمر والأسود؛ لتمتص حرارة المدافئ، ألوانها مستوحاة من الطبيعة، ولعل ما أسهم في انتشار صناعة النسيج محلياً أن النشاط الرئيس لسكان المنطقة هو الرعي، إلى جانب زراعة القمح والشعير والحلفاء والذرة والشيح، وتمتد صناعة زربية جبال عمور إلى مناطق مجاورة عدة، كولايات المسيلة وتيارت وتسيمسيلت والجلفة بجنوب غرب البلاد.. وكلها مناطق تتميز بالمناخ البارد إلى درجة التجمد.

ينظر إلى زربية جبال عمور على أنها مظهر حي للإبداع الحرفي، ومنبع للتعايش الثقافي المشترك والمتنوع الذي يمزج بين عبق الأصالة ومتطلبات الحداثة، وهي تمثل إرثاً إنسانياً مشتركاً، حيث لم يستطع أي باحث نسب مصدرها لمنطقة معينة أو لقبيلة بعينها. وتقام بالسوق الأسبوعية لمدينة الأغواط معارض في الطرقات للسجاد والزرابي، بأسعار متفاوتة، حسب مساحتها وكثافة صوفها، ولا يكف المواطنون عن شرائها، بل يرغبون في اقتناء ما أمكنهم منها لأغراض التدفئة.

الصَّقر الخشبي

شهرزاد العربي

يُحكى أنّه في قديم الزمان، كان هناك قيصر له جيش من الحرفيّين المهرة الذين كانوا مُستعدّين لتلبيّة كل رغباته وطلباته، منهم: نجارون وخياطون وخزفيون وغيرهم من كل صنعة وفن، ذلك لأنه كان يحبُّ أن تكون أشياؤه كلها فاخرة الصنع، ثيابه، وأواني طعامه، وفراشه، ومجوهراته، وغيرها.

كان عدد الحرفيين المهرة عنده كبيراً جدّاً، ورغم هذا كانوا يصطفّون كل صباح لأَخْذ التعليمات من القيصر.

ذات يوم تجادل النّجار والصائغ في أي الأعمال أحسن: النجارة أم الصياغة؟ وأيهما أمهر من الآخر؟ وأي الأعمال أصعب؟

قال الصائغ للنجار:

ـ إن عملك ليس فيه أي شيء مميز، فهو يقتصر على صنع أشياء خشبية فقط، أما أنا فأعمل بالذهب الخالص، النَّظر إليه وحده يُبهج النفس.

ردّ عليه النجار قائلاً:

ـ لا غرابة في أنك تستطيع أن تصنع بالذهب أشياء جميلة؛ لأن الذهب، كما قلت أنت نفسك، مجرد النظر إليه يبهج، لكن هل بإمكانك أن تصنع شيئاً مُبهجاً بالخشب، يحوز إعجاب الجميع؟ إذا فعلت هذا اعتبرتك أمهر الفنانين.

وطال الجدل بينهما حتى كادا يتقاتلان، وعندما خرج القيصر وكان قد سمع جدالهما، ابتسم بخبث، وقال لهما:

ـ فلْيصنع كل واحد منكما شيئاً عجيباً، وأنا سأكون الحكم بينكما، وأعلن أيّكما الأمهر.

ودون نقاش خضعًا لأمر القيصر، وبدأ كل واحد منهما يفكر في ماذا هو صانع، وكيف يفوز في هذه المنافسة.

منحهما القيصر مدة أسبوع فقط، ليتقدم كل واحد منهما بتحفته الفنية، وبعد المدة المحددة، كان كل من النجار والصائغ جاهزين، حيث تأبَّط كل واحد منهما مغلفاً، وانتظرَا ظهور القيصر.

حين حضر القيصر، قال لهما:

ـ هيّا يا فنّانيْن، أرياني ما صنعتما، ولتحضر القيصرة، وولي العهد ليشهدَا روائع صنعكما.

بعد أن اتَّخذ الجميع مكانه، تقدم الصائغ أوّلاً ليعرض عمله على القيصر وأهله، وقال:

ـ أيها القيصر، أُؤمر لنا بحوض كبير فيه ماء.

فأمر القيصر بذلك، وعندما أصبح كل شيء جاهزاً، أخرج الصائغ بطة من ذهب، ووضعها في حوض الماء، فبدأت البطة بالسباحة داخل الحوض كأنها بطة حقيقية، تدير رأسها يمْنَة ويسْرَة، وتنظف ريشها بمنقارها، كما يفعل البط عادة.

فغر القيصر فاه من شدة الإعجاب، أما القيصرة فقد قالت:

ـ مستحيل أن تكون هذه البطَّة من ذهب، إنما هي بطة حقيقية، لم يفعل هذا الصائغ سوى أن أمسك بها، ودهنها بالذهب.

اغتاظ الصائغ، وقال:

ـ كيف تكون بطّة حقيقة؟! يمكنني الآن أن أفكك أجزاءها أمامكم، وأعيد تركيبها أمام أعينكم.

ثم قام الصائغ بفك براغي الأجنحة، ثم فك الرأس، وبعدها باقي الجسم، ثم أعاد تركيبها أمامهم جميعاً، وأعاد البطة إلى الماء فسبحت أحسن من المرة الأولى، وهنا صفَّق له الجميع، وأثنوا على عمله الإبداعي.

ثم توجه القيصر إلى النجار، وأذن له بأن يريهم ماذا صنع.

حيّا النجار القيصر، وطلب منه أن يأمر بفتح النوافذ، فكان له ما طلب.

فتح النجار مُغلَّفه، وأخرج صقراً خشبيّاً، وقد أبدع في نحته حتى بدا كأنه صقر حي، وقال لجموع الحاضرين:

ـ إن تحفة زميلي من ذهب، وكل ما تفعله هو السباحة داخل حوض ماء، أما صقري فيستطيع أن يطير حتى يبلغ السحب ارتفاعاً.

وقام النجار بتهيئة الصقر للطيران، وفي لمح البصر كان الصقر يخرج من نافذة القصر، محلقاً عالياً في السماء.

اندهش الجميع أكثر مما اندهشوا من البطة السبَّاحة، أما إعجاب القيصر بالصقر، فقد كاد يكلفه سقوط التاج من رأسه، وهو يميل هنا وهناك، متتبعاً الصقر وهو يطير في السماء.

أعرب الجميع عن دهشتهم، وأجزموا بأنهم لم يروا شيئاً مماثلاً لهذا أبداً.

خرج النجار من القصر، ثم عاد ومعه صقره وقدّمه للقيصر، ثم سأله:

ـ هل أنت راضٍ عن فنِّي أيها القيصر؟

ردّ القيصر:

ـ إنني لا أجد الكلمات المناسبة، لأعبر لك بها عن مدى إعجابي بما صنعت، لكن قل لي كيف تمكّنت من صنع هذا الصقر الجميل؟

بدأ النجار يشرح للقيصر التقنية التي اعتمدها في

صنع تحفته الفنية، وبينما كان القيصر يستمع إلى كلام النجار، ارتفع صوت القيصرة، وهي تقول:

ـ إلى أين أنت ذاهب؟ امنعوه، أمسكوه.

فبينما كان القيصر يتحدث إلى النجار اغتنم ولي عهده الفرصة وصعد على الصقر وشغّله، فانطلق به في الفضاء، والكل صار يصرخ:

ـ عُد.. هكذا ستقتل نفسك.

أما ولي العهد، فقد كان متحمّساً، وزاد من سرعة الصقر حتى بلغ السحب، واختفى عن الأنظار.

أغمي على القيصرة من شدة الفزع على ابنها، وتوجه القيصر إلى النجار يلومه ويُعنّفه، واتهمه أنه فعل ذلك قصْداً لقتل ولي عهده، وأمر بسجنه وأمهله مدة أسبوعين، فإذا لم يعد ابنه فسيقتله.

اقتيد النجار إلى زنزانة رطبة مظلمة تحت الأرض، في الوقت الذي كان فيه ولي العهد ينعم بالطيران بين السحب والرياح تصفر في أذنيه، وتعبث بشعر رأسه، وبثيابه.

طار الصقر بولّي العهد لفترة طويلة جدّاً، وابتعد به كثيراً عن قصر والده، وعندما حلّ المساء حطَّ في مملكة غير معروفة له، وتوقف عند باب المدينة، وعندما دخلها وجد بيتاً صغيراً أمامه، وعندما طرق بابه ظهرت له امرأة عجوز، فطلب منها أن تسمح له بالمبيت عندها.

رحبّت العجوز به، وقالت له:

ـ تفضل بالدخول، يوجد متسعاً لك في هذا البيت، فأنا أعيش وحدي هنا.

فكّ ولي العهد براغي الصقر، ووضعه في كيسه، ودخل البيت، وبينما العجوز تحضر له الطعام، سألها عن المدينة وأهلها، وماذا يوجد بها من أشياء عجيبة، فقالت له:

ـ لدينا مدينة عجيبة في قلبها يوجد قصر القيصر، وإلى جواره قلعة مغلقة بثلاثين قفلاً، يحرسها ثلاثون حارساً، لا أحد يستطيع دخولها، سجنت فيها الابنة الوحيدة للقيصر والقيصرة، حبساها مع مربيتها التي ترعاها، وهما يخشيان أن يضطران إلى تزويجها ذات يوم برجل غريب؛ لأنهما يحبانها، ولا يستطيعان العيش من دونها، لكن المسكينة تعيش سجينةً بعيداً عن عيون الناس.

سألها ولي العهد:

ـ هل هي جميلة؟

ردّت العجوز:

ـ لست أدري، فأنا لم أرها، لكنهم يقولون إن من النّادر العثور على فتاة في جمالها.

ما قالته العجوز حفَّز الرغبة لدى ولي العهد، وظلَّ ساهراً يفكر في طريقة للدخول إلى القلعة.

في الغد، وعندما سدل الليل رداءه هيّأ صقره، وانطلق عالياً حتى اقترب من نافذتها، عندها فوجئت الأميرة بوجود شاب وسيم، فسألته من وراء شباك النافذة:

ـ من تكون؟!

ردّ عليها:

ـ افتحي النّافذة، وسأجيبك.

فتحت الفتاة النافذة، فدخل الصقر إلى غرفتها، وترجل ولي العهد، وحيَّ الأميرة، وأخبرها كل شيء عنه، وكيف وصل إليها، وسألها:

ـ أتقبلين الزواج منّي؟

قالت:

ـ نعم، لكني أخشى ألّا يوافق أبي وأمي.

كانت المربية الشريرة قد سمعت كل كلمة قالها الاثنان، فسارعت إلى القصر لتخبر القيصر بأمر الفتى، وأنه يقطن عند عجوز في مدخل المدينة، فأمر القيصر جنوده بإحضاره فوراً، وواجه الفتى غضب القيصر، الذي توعَّده بعقوبة الإعدام صباحاً.

سجن وليّ العهد تلك الليلة، وأحكم غلق الأبواب عليه، وفي الصباح تجمع الناس، بعد أن أعلن أن متطفلاً اقتحم القلعة ودخل على الأميرة غرفتها، وتهيأ السيّاف، وفي الأخير جاء القيصر وزوجته، وأُحضِر ولي العهد، وقبل التنفيذ، استأذن من القيصر ليكلمه كرجاء أخير، ورغم غضبه أذن له بالكلام، فقال:

ـ أطلب من أحد خدمك أن يذهب إلى المرأة التي آوتني، ويحضر لي كيسي.

أرسل القيصر أحد خدمه، فأحضر له الكيس المطلوب.. تقدم الفتى من الكيس، وعالج أمر الصقر، ثم قفز عليه وطار، وسط حيرة الجميع، وأمر القيصر بالإمساك به.

طار الفتى عالياً، وتوجه إلى القلعة، وبالتحديد إلى نافذة السجينة وأجلس الأميرة أمامه على الصقر، وقال لها:

ـ نحن الآن في أمان، ولا نخشى أحداً.

وطارا نحو قصر والده، وفي الزنزانة كان النجار المسكين يدعو ربه أن يعود ولي العهد.

انقضى الأسبوعان، وحان موعد تنفيذ الحكم، وفجأة رأى النجار صقره يحلق في السماء، وولي العهد معه، ليس هذا فحسب، بل هناك أيضاً أميرة جميلة ترافقه.

حطَّ الصقر في باحة القصر، وساعد ولي العهد الأميرة على النزول، وسارع ليقدمها إلى والديّه، وكم كانت سعادة الجميع كبيرة، وخاصة النجار! وأُقِيمت الأفراح في القصر لمدَّة ثلاثة أشهر احتفاءً بالعروسين.

الفن الصيني لتنسيق الزهور

يعد فن تنسيق الزهور في الصين ظاهرة ثقافية تقليدية قديمة، تهدف إلى تلبية متطلبات الاحتياجات الذاتية والعاطفية، وكذلك أيضاً طريقة خاصة للتسلية والفرح في الحياة اليومية،

الكاتبة: أشواق جونغ كيكي
المترجمة: وجدان يوون تشيان
المراجعة: فاتن زهو لينغ

حيث ينشأ هذا الفن من النشاطات الشعبية في الوقت القديم، منها حب الزهور، وزراعتها، وعروضها، وقطفها، والتمتع بجمالها، والتفضل بإهدائها للآخرين، وكونها زخرفة وزينة للشعر، لابتكار الجمال للناس باستمرار، لاستخراج رغباتهم وعواطفهم الداخلية بها، فيما يسمى فن تنسيق الزهور، وهو نوع من الحياة الفارهة.

يتعلق تنسيق الزهور الشرقي بالطبيعة، سعياً وراء الخطوط الجميلة والأشكال الطبيعية، حيث يكون تصميمه بشكل مبتكر، ومظهر أنيق ومتطابق مع أشكال الزهور الطبيعية، فمنها التنسيق المستقيم، والتنسيق المائل، والتنسيق المنحني، والتنسيق المتدلي.

تأثر تنسيق الزهور الصيني بشدة بالأفكار الكونفوشيوسية والطاوية والبوذية والمتطلبات الأخلاقية الإقطاعية، الأمر الذي يشكل المفهوم الفريد المميز للصينيين، إلا وهو الفكرة للدنيا والتقييم للجمال الخاص للأمة الصينية، اعتقاداً بأن كل الأحياء لها أرواح، متمسكين بأن «البشر هم جزء من الطبيعة»، ويرون أن الزهور والأشجار في الطبيعة لها أرواح ومشاعر؛ لذلك كان الشعب الصيني عبر الأجيال المتتالية يتعاطف مع الزهور والأشجار، ويصف مشاعره بالاستعانة بعدد من المعاني الرمزية والمفاهيم المتنوعة حوله، لإظهار طموحه وهواياه في فن الحياة. فمن الطبيعي ألا يعتبر الأزهار إلا قاعدة مادية رئيسة لعروض الجمال في الأشكال فحسب، بل يعتبرها لغة أو أداة أو وسيلة لتشكيل العواطف أيضاً، كما أنها عناصر مهمة لخلق المشاعر، والتعبير عما في ذهن الناس؛ لذلك، ومنذ العصور القديمة، فإن تنسيق الزهور في الصين هو «طالما وجدت المادة فهناك معنًى، والمعنى الشامل هو المعنى الجميل»، كالموضوع المتركز خلال عملية الإبداع. في الوقت نفسه، يتمثل

أعلى مستوى لهذا الفن في السعي وراء المدح والتقدير كأخلاق الأزهار والأشجار، إضافة إلى وصف جمالها وجاذبيتها .

يرجع تاريخ نشأة تنسيق الزهور في الصين إلى فترة الربيع والخريف، وفترة الممالك المتحاربة، أي إلى أكثر من 3000 عام. حيث يمتاز بقيم عالية في التاريخ والثقافة والعلوم الجمالية، والاجتماعية والعملية التطبيقية

وأدواتها، وقطع تشكيلها وبيئة الأعمال؛ كذلك مراعاة الطريقة الفريدة للصينيين، عندما يتمتعون بجمال الأزهار، إما مع الموسيقى أو مع الخمر أو مع العطور أو مع النقد أو مع الشاي... إلخ.

في اليوم الرابع عشر من يونيو في 2008، تم إدراج فن التنسيق الصيني للزهور إلى قائمة التراث الثقافي غير المادي على مستوى الوطن، وأمامنا واجبات ضخمة لحماية هذا النوع من الفن الشعبي.

(راهب بوذي أعمى) «بيوا هوشي» «جينجي مونوجاتاري»

الحكايات الشعبية اليابانية

رية ناكاو
كاتبة وفنانة – اليابان

تتمتع اليابان بتاريخ أدبي طويل وممتد، ثري بالعديد من الأعمال الأدبية، من بين أقدمها وأبرزها كتاب «كوجيكي»، الذي كتب عام 712 م، وهو عبارة عن سجل تاريخي يتحدث عن الأساطير القديمة وتاريخ اليابان، وخاصة عن تاريخ الإمبراطور. أما كتاب «نيهون شوكي»، وهو أقدم كتاب ياباني بعد «كوجيكي»، قد كتب عام 720 م، وهو عبارة عن سجل تاريخي وطني مرتب زمنياً، حيث تعني كلمة «نيهون» اليابان، وتعني كلمة «شوكي» سجل.

من بين الأعمال الأدبية القديمة المعروفة أيضاً لدى اليابان، هي «جينجي مونوجاتاري» أو (حكاية جينجي) التي كُتبت في القرن الحادي عشر الميلادي، و«هيكي مونوجاتاري» أو (حكاية هيكي) التي كتبت في القرن الثالث عشر، ومازالت الحكايتان تحظيان بمكانة شعبية، ويقرؤهما الأجيال حتى الآن، حيث يدور موضوع الحكايتين حول شخصيات لأبطال تاريخية.

«جينجي مونوجاتاري» من تأليف امرأة تدعى «موراساكي شيكيبو»، وتتكون من 54 كتاباً، وهي أول رواية كاملة الطول في العالم، وهي، بلا شك، تحفة فنية في تاريخ الأدب الياباني. تصور القصة حياة البلاط الرائعة للبطل «جينجي» الذي فشل في أن يصبح إمبراطوراً، على الرغم من كونه أميراً بالولادة. تمت ترجمة الرواية لأكثر من 20 لغة، وحظيت بشعبية كبيرة في العالم، كما

تم تحويلها إلى فيلم ودراما تلفزيونية ورسوم متحركة مرات عدة في اليابان.

أما «هيكي مونوجاتاري»، فهي قصة الحرب التاريخية، والروعة، والدمار الأخير لعائلة «هيكي»، آخر حكام القرن الثاني عشر. وهي ليست مجرد عمل وثائقي فحسب، بل أيضاً تعتبر عملاً ملحمياً ذا بعد اجتماعي. يرافق سرد القصة عزف موسيقى «البيوا» (آلة وترية) تشبه إلى حد كبير العود العربي، ويقوم بالعزف عليها رهبان بوذيون مكفوفون، يطلق عليهم «بيوا هوشي»، وظلت وظيفتهم عزف البيوا أثناء حكي قصة هيكي منذ القرن الثاني عشر حتى القرن الرابع عشر. وكان وجود البيوا هوشي في جميع أرجاء اليابان، هو العامل الرئيس الذي سهل انتشار حكاية هيكي في البلاد، وظلت تتناقل بين الأجيال لأكثر من 800 عام، وتعيش حتى الآن.

تدور موضوعات معظم القصص القديمة حول التاريخ والأبطال التاريخيين، ولكن بمرور الزمن، أصبح أبطال القصص أشخاصاً من العامة، وموضوعاتها تدور حول الحياة العامة للناس. تتكون الحكاية الشعبية اليابانية بشكل أساسي من عمل واحد للشخصية الرئيسة، وتتناقل وتنتشر أحداثها بين الناس عن طريق الحكي الشفهي الشعبي من قبل رواة القصص إلى المستمعين. في الغالب، المؤلف والزمان والمكان غير معروف لمعظم الحكايات الشعبية، حيث إن معظم الحكايات الشعبية اليابانية ليست قصصاً حقيقية، وأبطالها أشخاص من وحي الخيال، وهي في الأساس قصص رائعة تجذب الأطفال. وتبدأ الحكايات الشعبية عادة بعبارة «ذات مرة...»، أو «ذات مرة كان هناك رجل عجوز وامرأة عجوز...»، وتختم بنهاية سعيدة. تتضمن هذه القصص العادات والتقاليد اليابانية، والقيم والأخلاق والحكمة، ولذلك فهي خيار جيد لحكيها للأطفال.

تناقلت الحكايات الشعبية محلياً لأجيال عدة برونقها وروعتها نفسهما، حتى إنه يمكن للقارئ أو المستمع أن يستشعر الروح اليابانية والشخصية الوطنية والأشياء الثمينة قديماً. هناك بعض الحكايات الشعبية التي تم تناقلها دون تغيير لأكثر من 800 عام، كما أن الأغاني التي تدور حول القصص لاتزال حتى اليوم تغنى من قبل الأطفال والكبار، ومن أمثلة ذلك «مومو تارو» (فتى الخوخ)، و«إيسون بوشي» (الفتى ذو البوصة الواحدة)، وهي نماذج رئيسة للحكاية الشعبية، وكلاهما له محتوى مشترك، وهو معروف للجمهور حالياً على النحو الآتي:

زوجان عجوزان من دون أطفال، رزقا بطفل، وعندما نضج الطفل، ترك والديه ليحارب الشياطين ويهزمه، وبعد أن نجح في مهمته، عاد إلى المنزل وعاش مع والديه. في نهاية القصة عاش الجميع سعداء.

«مومو تارو» (فتى الخوخ)

تبدأ الحكاية بالبداية المعروفة للحكايات الشعبية اليابانية، حيث تقول «ذات مرة، كان يعيش رجل عجوز مع زوجته في القرية، وذات يوم ذهب الرجل (أي الزوج) إلى الجبل ليجمع الحطب من خشب الأشجار، بينما ذهبت هي (أي الزوجة) إلى النهر؛ كي تغسل بعض الملابس، وأثناء ذلك، رأت حبة خوخ عملاقة تطفو على سطح ماء النهر. أخذت الزوجة الخوخة، وذهبت إلى المنزل، وقامت بفتحها لتتناولها مع زوجها، لكنهما فوجئا بصبي يخرج من داخل الخوخة. لم يكن للزوجين أطفال، لذلك كاد قلبهما أن يتوقف من الفرحة بهذا الصبي، وأطلقا عليه اسم «مومو تارو» (صبي الخوخ). نشأ الصبي وترعرع، وأصبح شابا يتمتع بالقوة والصحة الجيدة. وفي يوم من الأيام سمع أن الشياطين تثير الفوضى والطغيان، وتخطت كل الحدود. فقرر أن يغادر المنزل ويذهب لمحاربتهم وهزيمتهم. وصنعت له السيدة العجوز كرات الأرز الحلوة، لتكون زاداً له في رحلته، وفي الطريق انضم إليه كلب وقرد وطائر الدراج، واستئناف فتى الخوخ وأصدقاؤه الجدد رحلتهم حتى وصلوا إلى جزيرة الشيطان، وحاربوا الشياطين، وهزموهم معاً. عاد مومو تارو وأصدقاؤه الجدد إلى المنزل بأمان، وعاشوا بسعادة مع الزوجين المسنين. واختتمت القصة بنهاية سعيدة.

تعلمنا هذه القصة أهمية التعاون مع الأصدقاء، وكذلك أهمية مواجهة الصعوبات بشجاعة.

أغنية مومو تارو

مومو تارو ... مومو تارو

من فضلك أعطني قطعة واحدة من كرات الأرز الحلوة،

مومو تارو

التي تحملها على خصرك.

سأعطيك... سأعطيك

إذا جئت لقهر الشيطان معي

سآتي... سآتي... أينما ذهبت

سأتبعك كخادمك

«إيسون بوشي» (الفتى ذو البوصة الواحدة)

ذات مرة، كان هناك زوجان عجوزان يعيشان معاً من دون أطفال، وعندما رغبا في إنجاب طفل، رزقا ولداً واحداً. ولكن كان هذا الطفل صغيراً جداً، لا يتجاوز طوله 3 سم فقط، لذلك أطلقا على الطفل اسم «إيسون بوشي» (أي الفتى ذو البوصة الواحدة) نسبة إلى طوله، حيث تعني كلمة «إيسون» نحو 3 سم. كبر الطفل لكنه لايزال صغيراً. ومع ذلك أراد أن يصبح من محاربي الساموراي. حمل إبرة مثل سيف كاتانا، واستخدم وعاء صغيراً كسفينة وغادر المنزل. ذهب إلى العاصمة وعمل في منزل عائلة ثرية. وذات يوم، حاول الشيطان خطف فتاة من المنزل، فقام الفتى إيسون بوشي بمحاولة إنقاذ الفتاة، وقاتل الشيطان، لكنه كان أصغر من أن يقاتل الشيطان العملاق، الذي ابتلعه أثناء المعركة، لكن الفتى استمر في القتال داخل بطن الشيطان، ولم يستسلم.

استمر في وخز بطن الشيطان من الداخل بالإبرة، مما دفع الشيطان إلى تقيؤه، وأسقط مطرقة سحرية، وهرب بعيداً. وعندما قام «إيسون بوشي» بهز تلك المطرقة السحرية، أصبح رجلاً ذا حجم طبيعي، وتزوج لاحقاً من الفتاة التي أنقذها من يد الشيطان، وعاشا حياة سعيدة، واختتمت القصة بنهاية سعيدة.

تعلمنا هذه القصة ما يلي، وهو أمر مهم في الحياة: ألا نتشاءم، وألا نخجل من ظروفنا، وبدلاً من ذلك أن نستخدم قدراتنا الشخصية التي وهبنا الله إياها، وأن نجتهد لنحقق أحلامنا وأمنياتنا. نحن بحاجة إلى المضي قدماً، وألا نستسلم للظروف.

هناك أغنية لإيسون بوشي تصف القصة كاملة.

الآباء يقرؤونها لأطفالهم. هاتان الحكايتان الشعبيتان هما الأكثر شهرة وشعبية في اليابان، وتعلماننا كيف بعد مرور 800 عام على هذه الحكايات الشعبية، مازال نعيش بشجاعة وتعاون وجهد، وكثير من الأشياء القيمة.

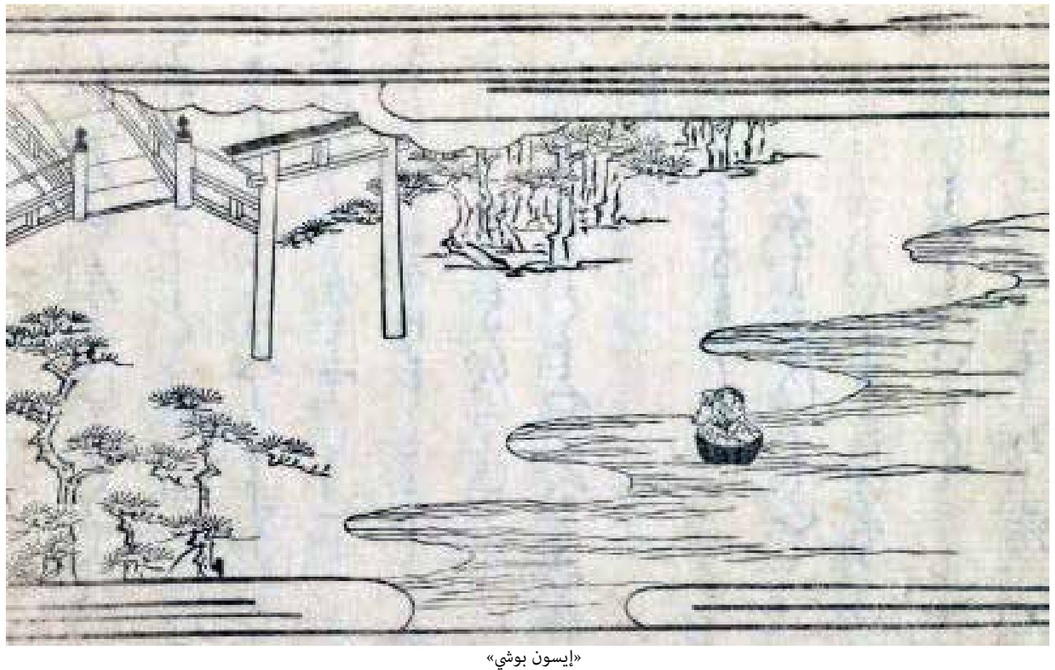

«إيسون بوشي»

تراث الشارقة

د. منّي بونعامة
مدير التحرير
mini.abdelkader@yahoo.com

للتراث الثقافي في إمارة الشارقة مكانة سامية، ومنزلة رفيعة، تتجلى في العناية الكبيرة والاهتمام الواسع من لدن صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، حفظه الله ورعاه، بهذا المجال المهم المرتبط بالهوية والخصوصية، والانتماء الوطني، ويعود ذلك الاهتمام، وتلك العناية، إلى فترات مبكّرة من حياة سموه، إذ كشفت عن وعي عميق وعريق بالتراث، صوناً وحفظاً وإحياءً وتأهيلاً، وهي مرتكزات أساسية في المشروع التراثي الإحيائي لسموه.

وإذا عدنا إلى البواكير الأولى التي احتضنت هذه التجربة وروتها، نجد أن للتراث قصة مشهورة تعالقت مع سياقات النهضة الثقافية والعمرانية الرائدة، التي أرسى دعائمها وأسس بنيانها، سمو حاكم الشارقة، حيث اقترنت بموضوع هدم الحصن في أواخر الستينيات، وذلك ما يحيل إليه سموه بقوله: «قبل امتحان الفصل الأوّل من السنة الرابعة في كلية الزراعة، وكان يصادف شهر كانون الثاني (يناير) من سنة 1970م، اتّصل بي أحد الأصدقاء من الشارقة، هاتفياً، ليخبرني بأنّ حصن الشارقة قد بدأ الهدم فيه؛ فما كان مني إلّا أنْ سافرت إلى الشارقة؛ لإيقاف ذلك الهدم».

وبالفعل، تمكّن سموه من إقناع أخيه الشيخ خالد بن محمّد القاسمي، حاكم الشارقة في ذلك الوقت - رحمه الله - بإيقاف عمليات الهدم، واحتفظ بتفصيلات مقاسات المباني التي يتكوّن منها الحصن، وجمع الأبواب، وبعض الشبابيك الخشبية، على أمل أنْ يعيد بناء الحصن، وقد تحقق ذلك بعد حين، حيث تم ترميم الحصن وافتتاحه في عام 1997.

إن التراث يشكّل عنصراً جوهرياً في رؤية صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، حفظه الله ورعاه، وفي فكره وكتاباته، ويتجلى ذلك بشيء من الوضوح في توجّهات سموه وتوجيهاته بوضع الإطار المؤسسي والقانوني في إمارة الشارقة، لإنشاء مؤسسات تعنى بحفظ التراث وصونه، ودعم الجهود المبذولة، والتنسيق مع الهيئات والمنظمات الدولية المعنية، من أجل إنقاذ التراث الثقافي من الضياع والاندثار، اتساقاً مع رؤية سموه الشاملة والمتكاملة، والتي تنظر إلى التراث بوصفه يمثّل وعاء الهوية، وهمزة الوصل بين الماضي والحاضر، وذلك فحوى قوله: «إن البرامج التراثية تعد همزة الوصل التي تربط أبناء الجيل الحالي بتراث وماضي آبائهم وأجدادهم».

إن الرؤية الثاقبة والبصيرة النافذة لسمو حاكم الشارقة، جعلت من التراث عنصراً محورياً في حياة المجتمع وواقعه، وشكّلت علامة فارقة في تاريخ الاهتمام بالتراث الثقافي في الشارقة، المؤسّس على جذور تاريخية وحضارية راسخة وممتدة، وبخاصة ما يتعلق ببناء المعالم التاريخية والتراثية، وترميم الذاكرة المكانية، وتقديم الصون العاجل لها، وهو ما يجعلها حرية بالتصنيف على قوائم «اليونسكو».

and inscribing of heritage. This made it to be globally in the lead in inscribing the international common heritage elements that are in need for urgent safeguarding on the UNESCO's List. It was able to inscribe falconry with more than 18 countries, then Al Sadu, Al Ayala and the art of Al Taghrooda with the sisterly Sultanate of Oman.

The UAE also submitted with the Saudi Arabia, Oman and Qatar two joint files for inscription of Arabian coffee Majlis, while cooperated with the Sultanate of Oman in inscribing Al Razfa. It further contributed with a number of countries to inscribing palm tree, Arabic calligraphy and other elements on the UNESCO's lists. Moreover, Al Ain›s cultural sites: namely the oases, the archaeological site of Hili, the Hafeet burial grounds, and Bida Bint Saud were also inscribed.

There are many elements that are still on the preliminary lists for inscription, including the Sharjah Heritage Days, which has been submitted by Sharjah within the best practices for safeguarding cultural heritage. The Days' contributed throughout its history to preserving, disseminating, protecting and preserving heritage. In addition, it achieved a great and a distinguished contribution to the field of best practices, making it the most influential traditional festivals.

In the new issue of "Marawed" magazine, we have singled a space to this important topic, which is necessarily consistent with the Institute's goals and recent entitlements, as well as its comprehensive and integrated vision of the Emirati, Arab and international cultural heritage.

Publishing Policy

The “Marawed” magazine is basically concerned with the Emirati cultural heritage in the first place, then the Arab and international ones. It seeks through its sections to focus on the heritage matters that are characterized by novelty, objectivity, diversity and comprehensiveness, by researching, documenting, studying and scrutinizing.The magazine is also working on tracking the manifestations of the cultural heritage in the Emirati and Arab creative works through celebration, utilization and invocation of its various elements and symbols.
Further, it focuses on the cultural, heritage and media topics that touch on various aspects of cultural heritage, including professions, crafts, games, tales, costumes, adornments, ornaments, arts, music, and everything related to the branches and elements of the cultural heritage, locally, Arab and globally.

The materials to be published should meet the following:

- Novelty and originality, and never previously published or submitted for publishing in other magazines.
- Objectivity in presentation and credibility in addressing.
- The integrity of the language, the smoothness of style.
- Scientific documentation and rights of quotation.
- Abidance by the moral principles, respect of religious sanctities, decency and the public taste.
- High quality and high-resolution images.
- Artistic and objective order according to the vision of the magazine’s editorial board.
- The editorial board has the right to rephrase the materials, whenever this is necessary, in line with the publishing policy, and with the appropriate media presentation for readers.
- The editorial board is not obligated to explain the reasons for refusing to publish a material or returning it.
- The views, thoughts, and opinions expressed in the text belong solely to the author, and not necessarily to the magazine.
- Articles and posts are received on the magazine's e-mail: marawed@sih.gov.ae

Contact:
0097165014898 - 0097156792727
marawed@sih.gov.ae

The Emirati heritage on the UNESCO’s lists

The UAE has a leading experience in the field of documenting and preserving the intangible cultural heritage, as well as inscribing it on the UNESCO’s Representative List of the Intangible Cultural Heritage of Humanity. It succeeded in inscribed many elements of cultural heritage, giving a perfect example in cooperation with other countries in safeguarding